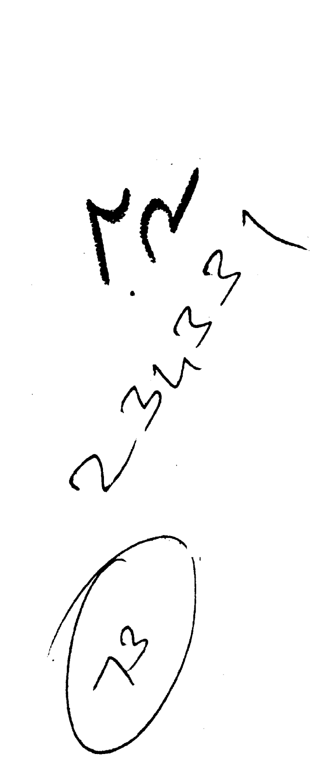
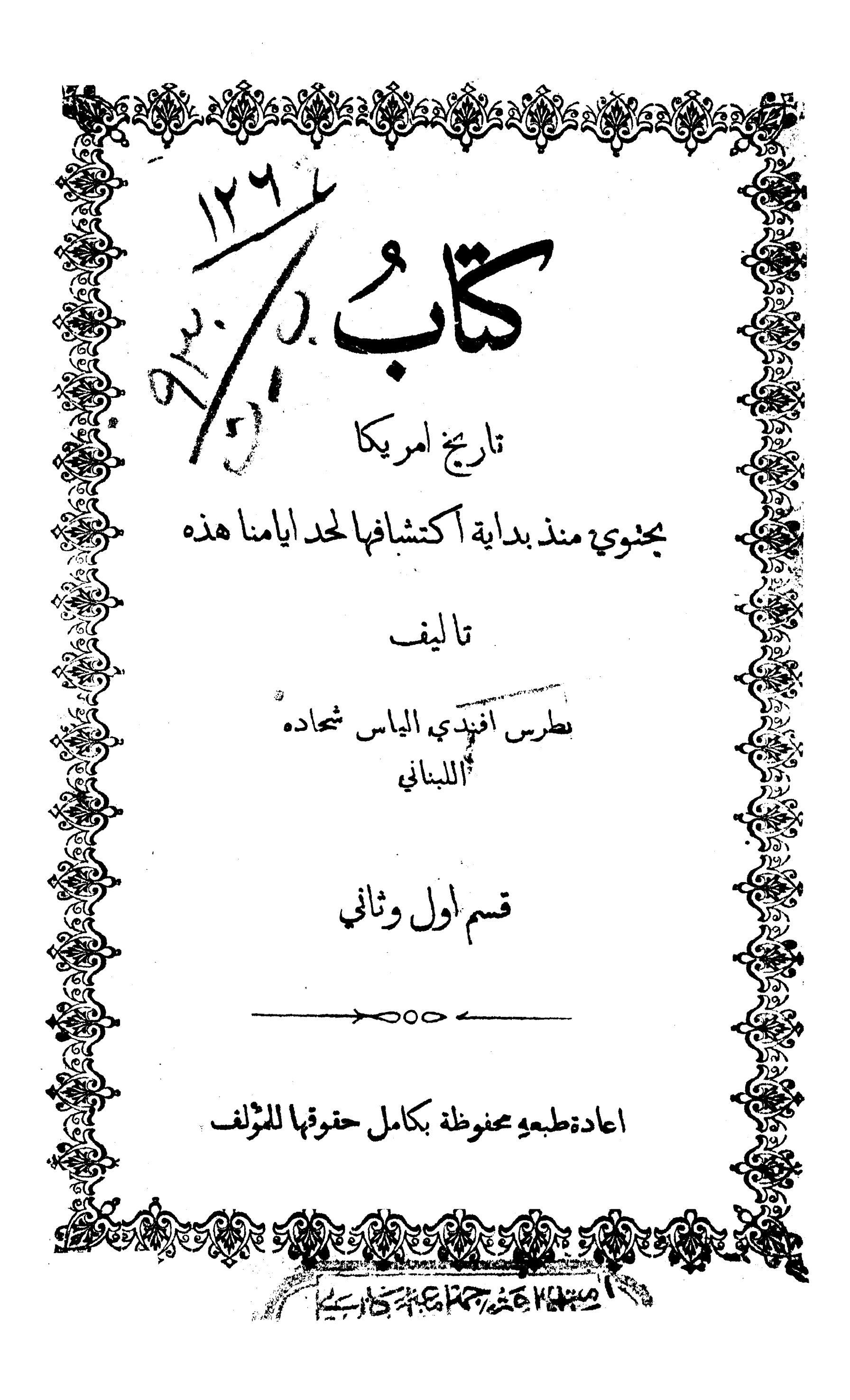




كتاب

تاريخ امريكا

يحتوي منذ بداية اكتشافها لحد ايامنا هذه

تاليف

بطرس افندي الياس شحاده
اللبناني

قسم اول وثاني

HISTOIRE

DE LA

DÉCOUVERTE DE L'AMÉRIQUE.

Ouvrage dédié à

SA MAJESTÉ ALPHONSE XII

ROI D'ESPAGNE,

par Son très-humble serviteur

PIERRE CHÉHADÉ

(du Mt-Liban.)



تاريخ امريكا

يحتوي منذ بداية اكتشافها لحد ايامنا هذه

تاليف

بطرس افندي الياس شحاده

اللبناني

القسم الاول

المقدمة

الحمد لله تعالى

من المعلوم ان الانسان بمدة حياته يميل بنوع خصوصي الى امر ما فمنهم من يميلون مثلاً الى العلوم الرياضية ومنهم من ينعكفون الى مطالعات الروايات الادبية ومنهم وربما هم الاكثر عدد ينصبون على معرفة التواريخ. وقد قلت ان هولاء هم العدد الاكثرين الهيئة الاجتماعية وبالحقيقة انهُ ما من شيء يجعلنا نقف على اخبار سلفائنا الاقدمين الاّ التواريخ اذ بها نجد ما يجلو عنا الكدر ويغرس بنا الحماسة كي نقتفي اثار اولئك الافاضل على عمل الخير العمومي فانها أي التواريخ هي كمراءة ترنا احوال الاقدمين وتحملنا على اصلاح شؤُوننا وتحسين احوالنا وان نجتهد الى ما بهِ نفعنا والى السلوك بحق واجباتنا ولكل ذي واجبات على حسب مقامه ورتبته

هذا ولما كانت ديارنا السورية قد غدت تبسم لها امال النجاح بالعلوم كما كانت عليهِ بالقديم ولما كان أكثر رجال اواخر جيلنا التاسع عشر اخذوا باتحاف وطنهم ولغتهم بمولفات ادبية. قد حركتني الغيرة على ان احذو حذوهم وان أكن احقرهم فشمرت عن ساعد الهمة والعزم ولدى التبصر والمطالعات الكثيرة استحسنت أن اتحف

وطني بتاريخ قارة امريكا الذي لم يزل الى الان مفقودًا من لغتنا العربية او انهُ اذا وجد لم يكن مستوفيًا مثل هذا

لكن لما كان هذا العمل مهماً جدًا قد صرفت الليالي والايام بالبحث والتدقيق للتوصل الى الغاية المقصودة وبعد اتعاب كثيرة قد فزت والحمد لله بمرغوبي فجاء من كرمهِ تعالى كتابًا قد حوى اخبار تلك النقطة البعيدة منذ بداية اكتشافها لحد ايامنا هذه . ولا يخفي عن ذوي البصيرة كم قاسيت من الاتعاب ماديًا وادبيًا مستشيرًا بعملي جملة مولفات افرنسية يركن اليها

انما لما كانت دولة اسبانيا الفخيمة هي اصل هذا الاكتشاف العظيم رايت من واجباتي ان اقدم كتابي هذا خدمةً لها وعليهِ قدمت عريضة لاعتاب جلالة مولاي الفونس الثاني عشر المالك سعيدًا على تخت آلهِ العظام واصحبتها بنسخة منهُ وذلك بواسطة سعادة قنصلوسهِ في بيروت الكونت دي كازاساريا الذي نشطني على عملي فالتمس ثمه من ابناء وطني صرف النظر عما يصادفونهُ من الخلل بهذا الكتاب لان الكمال لهُ وحده

بطرس لحماذة

الفصل الاول

في حداثة كريستوف كولومب

انا نرى ضمن صفحات التاريخ المتوسط حادثة توجب الاندهاش اكثر ماسواها ولا يغرب عن نيرة الجميع ان هذه الحادثة هي اكتشاف اماريكا الذي هو بالحقيقة من الغرايب التاريخية والفضل بهِ لرجل يدعى كريستوف كولومب من اعظم فطاحلة الدنيا فعندما يطلع القاري في ما بعد على ما قاساه هذا الرجل من الاهانات في مدة حيوته والى اية درجة انكر معاصروه الفضل الذي اتحفهم بهِ لا بد من ان يحكم عليهم بعدم الانصاف الذي تلقاه منهم وبعدم شهامة ابنا دهره ونكرانهم جميله لا سيما عندما يرى التعدي الجبري الذي جرى عليهِ من قبل رجل يدعى اماريك وذلك ان هذا الرجل لما كان اكثر دراية منهُ استولى على تالك البقعة التي كان اكتشفها كولومب ولقبها باسمه غير ان الناس الذين جاؤوا فيما بعد لم ينكروا ان كريستوف هو صاحب الفضل بذلك ومن ثم قد دونوا اسمهُ باعلا مقام التاريخ المنوط بتالك الارض المكتشفة حديثًا . وهذه هي تفاصيل حيوة كريستوف كولومب المنوه عنهُ وتفاصيل ما قاساه قبل اكتشاف اماريكا وبعده

في سنة ١٤٥٢ وُلد كريستوف في مدينة جانوا من ايطاليا من ابوين يقال لهما دومينيك اي عبد الاحد كولومب وسوسان فانتانا روسا وقد اختلف المورخون في اصل عايلته والنتيجة انهُ لم يكن بذي اصل شهير فمن المورخين من قال ان والده كان حايكًا ومنهم من ذهب الى انه كان نوتيا انما فيما بعد حاول البعض بان ينسبوا كريستوف الى اصل شريف حتى ان عدة عايلات قد نسبت ذاتها الى نسله لكن الصحيح يقال ان والد كريستوف كان نوتيا والدليل على ذلك انعطاف نجله لهذه المهنة منذ صغر سنه فتعلم في صبايه القراة والكتابة وانصب بنوع خصوصي على فن الحساب ونجح في فن التخطيط ثم اخذ يطالع علم الجغرافية ومال ميلاً لا مزيد عليه الى فن النوتيه مظهرًا بكل ذلك اجتهادًا لا شبيه له كارهًا البطالة ومتجنبا كل ما من شانه ان يعدم حاسة الشبان الجيدة ويودي بهم الى اشنع الموت واشقاها غير تارك فرصة واحدة يتمكن بها من اقتباس اشيا مفيدة

فاذ علم ابوه انشغافه بفن النوتية اكثر من خلافه دربه به على قدر معارفه ثم ارسله فيما بعد الى مدرسة مدينة بافيا الكلية حيثما تعلم الجغرافية والهندسة وعلم الفلك واتقن فن النوتية ومن كونه كان

يتوق كثيرا الى معرفة الحسابات الرياضية اشير عليه ان يتقن اللغة
اللاتينية التي كان يفتخر بها الاساتيذ الكبار والتي بها توجد المولفات
العلمية التي لا يحصي عددها وناهيك انها كانت اما لجميع اللغات
في ذلك العصر. فمن كونه كان ايطالياني الاصل تيسر له معرفة
اللغة المذكورة بكل سرعة ومع جودة حذقهِ النادر الوجود لم يبلغ
سن الثالثة عشر الا وانجز كامل دروسه اللغوية والعلمية وكان مع
صغر سنه من الذين لا يبالون بالمصاعب ومن الذين لا يدعون
هنيهة واحدة تذهب سدى ومن الذين يستفيدون كثيرا ولو من
الامور الطفيفة بواسطة حسن تصرفهم وكبر درايتهم ففي السنة الرابعة
عشرة من عمره ابتدا بخوض البحور حتى بلغ الى درجة يحق لهُ بها
ان يكون قبطانا لولا حداثة سنه وهكذا كان امتاز اكثر المشاهير
منذ حداثتهم . اما كريستوف فكان اول سفره في البحر المتوسط
لانهُ بذلك الوقت لم يكن النوتيون من بني وطنه لهم المعرفة في بقية
البحور فاخذ يسعى على ايجاد الوسايط التي من شانها ان توسع لهُ
دايرة السفر غير مبال بادنى صعوبة مع انه دون ريب لم يكن
خوضه في البحر المتوسط كافيا لايجاده ما لم يتمكن احد خلافه
من ايجاده

فخدم اولاً في مركب كان مسافراً في الاوقيانوس الشمالي ثم
عند قبطان من اقاربه كانت لهُ عدة مراكب خاصة وكان هذا
الرجل يدعى كولومبو وعلى ما وصفه بعض المورخين انه كان ذا
طباع قاسية شجاعا لا يبالي بالخطر يحب المشاحنات ويقصدها حيثما
وجدت . وفي ذلك الزمان كان خوض البحور عين الخطر اذ انه
من جهة كانت الحملات المعروفة بالصليبيات ومن جهة كانت
مراكب القرصان مغطاة البحور ما عدا الاحتياطات التى كانت
جارية في عدة اقاليم من ايطاليا . اما القبطان نسيب كريستوف
فكان يلاحق المراكب الفانيسيانية حتى اوشك كولومب الشاب ان
يعدم الحيوة في احدى المواقع او لم تكن غوامض القدرة الالهية
عارفة في النفع الذي كان عتيدا ان ياتي به الى الاجيال المستقبلة
وذلك ان الباخرة التي تسلمت رياستها له اضرمت بها النيران غفلة
ثم امتدت للباخرة المشاجرة معها فاضحى الفريقين بحالة الياس لانه لم تكن
بواخر قريبة يلتجون اليها فبدلاً من ان كريستوف كولومب يفقد
العقل والتدبير بتلك الحالة المرعبة المودية بلا محالة الى الموت
تدرع بسلاح الشجاعه ورمى بنفسه في المياه واخذ يخوض بها على خشبة
صغيرة الى ان بلغ شواطي مملكة البورتوغال البعيدة على مسافة

ميلين فبقي جملة ايام في حالة التلف حتى اذا قارب قليلاً من الصحة توجه الى مدينة ليسبونا عاصمة تلك المملكة ومن المورخين من قال انه بقي عدة سنين قبل حدوث تلك الحريقة غير معلوم باية جهة من جهات البحر موجوداً وقد قال كثيرون انهُ كان يشتغل بنقل العساكر والمهمات الصليبية غير ان جميع المولفات تطابق بعضها البعض في ما حدث لهُ مما قلناه انفًا في شان الحريقة وبعد ذلك اخذ كريستوف يتدرج رويداً رويدا في سلم الاشتهار ولاسيما بما كان اظهره من الحذق وحسن التصرف في تلك الحادثة المريعة التي داهمتهُ فانها كانت سببا عظيما لزيادة شهرته لا بل انها كانت السبب الوحيد لدعوته المستقبلة وهذا ما يدلنا على غوامض الحكمة الالهية وعليه لا يلزمنا ان نيئس ولو مهما حصل لنا من البلايا لانها لربما تلك المصيبة التي تحدث لنا تكون هي بعينها سبب سعادتنا

وفي تلك الايام كان نوتية البورتوغال اشهر من سواهم في كامل المسكونة وكان لهم التقدم على جميع ارباب هذه المهنة لمزيد جراءتهم في سير البحور حتى انهم كانوا يخوضون البحر المعروف الان بالاوقيانوس الاطلنتيك الذي لم تكن بقية الملل تعرف سوى اسمه وبواسطة سيرهم بهِ قد اكتشفوا فيه على الجزيرتين العظيمتين

الملقبتين بجزيرة بورتوسنتو اي الميناء المقدسة وبجزيرة ما داريا
وهاتان الجزيرتان موقعهن قرب افريقيه ثم طمعتهم الاسفار الى انهم
اخذوا يخوضون البحور لكي يجدوا طرقة مودية الى الهند الغربي لان
بذلك الوقت لم تكن الناس تعرف سوى جهة افريقيه الشرقية
وكانوا يجهلون ان الاوقيانوس يحيط الكرة الارضية لجهة الجنوب
وعلى ذلك كانوا يكدون الى ايجاد طرقة حول افريقيه تماماً . اما
كولومب فبمدة اقامته في مدينة ليسبونا تعرف على جميع نوتيتها
المشهورين وكان يشاركهم في ارايهم واكتسب معارف لامزيد عليها
واضحى من ذوي الشهرة والاعتبار في تلك المدينة الى ان اوصلتهُ
التقادير لمعرفه سيدة شريفة تدعى فيليبا كريمة احد الشيفاليّه
الايطاليان المدعو برتولماوس مونيس دي بانستريللو كان قد توفي
منذ سنين وكان من رجال الاعتبار بالنظر الى حسبه ومعارفه
الفايقة بفن النوتية لانه هو الذي اكتشف اولاً الجزيرتين المار ذكرهما
وكانت علاقات الوداد تتضاعف يوماً فيوماً مع تلك السيدة
الشريفة الى انه تزوجها وبقياسوية مع ارملة المتوفي اي والدة فيليبا
المذكورة فعندما نظرت هذه الارملة ميل صهرها الى سفر البحار
اخذت تقص لهُ ما كانت عرفته من بعلها بهذا الخصوص ومن ثم

اعطته الاوراق التي كان خلفها وبهذه الواسطة تمكن كريستوف من ان يعلم ساير الطرقات البحرية التي اوصلت رجال البورتوغال الى اكتشاف ما اكتشفوه والى التقدم الذي حازوه

الفصل الثاني

في اظهار افكار كولومب لاكتشاف الارض الجديدة

قد اسلفنا عن بعض صفات كريستوف في الفصل الماضي وهاك بهذا الفصل بيان مقاصده عندما تقدم سنا ومعارف ونظن اننا نصيب اذا وصفناه تماما لان رجلاً كهذا ذي شهرة يستحق ان يعرف في ساير صفاته المادية والادبية فهاك ما نورده نقلاً عن مصادر يركن اليها وهو انهُ كان طويل القامة من ذوي الحسن الطبيعي ممتازا بساير تصرفاته عليهِ سمة الوقار والاحترام وجههُ طويل مشرب ببياض احدب الانف واسع الفم قليلا صغير العينين يلوح منهما سمة الذكاء ولم يبلغ سن الثلاثين الا واصبح شعر راسهُ ووجههُ كشعر الشيوخ نظرًا لما قاساه من المخاوف والشدايد في حيوته وكان يرغب في تطويل الاحاديث المفيدة ويضرب صفحا عن الغير مفيدة محبا للغريب جاذبا اليه حب كل من عاشره حافظا بمدة حيوته كلها واجبات دينه بكل دقة

فغب ان بقي مدة في مدينة ليسبونا توجه الى جزيرة ما داريا المكتشفة حديثا ثم الى جزيرة بورتوسنتو حيثما ولد له ولد سماه دياكو و بقي بتلك الجزيرة عدة سنين لكنه كان يجول من وقت الى اخر تارة لجهة شطوط افريقيا وتارة في جزاير كاناريس وفي تلك المدة كانت افكاره متجهة دايما الى ما ياتى وهو انه كان يخاطب نفسه قايلا: هل لا يوجد طرقة بحرية يداريها حول افريقية. فاذا توجهنا من هنا لجهة الغرب هل لا نصادف بلادا هي الهند او خلافها هل ان الارض ليست بكرة. وعلى ذلك هل ليس بممكن ان يكون الحالق سبحانه خلق في الجهة الثانية من الكرة بلادا يعيش بها اناس هل يطابق العقل ان الجهة الثانية من الكرة تكون كلها مياه. كلا لا بل من كون ان الهند متسع المسافة باكثر مما يخاله الناس و يمتد بلا محالة الى الجهة الشرقية الى ان يتصل بقرب غربي اوربا فعليه اذا خضنا البحور في مدة طويلة لا بد من ان نتمكن من اكتشاف شي جديد .:. فهذه الافكار كانت موضوع تاملاته وعليها استند لاستدعا انعام الملوك نحوه لكنه كانت له عدة اسباب خلافها ايضا وطدته في تلك المقاصد العاليه وهذه اخصها. كان احد نوتية البورتوغال توغل في الاوقيانوس الاطلنتيك زمانا طويلا

وباثنا ذلك نظر على وجه المياه اخشابا مشغولة كانت تقذفها الارياح الغربية ثم وجد في جزاير اسورس الواقعة في الاوقيانوس الاطلنتيك فيما بين اوربا واماريكا عدة اشجار مقذوفة غير معلوم جنسها كانت اتت بها لتلك الجزاير الارياح الغربية ايضا واخيرًا وجد في تلك الشواطي جثتين من بنية غريبة قدًّا وهيئةً فاخذ كولومب يتمعن بهذه الملاحظات كلها وايقن اخيرًا ان لا بد ولا شبهة من وجود عالم جديد لكنه لم يرد ان يتكل على رايه وحده فقصد احد العلما الجغرافيين في مدينة فلورنسه من ايطاليا وكان اسمهُ باولو توسكانللي كان في عصره من ذوي الشهرة بالمعارف وسداد الراي فاوضح لهُ كولومب جميع افكاره مع البراهين التي توطده في ذلك فنظرها بعين الاهمية ونشطه على اجرايها باول فرصه ممكنه بعد ان افاده عن اشيا عديدة مناسبة للموضوع ذاته فصمم حينيذ كريستوف على الاجرا وانما كانت يده قصيرة عن العمل اذ ان حالته المادية لم تكن كافية لتتميم هذا المشروع العظيم فاضطر ان يقصد احدى الدول لكي تساعده بذلك

وحيث انهُ كان من ذوي العقول الثاقبة عزم ان يكون بهذا الانتفاع لوطنه فاعرض على مجلس جانوا ما كان شارعًا بهِ وساله

آن بيده بالامدادات المقتضية لاجل اتمام ذلك فلم تتمكن حكومة تلك المدينة من ان تفهم عمق نواياه فرفضت طلبه وسخرت به . فلم ييئس كريستوف من هذا جميعه بل قال قد عملت ما يجب على عمله بحق وطني ثم تركه وتوجه ثانيةً الى مدينة ليسبونا وعرض على ملك البورتوغال افكاره وطلب منه الامداد فصادف منه حسن القبول والاعتبار لانهُ اي الملك المذكور كان محبًّا جدا لتعظم سطوة رعاياه في البحور فاقام اثنين من علما المملكة لياخذا تقريرات كولومب ويحكما اذا كانت صايبة ام لا فغب ان قدم لهما كريستوف ساير البراهين قررا الى الملك بعدم اصابة المشروع وانهُ اذا كان لا بد من وجود اراض جديدة يلزم لها ثلاث سنوات على القليل اذا وافق الريح السفن حتى تبلغ اليها فلم يكتف الملك بهذا بل اقام لجنة ثانية للبحث في امر مشروع كولومب فخال لها ما خال للجنه الاولى غير انها قررت لديه مرضاة له حيث نظرته يميل لذلك بان يرسل قبطانًا من قبله ليكتشف الارض المقرر عنها من كولومب وان ذلك يزيد المملكة شرفًا فانقاد الملك لهذا الراي وارسل سفينتين ايف رياسة احذق قبابطين المملكة فغب ان سافر مدة قصيرة في الوقيانوس عاد ايسا الى العاصمة مقررًا ان مشروع كولومب هو

المحال بعينه وانه شتان ما بين حقيقة الامر وافكاره فاغتاظ كريستوف
من تلك المعاملة السيئه وخرج من مدينة ليسبونا مغتاظًا من ذلك
وكارها تلك البلاد لاسيما حيث كانت توفت بها امرائه وكان ذلك
اواخر سنة ١٥٨٤

قال بعض المورخين ان مقاصد كولومب العالية جعلته أن
يترك الاسباب الموصلة الى لوازم عيشته و لسبب الديون التي كان
استدانها و وجوده بحالة لا تمكنه من الدفع التزم ان ينهزم خفية من
مدينة ليسبونا هو وولده دياكو الذي كان لم يزل قاصرا وبقي متخفيا
ما ينيف عن سنة فقال عنه البعض انه توجه بتلك المدة الى جانوا
حيثما طلب الى حكومتها ثانية بان تمده فلم تستجب له بل سخرت
بِهِ كالاول . وانه بعد ذلك التمس من حكومة فانيسيا الجمهورية
انه تاتيه بالاسعاف اللازم ولم يكن نتيجة منها نظرا للحالة الضيقة التى
كانت ملمة بها حينيذ والبعض قالوا انه توجه الى والده واجرى
الوسايط الممكنة لاجل جعل حالة ابيه هذا الذي كان صار شيخا
مريحة افكاره من جهة معيشته الا ان هذه الاخبار هي من قبيل
التخمين . اما المعول عليه من جميع المورخين هو انه غب مضي
السنة المرقومة قد توجه الى اسبانيا وسبق فارسل اخيه برتولماوس

الى هنري السابع ملك انكليتره ليطلب امداده لانه كان معروفا بذلك الوقت من ذوي الذكاء والمعارف العلمية . وقد اجري ذلك احتياطا من ان حكومة اسبانيا لا توافقه .

اما هو فبلغ اسبانيا بحالة يرثي لها من الفقر بداعي المصاريف التى تكبدها بجولانه من محل لاخر ومن مملكة الى خلافها وغدا عديم النقود اللازمة له حتي اضطر به الامر الى الشحاذة فاخذ يطوف و ولده دياكو في المملكة فوصل ذات يوم الى احد اديرة الرهبان الفرنسيسكان وطلب الضيافة به وماكلا له ولولده فقدم له ذلك ومن كونه كان غريبا لاطفه الرهبان واتصل الحديث فيما بينه و بين احد علمايهم المدعو جوان بيريز عن الغاية التي كان يتوق اليها واوضح البراهين الفعالة عن وجود اراضي مجهولة من الناس في الكرة الارضية ولما كانت البراهين المذكورة ذات اهمية لدى العالم المذكور احضر اليه جملة علما من تلك النواحي وتداولوا مليا بها ووافقوا كريستوف عليها حتى ان احد الاغنيا من سكان مدينة بالوس المسمى مرتين الونزو بينزون عرض عليه ان يرافقه اذا تم امر السفر وان يقدم له ما يملكه فعقب ان بقي كولومب عدة ايام في الدير المذكور محفوفا بالاكرام اعطاه مرتين الدراهم اللازمة للسفر ثم ابقى الرهبان دياكو

عندهم واعطاه عالمهم تحريرًا برسم مرشد الملكة ايزابال الروحي المدعو فرناندو تالافارا به يوصيه على اظهار الغيرة نحو مقدمه . فهذه الاسعافات المادية والادبية سمحت كريستوف بالحماسة الزايدة فقصد مدينة كردو في اوايل ١٤٨٦ ولدى وصوله اليها وجد الحال مرتبكا فيها بداعي الاستعدادات التي كانت جارية لاجل محاربة الاندلس فلم تتيسر لهُ نتيجة من التحرير الذي اخذه الى مرشد الملكة لان هذا كان مهتما بما كانت تطلبه تلك الظروف في ذاك الوقت فعند ما قابله كريستوف واعطاه التحرير سأله المثول امام الملك فرديناند والملكة ايزابال فاجاب بكلام السخرية قايلاً لهُ ما يدل على الهزء بهِ مبينا ان مطاليبهُ غير ممكنة حتى ولو لم يكن موجودا ذاك الارتباك فحينيذ خابت اماله وعاد يفتكر في طريقة توصله لمقابلة الملك او الملكة وبأثنا ذلك فتحت ميادين الوغا واستلم الملك بنفسه قيادة الجيش اما الملكة فكانت دايما مهتمة بارسال المهمات والذخاير واضحي كريستوف من جرى ذلك غير قادر الى ان يتوصل لمبتغاه فاخذ من ثم يتدرع بالصبر الجميل الذي كان دابه ومكث بتلك المدينة مدة فصلي الخريف والشتا مستنظرًا سنوح الفرصة لاتمام مساعيه ومحتملاً في تلك المدة المذكورة بئس الاحوال في معيشته

وامرها في الاستهزاء الصادر ضده من السنة الناس وبينما هو بتلك الحالة التي يرثى لها تزوج بامراة تدعى بياتريس وولد لهُ منها ولد وسماه فرديناندو وهو الذي كتب تفاصيل حيوة والده .

ومع كرور الايام اجتذب اليه اعتبار ذوي القول امام البلاط الملوكي وذلك بالطريقة الاتية وهي انهُ كان احد متوظفي مالية المملكة يدعى الونزو كنتانيلا من اصحاب العلوم الفايقة فتحادث تكرارًا مع كريستوف فاخذ كلامه بعين الاهمية وصار يناضل عنه بازا الذين كانوا يسخرون بهِ ثم اقامه في بيته وبعد ذلك توصل لمعرفة القاصد الرسولي في اسبانيا ولمعرفة شقيقه الذي كان استاذ اوليا عهد المملكة وبواسطة هولاء تمكن من مقابلة بطرس غونزالز كرديال اسبانيا وريس اساقفة طولاد وهذا كان من اكبر المتقدمين في البلاط الملوكي وكان ايضا من ذوي التدابير الحسنة والعلوم العالية والمعارف الجليلة فعند ما كان كولومب يورد لهُ افكاره اندهش من ذكايه وحسن حذقه وفهمه واستحسن كلما كان يورده له وصادقه صداقة فايقة حتى انه فيما بعد استباح له مقابلة الملك

فامتثل كريستوف لديه بغاية من الاحتشام وبدون ادنى اضطراب واورد له كل ما كان من مقاصده فتعجب فردیناند الملك

به وامر فرنندو تالافارا مرشد الملكة الذي تقدم ذكره ان يجمع ساير العلما الفلكيين الموجودين في المملكة لاجل اخذ تقريرات كريستوف والتداول بها ويقدمون اراتهم له تجرى الاجتماع في مدينة سالامنك التي كانت بذلك العصر مركز العلم في اسبانيا فاجتمع العلما في دير من اديرة الرهبان الدومينيكان المعروف بدير مار اسطفانوس لانه كان اعظم الاديرة في ذلك الوقت فمكث فيه كريستوف كل المدة التي اقتضت لاجل المحاورات كضيف به وفي النهار الذي تعين للمذاكرة بين العلما تمثل امامهم كولومب دون ان يلوح عليه شي من الاضطراب نظرا لوفرة عددهم واخذ يبرهن لهم عن اصابة افكاره بوجود العالم الجديد موردا لهم ادلة قوية منها من العلوم الجغرافية ومنها من الفلكية ومنها من اقوال انبيا العهد القديم لكن لسوء الحظ لم يكن منهم من يصغى له سوى بعض من رهبان الدير والباقون لم يستطيعوا ان يحدوا اتساع الاوقيانوس وكيفية قوله ان الارض هي كرة ومحاطة بالمياه فيمكن الدوران حولها فاخذ كولومب يجول معهم بالبحث المدقق ولكن كان شتان ما بينه وبينهم فبقوا مصرين على افكارهم الا انهم لم يحكموا حكما قطعيا بالسلب وفي ذاك الاثنا انتقل الملك من مدينة كردو فانحلت تلك الجمعية

للعلمية بسبب ذلك وبقي كريستوف بحالة الحيرة مملوا من الكآبة والغم تابعًا الملك الى المحل الذي ذهب اليه مومّلاً بان مشروعه صار في اول درجة النجاح وبعد ذلك مضت عليه عدة سنين وهو على تلك الحالة السيئة فتارة كان يستقر وتارة كان يخدم الكبار وتارة كان ينتظم في سلك العساكر. فباوايل سنة ١٤٩١ بينما كانت جارية التجهيزات لحرب نهائية في اسبانيا الح على الجواب بفروغ صبر فصدر الامر الى فرنندو تالافارا ان يقدم اراء العلما فجمعهم ثانية فحكموا بان مقاصد كولومب لا تتوقع صيرورتها وانها المحال بذاته وانه لا يليق بشرف الملوك ان يصغوا اليها . لكن لما كانت ملحوظات كولومب اخذت نوعا من الاهمية ازاء الملك فردينند وقرينته ايزابال صار استدعاءه امامهما فقالا له : ان ارتباك الحرب والمصاريف المقتضية لها لا تمكننا من اجابة مرغوبك لكن عند نهاية ذلك نجري معك الاتفاق بخصوص السفر: فهذا كان الجواب الذي استنظره عدة سنين فاعتبره كجواب احتيالي للتخلص من ترداداته عليهما وخاب امله في اسبانيا ومن ثم توجه الى مدينة سافيليا مغتاظًا عادمًا الصبر فاخذ يفتكر بذاته ليتوصل الى طريقة جديدة وبينما هو بتلك الحالة اذ وفدت اليه تحارير من قبل ملك فرنسا

وملك انكلترة بما ينشطونه على اتمام مقاصده ثم حرر له ملك البورتوغال رقيمًا يطلبه بهِ الى الاياب لديه فابى كريستوف كل ذلك لكونه كان مغروما في مملكة اسبانيا فعزم على ان يخاطب بعض كبارها الذين كانوا من ذوي الاقتدار اموالا ورجالا وسفنا ولما كان اشهرهم الدوق مادينا سيدونيا والدوق مادينا شالي فقصدهما كريستوف وعقب مباحثات كليه مع احدهما الدوق مادينا سيدونيا عاد عنه خايبا اما ثانيهما الدوق مادينا شالى فتلقاه بعين الاعتبار وبعد ان صمم على ان يعطيه اربعة مراكب ارتجع عما كان عول عليه خشية من ان الملك يغتاظ منه فاشار على كريستوف ان يرجع للبلاط الملوكي واعطاه تحريرًا الى الملكة ايزابال يحثها به على معاضدة مشروع كريستوف فابى ان يعود ثانية الى البلاط الملوكي ويماطل بالوعودات والمحادفات والسخريات ومن ثم اخذ سفره في طريق دير رابيدا حيثما كان ولده دياكو لكي يستحضره الى مدينة كردو ليمكث بها مع ولده الثاني فردينندو .

ولدى وصوله الى هناك التقاه بالترحاب الراهب جوان بيريز وتاثر كثيرا اذ راى حالته تعيسه

فاخذ يقص عليه كريستوف ما كان حدث له من الوعود

الفارغه وانهُ من جرا ذلك مراده ان ينزح من اسبانيا فتحركت به عواطف المروة الوطنيه فحرر الى الملكة ايزابال رقيما فصيحا يوضح به ان مشروع كولومب هو بغاية الاصابة ويلتمس به منها ان لا تنظر بعين الازدراء مسيلة مهمة كهذه ثم اخر كولومب عن السفر لبينما يرد اليه الجواب من الملكة.

وكان قد اعطى هذا الرقيم الي رجل نوتي من مدينة ليبا يدعى سيباستيان رودريغز فسار حالا به فوجد الملكة في مركز المعسكر في سنتافه بالقرب من مدينة غريناد وهناك تيسر لهُ مقابلتها بكل سرعة فاخذت منه الرقيم واعطته جواب وامرته بان يعود حالا ويفهم جوان بيريزان يجري مال تحريرها تاما فعاد سيباستيان حالا وفي بسفره ذهابا وايابا اربعة عشر يوما لا غير وعند وصوله الى الدير شمل الجميع السرور اذان الملكة كانت بتحريرها تامر جوان المذكور بالتوجه حالا الى البلاط الملوكي وانها لا بد لها من ان تقابل كريستوف فيما بعد فقبل انتصاف الليل اخذ جوان طريقه راكبا على بغلة ولم يبطى حتى بلغ المحل الذي كانت به ايزابال فتيسرت له بمقابلتها حالا نظرا لما كان له من الشهرة في علومه وتقدمه في رهبنته وحينئذ اخذ يوضح لها اصابة افكار كريستوف ويحسن لها

مساعدته وان بذلك شرف لا يمحى ذكره طول المدى وذلك بكلام
هذا مقدار فصاحته حتى انها قبلت به وامرت بارجاع كولومب
اليها وارسلت لهُ دراهم كافية للمصاريف المقتضية لهُ في السفر فلم
يتاخر كريستوف عن الامتثال لاوامرها وقام من الدير قاصداً اميدان
غريناد حيثما شاهد تسليم تلك المدينة في ذلك الوقت الى مملكة
اسبانيا التي كانت تكبدت ما تكبدته بسببها من الخساير في المحاصرة

ومن جرى ذلك انجلت غيوم القلق عن الملك والملكة وحينيذ
التفتا الى مشروع كولومب نامرا بعض الذوات ان يعقدوا اتفاقا
بينهما وبينه بالشروط التي يرونها حسنة فكان فرنندو تالافارا من
جملة هولا المكلفين فعند المذاكرة بذلك طلب منهم كريستوف
شروطا هذه اهمها وهو انه يلقب باسم كران اميرال على البحور التي
يكتشفها وباسم نايب ملك لساير البلدان التي يفتتحها مع كلما لهذين
اللقبين من الحقوق والامتيازات وان يكون له عشر الارباح التى
تنتج من تجارة البلدان التي يكون اكتشفها . فسخروا منه وبمجاسرته على
طلب اشيا عالية كهذه وقالوا له مستهزين: انك لمدبر امورك حسنا
لانك تسهل لذاتك ارباح التوفيق وعدم الخساره بعكسه: فعرض
عليهم كولومب دفع ثمن المصارفات المقتضية بشرط ان يكون له ثمن

الارباح فلم يقبلوا بذلك بل عرضوا عليه شروطا خلافها فرفضها وبقي مصرًا علي انفاذ الشروط التي كان قدمها ومن ثم صار السكوت عن كل شي .

اما هو فقد ابدى ما لامزيد عليه من الصبر والتعقل الا انه نظرًا لما كان قاساه من الشدايد بمدة عدة سنين كان من الواجب عليه الخضوع لاية شروط كانت لانه لم يكن مستندا علي مساعدة خلاف مملكة لكنه رفض بكل عزم ما كان خارجا عن الشروط التي قدمها وكره الاقامة في اسبانيا وعمد علي الاقلاع عنها وعدم الاياب اليها ابدا فركب بغلة كانت وهبته اياها الملكة وبارح المحل الذي كان جرى فيه ما تقدم قاصدا مدينة كردو لكي يتوجه منها برا الى فرنسا . وعند ذلك شمل اصدقاوه الغم حينما تاكدوا سفره فاخذوا من ثم يستعملون الوسايط النهائية بازا البلاط الملوكي واخصهم لويس دي سنتنجل والونزو دي كانتانيلا فانهما اجتهدا في هذه الغاية وخاطب الاول الملكة ايزابالي قايلا لها : سيدتي اني انرامى علي اقدام جلالتكم لكي لاتحرموا المملكة من شرف ابدى : فكريستوف كولومب وان كان فقير الحال ما دنا الا انه فريد العقل اديبا فلا شك ان افكاره صايبة ولا شبهة من ايراد عظيم الى المملكة بواسطة

فجلالتكم قد قمتم باتباع اشيا مهمة كثيرة ولم تبالوا بكبيرها وصغيرها فعجبي اذا كيف انكم ترجعون الى الوراء امام امريكون ربحه وافرا ومجده دايما وان لم يتم تكون خسايره طفيفه ولو فرضنا عدم نجاحه لان هذا الرجل العزيم لا يطلب اكثر من سفينتين وثلاثين الف دينار يخرج منها الثمن على نفقته. فلو اخذتم جلالتكم هذا الرجل تحت اكناف حمايتكم الملوكية فترضون الحق سبحانه وتوسعون دايرة المملكة وسطوتها ومجدها . فعظيم هو الاسف الذي سوف يشملكم ويشملنا كافة عندما فيما بعد يكتشف كولومب تلك البلدان المخصبة بمساعدة مملكة خلاف مملكتنا لاني على يقين كلي ان هذا الرجل قد طلبه بعض الملوك وتوجه اليهم فان افكاره صادقة وعلومه فايقة واختباراته نادرة .

فاصغت ايزابال لهذا الكلام وكادت تقبله الا انها كانت تختشي من عدم موافقة زوجها فرديناند بداعي فروغ الخزينة من النقود بسبب الحرب الاخيرة فلم يكف لويس دي شنتنجل المار ذكره عن تردداته اليها وايراده لها كل البراهين المقنعة حتى ارتضت الملكة اخيرًا وقالت له اني اقوم باعبا هذا المشروع على اسم مملكة كستيليا وها اني مستعدة على رهن مجوهرات تاجي الملوكي لتقديم

النقود اللازمة .

فهذا ماجعل اسم هذه الملكة في صفحات تواريخ الملوك الشهيرين فانها اي ايزابال قد كانت سببًا لاكتشاف اماريكا وهي التي اقامت لاسبانيا ذكرًا مخلدًا .

اما لويس المذكور فلم يدعها ترهن تاجها بل انه اقام قرضًا على الرعايا وجمع المال اللازم ثم اعطته الملكة تحريرًا منها الى كريستوف [illegible] اليه عاجلًا حيثما وجد . فذهب الرسول واخذ يكد ويجد الى ان وجد كريستوف في طريق مدينة بيلوس بقرب جسر كان على مسافة ساعتين عن تلك المدينة فاعطاه التحرير ففضه واذا هو تحرير من الملكة ذاتها فيه تامره بالرجوع اليها وانها تجري له كلما يسره فبقي محتارا قليلا من الوقت واخيرا عاد على طريقه وما زال سايرا الى ان وصل لميدان سنتافه حيثما كانت الملكة فقابلها واظهرت له ملاطفة فايقه ونشطته على السفر ثم قابله الملك واوعده بالمساعدة والحمايه .

الفصل الثالث

في بيان الاتفاق النهائي بين كولومب والبلاط الملوكي وفي تفاصيل السفرة الاولى

وفي غد ذلك النهار استدعي كاتم اسرار الملك المدعو جوان

كولوما كريستوف واعطاه صكا ممهورا بختم الملك والملكة يشتمل علي الشروط الاني ملخصها .

اولا . ان لكولومب طالما هو حي ولسليلته دواما لقب كران اميرال في البحور والبلدان والاراضي التى يكتشفها معا يتبع هذا اللقب من الحقوق والانعامات .

ثانيا . ان كريستوف يلقب باسم نايب ملك علي ساير الاراضى والبلدان التى يكتشفها وان امرتولي المناصب في الجزاير والاقاليم هو منوط بخاطر الملك لكن لكولومب حق الانها في ثلاثة اشخاص من ذوي الدراية يختار الملك واحد منهم .

ثالثا . ان يكون لهُ الحق بعشر الارباح الشرعية التي تنتج من تجارة البلدان التى يكون اكتشفها .

رابعا . ان الحق لكولومب وحده اولوكيله بفض الاختلافات التي تحدث في اسبانيا بالامور التجارية في البلدان المار ذكرها .

خامسا . ان كولومب يقدم ثمن المصارفات المقتضيه عن الحاضر والمستقبل للسفر الى البلدان المراد كشفها لكنه من ثم يكون لهُ الحق بثمن الارباح الناتجة من ذلك .

وكان تسليم هذا الصك لهُ في النهار السابع عشر من شهر نيسان

سنة ١٤٩٢ ثم صدر الامر الملوكي بتجهيز ثلاث سفن كانت في مينا مدينة بالوس لكنها كانت من طبقة واطية و وضع بها مهمات كافية لمدة سنة كاملة الى ماية وعشرين نوتي ودفع لهُ من النقود مبلغ يوازي ماية الف فرنك بعد خصم اثمان المهمات منه واعطى لهُ اوامر لساير بلدان المملكة لكي تقدم له المساعدة في كلما يلزم له وعندما قابل فرديناند وايزابال مرة اخيرة لوداعهما عينت الملكة نجاله دياكو من اعوانها المخصوصين الامر الذي كان بهِ انعام فايق لان امورا كهذه لم تكن تمنح بذلك الوقت سوى لاولاد الاشراف .

وعلى هذه الصورة بارح كريستوف البلاط الملوكي في النهار الثاني عشر من شهر ايار وتوجه الى مدينة بالوس حيثما كانت السفن فهذا ما ناله بعد ان بقي ثمانية عشر سنة مطروحا في زوايا الوعود الفارغة والازدراء و بذلك مثل مفيد وهو انه مهما تصعبت علينا الامور يلزمنا ان نكون دايما متاملين باتمام ما نطلب اذ ان من جد وجد وكل من صبر على البلايا انتصر عليها لان الاحكام الالهية لن تدرك وما قاساه كريستوف كولومب لحد الان هو دايل كافي لذلك .

فلنرجع الى ما كنا بصدده ونقول ان كريستوف عند وصوله

لمدينة بالوس توجه راسًا الى دير رابيدا حيثما استقبله الراهب جوآن
بيريز بغاية ما يكون من الاكرام وفي الغد ذهبا سوية الي كنيسة
المدينة حيثما كان مامورو الحكومة وذوات البلدة مجتمعين فتليت
عليهم الاوامر الملوكية بخصوص السفر والاسعافات المقتضية له فنفر
ساير الشعب وما من نوتى قبل ان يخاطر بذاته لان مشروع
كريستوف كان لدي افكار الجميع غير ممكن وان نتيجته تكون
فقد السفن وما فيها في وسط البحار الواسعة التي لاحد لعمقها واذ
لم يكن سبيل لاقناع النوتيين التزم كولومب ان يعرف البلاط
الملوكي فصدر الامر ثانية الى ماموري الحكومة في بالوس وفي المدن
المجاورة لها الكي ياخذوا بطريق الاجبار كل المراكب والنوتيين
الذين يستنسبهم كولومب فمع هذا لم يكن نتيجة لان الجميع فضلوا
الموت في اوطانهم بدلا من ان يشربوا كاسه في وسط البحور واذ
ذاك تجرد مرتين البونزو الغني الشهير الذي سبق كلامنا عنه لمعاضدة
كريستوف وعزم على السفر معه كما كان اوعده وعلى ذلك لم يعد
موانع من البحرية الذين كان الخوف يمنعهم عن السفر لان مرتين
المذكور كان مشهورا عندهم من ذوي المعارف البحرية

ففي صباح النهار الثاني من شهر اب نشرت قلوع السفن الثلاث

وكانت اساوها الاولى سنتاماريا وهي السفينة التي تراس عليها كريستوف والثانية البانتا تراس عليها مرتين الونز و والثالثة النينيا تراس عليها فينشنته بينزونو في النهار ذاته توجه كريستوف وارفاقه جميعهم الى الكنيسة حيثما تسلحوا بالاسرار الدينية ثم ودعوا القوم الذين كانت تغص الشوارع بازدحامهم ولم يكن منهم من كان متاملاً باياب احد من المسافرين

وفي النهار الثالث من شهر اب سنة ١٤٩٢ الذي كان نهار الجمعه اقلعت السفن من المينا وعيون سكان المدينة شاخصة بها من الشاطي ولم يزالوا مرافقينها بالنظر حتى اختفت عن ابصارهم وكان مسيرها الى الجهة الجنوبية في طريق جزاير كاناريس وفي اليوم الثالث بعد السفر اعطت السفينة البينتا اشارة تدل على السوء لان دفتها كانت قد انكسرت ويقال ان الذي كان مسلم زمامها كان كسرها قصداً لامله انه بسبب ذلك يامروه بالرجوع الى الورا لان الخوف كان لم يزل شامله وشامل رفاقه وحينيذ ضج الجميع بصراخ الياس واخذوا يتدمرون و يطلبون الاياب لاوطانهم فوقف كريستوف مسير السفن واخذ يجول بها مدة ثلاث اسابيع حول جزاير كاناريس املاً ان يجد مركبا يستبدله بالبينتا واذ لم يتيسر له

ذلك التزم ان يرمم دفة السفينة المذكورة معما كان متعطلا من قلوع وغيره في بقية السفن وفي اثنا ذلك بلغه ان ثلاث اساطيل بورتوغالية مرت في طريق جزيرة الحديد فكدره هذا الخبر اذ انه لاحظ منه ان ملك البورتوغال قد ارسل الثلاث اساطيل لتكمن له قصاصًا لعدم ذهابه اليه ومن ثم جد مسافرًا في النهار السادس من شهر ايلول صباحا وفي التاسع منه وافقه الريح واخذت السفن تشق عباب المياه بسرعة كلية وما لبثت حتى صارت بين سماء وماء لا غير ومن جرا ذلك تطمن كولومب وزال عنه الخوف الذي كان شمله من جهة البورتوغال لكن عند ما احتجبت الارض عن ابصار رفاقه اتته الرزايا والشدايد لان هولا انقطعت حبال عزمهم وخال لهم ان الارض اختفت عن اعينهم دوامًا وسرمدًا واخذوا بالنوح والعويل كانهم كانوا قايمين بدفن بعضهم البعض وكان الواحد يودع الاخر وهذا يعانق ذاك والدموع تهطل من اعين الجميع فياله من منظر محزن كان منظر هولا النوتية ويالة من حال يرثى له اعني به حال كريستوف الذي كان وحده ملتزما بتسلية رفاقه وانتدابهم الى وظايفهم ففي ذلك الوقت اخذ يبين لهم عظم موضوع سفرهم ويوبخهم بكلام موثر على ما كانوا يظهرونه ويخجلهم على جبانتهم

حتي ساعده الحال على جلاء الكدر والياس عنهم واخيرا اقسموا له
انهم يرافقونه اينما شاء وانهم ما عادوا يفعلون ما فعلوه فاعطي حينيذ
اوامره لروسا السفن لكي يجعلوا طريقهم دايمًا للجهة الجنوبية اذا
شتتهم الريح عن بعضهم وانهم يرسوا بها على مسافة سبعمائة ميل
تقريبًا لان الارض الجديدة كان يخمن وجودها على بعد هذه المسافة
فقط ومع ذالك لم يطمان له بال من جهة النوتية رغما عن وعودهم
له بعدم التراخي فاخذ يسهر الليالي علي ظهر سفينتهِ مراقبا حركات
الفلك وترفرف الطيور في السحاب ماسكا دايما مقياس المياه بيده
وملاحظا مسير النجوم ومع كل هذه الاشغال كان دايما وجهه
بشوش للجميع ملاطفا افرادهم واجمالهم غير مميز ذاته عن رفاقه سواء
كان بالشغل او بالنوم او بالاكل بل انه كان عايشا كاصغرهم وظيفة
وبالحقيقة ان مسيلة مهمة كتلك لم يكن من رجالها سوى هذا الشهم
العالم الفريد الذي اضحت جميع الاجيال مديونة له ولمعارفه

ففي ذات يوم نظر كريستوف ان السفن بعدت مسافة ماية
وخمسين ميل عن جزيرة الحديد فتعجب من هذا السير السريع
ولخوفه من ان رفاقه يلحظون هذا فيداهمهم الخوف اخذ يرقم
جريدتين يوميتين احداها حاوية مسير السفن تماما والثانية تحتوي

على اميال اقل عدد من الاولى ليطلع عليها البحريه فلا يرتعبون من بعد المسافة عن بلادهم وفي النهار الثالث عشر من ايلول نظروا كعب صاري سفينة عايما على وجه المياه فارتعب الاسبانيوليون منه لانه كان يدلهم على صيرورة غرق مركب في تلك النواحي واخذ يتضاعف خوفهم رويدا رويدا الي اليوم الثلاثين من الشهر المذكور حيثما راوا ان الابرة المغناطيسية التي هي دليل البحرية قد تغيرت حركتها الامر الذي لم يكن سبق لحد ذاك الوقت فتعجب كولومب من هذا التغيير لكنه كتم اندهاشه عن رفاقه الا انهم تمكنوا من معرفة ذلك فيما بعد فشملهم الخوف حتى خال لهم ان شرايع الطبيعة اخذة بالتغيير كلما كانوا يتقدمون في المسير وانهم عتيدون ان يصادفوا دنيا ثانية منقلبة بها الامور الطبيعيه عن دنياهم فعادوا الى ما كانوا عليه من التدمر والنوح لاسيما ان المسافة التي كانوا قطعوها قد اعمت ابصارهم ومع ذلك فانها كانت اكثر مما كانوا يظنونها واكثر خوفهم كان من تغيير الابرة التي كانت دليلهم فتوهموا ان ليس غير ابليس اجرى هذا الانقلاب لكي لا يدخلوا في ملكه لكن يلزمنا ان نقول ان هذا التغيير يجري لحد الان وما من عالم تمكن من الاكتشاف على اسبابه.

اما كريستوف فاخذ يسكن روعهم وينشطهم ويتملقهم وكل ذلك لم يات سوى بنتيجة قليلة موقته . اما الريح فكان موافقًا للسفن غاية الموافقة لانها كانت تسيردون ادنى صعوبة وبقيت قلوعها منفردة عدة ايام دون تغيير وكان كريستوف يترنم بذلك وفي المسا كان يجمع اليه جميع البحرية ويتحادث معهم باشيا علمية مفيدة وبمواد مضحكة وهكذا بالتتابع اخذوا يصادفون بعض اشيا كان بعضها ينشطهم وبعضها يرعبهم . فاولاً وجدوا حشيشاً على وجه المياه لكنه كان بكثرة هذه مقدارها حتى تضايقت السفن عن مسيرها به فمنه ظن الاسبانيوليون ان البحر الذي كانوا به اعني به الاوقيانوس قد انتهت حدوده وان سفنهم عتيدة ان تصل الى هوة عميقة كانت تغطيها تلك الاعشاب . وتارةً كانوا ينظرون طيوراً غزيرة العدد ترفرف من الجهة الجنوبية ثم كانت بعض الغيوم تخال لهم انها ارض فيزول خوفهم لانهم عند ذلك كانوا يفرحون وكل منهم كان يظن انه عتيد ان يبلغ الى المحل المقصود هذا وكريستوف يسير دايما بالسفن في الجهة الجنوبية ويتامل في تلك المناظر المتنوعة . فالح عليه مرتين الونزو وبقية الضباط لكي يغير الطريق الجنوبية ويذهب بهم الى الجهة الصادرة منها تلك الاشارات فابى استناداً على ان لا بد ان

يبلغوا حدود الهند قريبا و بقيت السفن سايرة بسرعة في الجهة ذاتها
هذا والاسبانيوليون بالتدمر وكولومب بالتصبر ففي احد الايام هاج
الجميع حيث خاب املهم لان تلك الاشارات التى كانت ظهرت لهم
لم يكن لها نتيجة وعوضا عن ان يجدوا الارض المراد كشفها كان البحر
يزيدهم خوفا حيث كادت تعمي عيونهم لشدة احداقهم بالنظر ولم
يروا شيا حتي ولا جزيرة صغيرة وكلما كانوا يظنون انهم قربوا الى
المحل المقصود كان ظنهم بخلاف حيث لم يكن يرى امامهم سوى بحر لا
يحد طوله ولا يعرف عرضه وكان الريح الشرقى يزيدهم حزنا وكآبة
حيث بسببه اضحوا غير قادرين على الرجوع الى الورا والذي زادهم
رعبة هي المسافة الطويلة التي كانوا قطعوها اذ انها كانت ستمائة
وسبعين ميل. فطفقوا من ثم يتذمرون وينوحون ويلومون انفسهم
لاصغايهم لوعود كريستوف الكاذبة ويجدفون على الملكة ايزابال
لانها القت فيهم الى هذا الشقا باصغايها لهذا الرجل. وكانوا يقولون
لبعضهم البعض انه ما من احد ينسبنا الى الجبانة اذا عدنا الى الورا
فعند موافقة الريح نجري ذلك دون ان ننغش ايضا بالتمليق
وقد عمد البعض منهم ان يلقوا كولومب بالماء وطفقوا يقنعون
ارفاقهم بذلك موردين لهم احتجاجات مقنعة وانه من لازم الضرورة

لهم التخلص منه لانه لم يكن من الذين يعتمد عليهم وانه اذا القي بالبحر من هو الذي يطالب به فانه انسان مجنون قدحضر لبلادنا لا اصل له يعرف وقد كان موضوع الازدراء والسخرية لجميع ذوات المملكة فاذا تطالبنا به نقول انه سقط بالبحر ليلاً بينما كان يراقب حركات النجوم ومن كوننا بالاتفاق الكلي لا يحصل في كلامنا اشتبا

فاطلع كريستوف على هذه المؤامرة التي كانت جارية ضده وبدلاً من انه يضطرب قد بقي كما كان وزادت امانته بحمايته تعالى فجمع رفاقه جميعهم اليه واخذ يعاتبهم بما كانوا قاصدين ضده قايلا لهم انهم سوف ينسون كلما قاسوه من المشقات عند ما يبلغون الارض الجديدة ثم اخذ يلقهم لكي يكونوا منتبهين لواجباتهم وان الصبر عاقبته الراحة ونوال الارب لكنه لم يتمكن من اخماد ثورتهم فحينيذ رفع صوته وقال لهم: ايها الرفاق. اني لحد الان قد احتملت ما احتملته ولم تغيرني نوايب الدهر عن مقاصدي بل بقيت دايما مكدا ومجدا حتى اني توصلت لاقناع مملكة اسبانيا وقد سلمكم الملك والملكة لي والان ها اني مستعد لمقاومتكم الى اخر نسمة من حيوتي. فانا امركم باسم الملك فرديناند وباسم الملكة ايزابال ان تكونوا مستكنين ومنتبهين لواجباتكم والا عند ما اعود اجازي كلا منكم على فعله:

فعند هذا الكلام سكن الجميع واقسموا له بالطاعة التامة وانقشعت عنهم غيوم الضنك.

وفي ذات يوم دنى منه مرتين الونزو رئيس البينتا وقال انه يخال له انه ناظر يبساً في الجهة الشمالية والح عليه مع الجميع ان يسير بهم في الجهة المذكورة فرفض طلبهم وامرهم بان يبقوا دايماً في الطريق الجنوبية وفي غد ذلك النهار نظروا عصافير عديدة فاستبشر بها كريستوف لانه قال لو لم تكن الارض قريبة من هنا لما كانت هذه العصافير تطير فوق البحر. انما لسوء الحظ لم يكن الامر كما كان يظنه فضرب المقياس واذا بالبحر عميقاً فخاب امله من ذلك لان عادة البحر ان يقل عمقه كل ما كان قريباً الى البر وكانت عند الصباح تلك العصافير ترفرف مترنمة حول القلوع وعند المسا تطير الى الجهة الجنوبية وكان هذا المشهد سبباً للبكا والنوح اذ انه كان يهيج قلوب الاسبانيول المنكودي الحظ لندب بلادهم. وفي اليوم التالي اذا بسمك كثير عايم على وجه المياه حتى وصل الى ظهر السفن وباثنا ذلك نظروا اعشاباً كثيره كالسابقة فكل هذا كان يامِلهم بالوصول الى ارض قريباً ونوالهم مرادهم المنتظر منهم بفروغ صبر ولكن ياله من امل فارغ كان املهم فمضت على ذلك ايام وليالي

كثيرة وغير المياه لم يكن امامهم حتى اصبح النوتية بحالة يمكن لكل منا ان يحدها لاية درجة كانت مضنكة فحينيذ ثاروا ثانية وشملهم الياس وكانت تلك الثورة في المراكب الثلاث حتى ان الضباط تبعوا العموم واضحى كريستوف كولومب دون معين فاخذ يعدهم ويملقهم ثم يتهددهم ويونبهم الا ان ذلك كان بدون فايدة فاظهروا له العصيان وطلبوا اليه ان يرجع بهم حالاً الى الورا والا فيقتلونه ثم اخذوا يشتمونه ويهزأون به جميعهم ويشبهونه لرجل قد عدم العقل وما شابه ذلك. فعند ما راى الحال هكذا طلب منهم ان يطيعونه مدة ثلاثة ايام لاغير قايلاً لهم اذا ما وجدنا الارض بعد مضى الثلاثة ايام المذكورة حينيذ اعود بكم حالاً الى اسبانيا فقبلوا منه ذلك وجرى الاتفاق عليه خطاً بينه وبينهم. اما هو فكان متاكداً ان بعد المدة المذكورة لابد له ان يبلغ الارض الجديدة لان المقياس كان قد بلغ معه عمق المياه وعند ما اخرجه منها راى عليه اثار طين ومن هذه الاشارة تطمن ان اليبس قريب وباثنا ذلك امركم باستنتار الافكار واذا بعصافير وطيور مختلفة كانت ترفرف ومنتبهين لوات ثم راى البحرية قصبة ثم لوحاً ثم عصا مصنوعة بيد ثم ابتدات الرياح تختلف لاسيما في الليل فهذه الدلايل جعلت

كريستوف في الراحة التامة .

وفي مسا غد ذلك النهار بعد ان قضوا الصلوة الجهورية خاطب كريستوف رفاقه بهذا الكلام قايلا لهم : ايها الاسبانيوليون قد جرى ما جرى فينا لحد الان ومن الفروض المتوجبة على ذمتنا تادية الشكر لله سبحانه وتعالى الذي رافقنا في مسيرنا دون ان يعكر لنا كاس راحتنا بالنظر الى تغيير حال البحار وها اني اطمنكم ان بهذه الليلة نبلغ المرام ونكتشف الارض التي طالما تمنينا كشفها : فلم ينتبه له احد نظرًا لوعوده الماضية . فامر روسا المراكب ان يطووا قلوع مراكبهم وان يسيروا فيها بتلك الليلة سيرًا بطيا ليلا تلطم بشاطي ثم ذكرهم ايضا بما وعدت به الملكة اي انها تعطي ثلاثمائة دينار للذي ينظر الارض اولا واوعد ببدلة من مخمل حرير علاوة على جايزة الملكة .

الفصل الرابع

في اكتشاف الارض الجديدة وبيان هيئتها وهيئة سكانها مع تفاصيل ما اجراهُ كريستوف كولومب فيها .

وكانت تلك الليلة ليلة مفرحة زاهية لم تغمض لهم عين بها وكانت السفينة البينتا سايرة امام السفينتين الاخرتين فكريستوف

انفرد وحده واخذ يتامل بتمعن جميع الحركات التي كانت تحدث حتى كان قبل انتصاف الليل بساعتين لمح نورا كان تارة ينطفي وتارة يبان ولا زال مراقبا ذلك النور . وكان قلبه ممتليا فرحا كمن ينظر ذاته في اوطانه بعد ان بارحها عدة سنين واخذ يفتكر بانه قريبا ينال مرامه ويظهر لرفاقه انه ليس كما نسبوه عديم العقل وكان قد طار الرقاد من عيونه من جرا هذه الامور المفرحة .

ولما كان اليوم الثاني عشر من شهر تشرين الاول سنة ١٤٩٢ بعد نصف الليل بساعتين اذا بالسفينة البينتا قد اطلقت مدفعا وصرخ نوتيتها باصوات التهليل قايلين ها هي الارض . ها هي الارض فتربص بقية البحرية واكمنوا سرورهم ليلا يصيبهم ما اصابهم في الماضي ولبثوا ينتظرون ضو النهار ليتاكدوا ذلك وكانت تلك الليلة عندهم ليلة طويلة فان دقيقتها كانت كساعة لديهم وساعتها كنهار طويل واخيرا بزغ نور الصباح فصار جماعة البينتا يترنمون بترنيمات مطربة والتفت جميع رجال السفاين الثلاث فراوا على بعد مسافة ميلين لا غير جزيرة معترضة امامهم ذات احراش غضة وكان اول من نظرها رجل يسمى دودريغو برجيمو من سكان مدينة تريانا اصله من بلدة صغيرة تدعى الاكيلا لكن الذي استحق

الجايزة الموعود بها كان كريستوف لانه هو الذي نظر النور اولا.

فعقب ان بقي الاسبانيوليون ساعات طويله يترنمون فرحين مع بعضهم البعض عادوا الي كريستوف واخذوا يطلبون منه السماح على ما كان صدر منهم بحقه وكان البعض يجثون امامه والبعض يقبلون انامله والبعض يذرفون دموعا مظهرين له جزيل الاسف عما كانوا اجروه في مدة المسير ويعدونه بحسن السلوك وفرط الطاعة في المستقبل تعويضا عن سوء تصرفهم الماضي فرق لهم كريستوف ولاطفهم بمزيد البشاشة ووعدهم بنسيان كل ما اساءوا به نحوه

ثم اخذوا يقدمون بالسفن الي الشاطي وكان اندهاشهم عظيما عندما كانت تلك الجزيرة تبان لهم انها مخصبة ذات اشجار مثمرة واراض جيدة وعند ما كانوا على مسافة رسوا بالمراكب ونزل كريستوف بقاربه مع ريس البينتا وريس النينيا وتبعهم جملة من البحرية مدرعين بسلاحهم حتى نزلوا الى البر فصدحت حينئذ الحان الموسيقة شكرانا لله تعالى على نوال الارب وبعد ذلك امتثل كريستوف سيفه ونشر رايته المخصوصة ونادى باستملاكه تلك الجزيرة باسم الملك فرديناند والملكة ايزابال ولقبها اي الجزيرة المذكورة باسم

سنسالفادور وكان سكانها يسمونها غواناهاني والان تدعي كاتة ايسلاند تابعة جزاير الباهاما وهي على مسافة مائة ميل تقريبا من جزاير كاناريس . ثم نادى الاسبانيوليون بكريستوف اميرالا على البحار ونايب ملك على الاراضي المكتشفة وقسموا له يمينا مقدسة بالطاعة العميا

فلناتي الان للكلام عن سكان تلك الجزيرة فانهم عندما اصبح ذلك النهار اخذتهم الحيرة اذ نظروا المراكب الثلاث راسية امامهم فخال لهم انها شياطين خرجت من بطن الماء وازداد عجبهم عندما راوا بعد ذلك ما راوه من كريستوف ورفاقه في الجزيرة وكان ان ذلك اكثرهم انهزموا الى الاحراش مرتعبين ثم عاد بعضهم يجسون الاحوال لينظروا ما كان من هولاء واخذوا يتجراون جميعهم رويدا رويدا فكنت تراهم شاخصين غير عالمين كلما كانوا يجرونه امامهم التجربة وكانت الاكثر اعجابا لهم هيئة الاسبانيوليين وملابسهم ولونهم وسلاحهم اللماع لا سيما لحاهم وكانوا الاكثر يتعجبون بزيادة من كريستوف فانه كان تبان عليه هيئة الاحترام وكانت ملابسه من المخمل ولا يرجوان وكان الجميع ينظرون اليه فكل منهم لم يكن عندهم الا من الاسهر

المبرة وعليه فابتدروا يفرّون اليهم ويسكرونهم في لحاظهم وينالمون في خلقهم البيضا وفي هلاميهم الاحيم المزخرفة فاسر كريستوف من سذاجتهم ومن الثقة التي كانوا يظهرونها لهم وامر رفاقه بان لا يكسروا بخاطر احد منهم بل يدعونهم يجرون ما يشاؤونه فتعجب البرابرة من تلك الملاطفة وخال لهم ان المراكب كانها انحدرت اليهم من طبقات السماء وان الناس الموجودين فيها كانت من سكان السما وعندما اطلقت المدافع منها ارتعشت مفاصلهم وزاد خوفهم واكدوا بانهم آلهة سموية ومن ثم جثوا امامهم دلالة على احترامهم وخضوعهم .

اما كريستوفيو ورفاقه فلم يكونوا باقل اندهاش منهم مما كانوا ينظرونه فيهم لان القوم المتوحشين فانهم كانوا عريانين ذوي الوان نحاسية غامقة ووجوههم خالية من الشعر ورؤوسهم ذات شعر سود طويل وكانوا متوسطي القامة وذوي اجسام مختلفة جميعها تدل على الوداعة والحذر وجلدهم مبرقع بلون سماوي مع وكان معلق في آذانهم وانوفهم وفي رؤوسهم وجبينهم قطعا من الذهب وكما قلنا ففي مادي الامر خشيوا من المراكب ومن الاسبانيوليين لكونهم عندما لم ينظروا ما يخيفهم لم يعودوا يبارحونهم دقيقة واحدة

وكان الاسبانيوليون يهادونهم بعض هدايا طفيفة مثل دبابيس وابر ومرايات واشيا زجاجية وملابس كلها ذات ثمن بخس فكان سكان الجزيره يندهشون ويفرحون بها ويقدمون عوضها اثمارا لذيذة واعشابا ذات روايح عطرة ورماحا كانت شفراتها من حجر مروس ومن عظم سمك دلالة على ان معدن الحديد لم يكن لهم معلومية به فعند المسا اذ عاد كريستوف وجماعته الى مراكبهم ذهب معهم بعض هولا بقصد التفرجة والبعض لاجل الحصول على تلك الاشيا التي اهداهم اياها الاسبانيوليون لانها كانت عندهم شي يفتخر به من حصل على جزء منها

وفي الغد عاد كريستوف الى البر واخذ يجول في كل النواحي فلم يستفد سوى ملحوظات قليلة الاهمية فان سكانها كانوا على ما سبق الشرح وكان خبزهم من شرش شجري وكانت بيوتهم من خشب مسقوفة بورق الاشجار ولم يكن بالجزيرة ما يستحق الالتفات اليه ولكن لما كان بعض سكانها معلقين في انوفهم قطعا ذهبية سالهم كريستوف بالاشارة عن محل وجود هذا المعدن وعن كيفية وصولهم اليه فاجابوه بخطابه لهم ان اراضيهم ليس فيها منه انما وجوده في الجهة الجنوبية وقد فهم ايضا من الاشارات ان قوما

يأمونهم من الجهة الشمالية الغربية ويضطهدونهم ويقتلونهم ويستاسرونهم هذا ولما لم يجد الاميرال اشيامهمه اكثر تاهب للسفر الى الجهة الجنوبيه واخذ معه بعض رجال من تلك الجزيرة قاصدا ان يعلمهم اللغة الاسبانيولية ليتمكن من الاطلاع بواسطتهم على كل الامور فاقلعت السفن به وبرفاقه واخذت تسير الى الجهة الجنوبية حتى وصلت بين عدة جزاير مخصبة قريبة بعضها لبعض فذكرله الهنود حيث هكذا كان سماهم ان تلك الجزاير ان يحصي عددها فزار الاميرال كريستوف ثلاثة منها لا غير ولقبها باسم سنتاماريا وباسم فرديناندا وباسم ايزابالا وكانت سكانها كسكان جزيرة سنسالفادور الاولى وفي احدى تلك الجزاير وجد كلابا خرسا وقد لوحظ فيما بعد ان الكلاب الاوربا ويةكانت تفقد صوتها رويدا رويدا عندما كان الناس يحضرون بها الى تلك الجزيرة ووجد ايضا فيها جنس افة كبيرة جدا وغيره مما يستحق الالتفات لم يكن في تلك الجزاير العديدة

ولما كان الريح غير موافق لسير السفن التزم كريستوف ان يمكث عدة ايام في ما بين تلك الجزاير ولما وافقه اشار له الهنود بالتوجه الى الجهة الجنوبية فاجابهم الى ذلك وسار الى اليوم الثامن

والعشرين من تشرين الاول حيث اقبلت سفينه تجاه بر متسع ممتاز عن سائر الجزائر التي كان نظرها لحد ذلك اليوم وكان ذلك البر ذا جبال شامخة واحراش غضة وسهول شاسعة ومجاري ماء وافرة ووديان جزيلة وكل ذلك كان ذا منظر طبيعي يتعجب به.
فظن كريستوف انه لم يكن الجزيرة بل انه قسم من الارض انما قد افهمه الهنود ان ذاك هي جزيرة ويقال لها بلغتهم جزيرة كوبا وموقع الجزيرة المذكوره هو بين درجة ٢٠ و ٢٣ من العرض الغربي. فبقي مكدا راغبا في ان يكشف تلك الاراضي ويتعرف بسكانها لكنهم اخذوا بالانهزام الى الغابات من مجرد نظرهم المراكب اول مرة انما حضر رجل واحد منهم في قارب صغير الى الاميرال واخذ يتامل تلك البنايات الخشبية التي لم ينظر مثلها لحد ذاك الوقت فاخذ من ثم كريستوف يلاطفه ويعطيه بعض اشيا مزخرفة ثم نزل الى البر مع بعض رفاقه وتملكها رسميا كما كان عمل قبلا في سنسالفادور فخاف السكان وانهزموا ثانية ولم يقربوا اليهم مطلقا فحينئذ عاد ورفاقه الى سفينته وفي الغد ارسل رجلا من الهنود الذين كانوا معه مع ثلاثة من الاسبانيوليين لكي يخرضوا الجزيره ويقرروا لديه عن كل ما كان فيها فغابوا وحضروا ومعهم اثنين من سكانها

تلك الجزيره وقدموا له التقرير الاتي شرحه: اننا قد جلنا في الجزير
مسافة اثنا عشر ميلا فنظرنا الاراضي مزروعة وذات ابراد وافر
نادر الوجود وحاصلاتها هي الدرة لاغير ومازلنا سايرين الى ان
وصلنا لبلدة فيها قرب خمسين مسكن وبناؤها من خشب وعدد
سكانها من ثمانمائة الى الالف نفس وقد لاقانا ذواتهم واذ
اخبرهم رفيقنا من نحن زاد اعتبارهم لنا واخذونا بايديهم الى المدينة
وعينوا لنا محلا جميلا واجلسونا على كراسي من خشب مصنوعة
على كسم الحيوان فجوانب تلك الكراسي هي من الذهب الخالص
فعندما جلسنا اخذ ذلك القوم يجثون امامنا ويقبلون ايادينا
وارجلنا ويظهرون لنا مزيد الاحترام والخضوع دلالة على انهم
اتخذونا كالهة سموية ثم قدموا لنا شروشا مسلوقة لنا كلها وكان
اوليك كلهم من جنس الذكور وبعد ذلك بمدة وجيزة خرج
دولاء نحضر من ثم جماعة من الاناث يساوي عدد الرجال
واظهرن لنا ما كان اظهره الاولون من الاحترام والخضوع . ولما
اشرنا بالرجوع الى الورا قصد الجميع ان ياتوا معنا فرفضنا طلبهم
ولم نقبل سوى حضور مليكهم ونجله اللذان ماهما وقد اجريا معنا
كل ما يمكن من الليانة والخضوع

فبشكرهم كريستوف ثم شكر الملك ونجلة واستقبالها في مركبه الخصوصي وقدم لها كل لائق ثم اخذ يبين لهما بالاشارة انه يهمه معرفة المحل الذي فيه الذهب فدلاه علي الجهة الشرقيه دون ان يتمكنا من معرفة الاسباب التي كانت توجبه لذلك لان المعدن المذكور لم يكن له عندهم ادنى قيمة وسميا له اسم المحل هيطا فحينئذ هم على السفر اليه وقد انسر جدا من سلاجتها المداوة وداعه واقتلعت سفنه من امام جزيرة كوبا في ١٩ تشرين الثاني واخذ معه اثنا عشر نفرا من سكانها لكي ياخذهم الى اسبانيا وكان يلاطفهم ويداريهم جدا لكي لا يصعب عليهم مبارحة اوطانهم وبينما هم في الوسط واذا بالرياح قد تغيرت فاخذت المراكب الثلاثة تتقلب تارة الى اليمين وتارة الي الشمال وفيما هو الحال هكذا واذا بمرتين الونذو استغنم تلك الفرصة وتوجه بالبينتا لكي يكتشف معدن الذهب قبل الاميرال لان مرتين المذكور قد كان اختلف مرارا مع كريستوف زاعما ان له الحق مثل الاميرال لانه كان مقدما مبلغا من النقود لكن الاصح هو انه عندما نظر وجدان الاراضي بالذات اصل قصد ان ينفرد وحده ويفتش على معدن الذهب فاستغنم من ثم تلك الفرصة حيث كانت الافكار مشتولة

بالانواء وتوجه بسفينة البينتا الى حيثما شاء فعنــــد ذلك تكدر كريستوف وعاد متقلباً بهموم شتى أعظمها كانت الانواء المتعاظمة ثم فقدان البينتا التي كانت احسن سفينة بين سفنه ثم خوفه من ان مرتين يسبقه لنادي الملك فردينافد ويكون شرف الاكتشاف له ٫

ولما كانت الانواء تتعاظم التزم ان يعود الى الوراء بسفينتيه الباقيتين ورسى بهما في جزيرة كوبا التي كان خرج منها صارفاً زمانه في البحث عن كل شي في تلك النواحي المخصبة وعندما وافقــه الريح عاد الى الامام وما لبث حتى اقبل على جزيرة هياطي التي كان مدلول عليها وذلك في اليوم السادس من شهر كانون الاول وكان قبل وصوله اليها على مسافة ستة عشر ميلاً قد نظر جبالهــا الشامخة وسهولها الفسيحة الخضرة وانوارها الوافرة وغاباتها الكثيرة فعند المسا رسي باحد ى المين وسماها مينا سان نيقولا لكون ذلك النهار كان عيد تذكار القديس نيقولاوس ثم لقب الجزيرة باسبانيولا اي اسبانيا الصغيرة لانها كانت على جانب من المشابهة باسبانيا سواء كان بمراها البلاد فعلاً او بوجود طيور بها كانت انغامها تروق للاسبانيوليين وتذكرهم بانغام البلبل الاسبانيولي وفيما بعد تسميت تلك الجزيرة مدعوة جزيرة سان دومنيك على اسم مدينة

بنيت فيها ثم غلب عليها لقب هايطي الذي هو اسمها الاصلي .
فالمعنى وصول كريستوف ومراكبه قد ارتعب سكان تلك الجزيرة
كما كان جرى في بقية الجزاير وانهزموا من امامهِ الى الاحراش
فاجرى الاسبانيوليون ساير الوسايط لارجاعهم فلم يحصلوا على
نتيجة بل انهم بقوا منهزمين ولم يركنوا اليهم حتى ولا باية واسطة
كانت فاذ ذاك التزم كولومب ان يرحل من تلك الجهة الى
جهة خلافها املاً بانه يوجد اناس اقل خوفاً من اوليك وبانه
يصادف ايضا السفينة البينتا فسار الى الجهة الشمالية حتى اتفق لهُ
الامر ولرفاقه بوضع يدهم على ابنة هندية كانت بديعة الحسن
فلاطفوها واكرموها والبسوها ثيابا مزخرفة وارجعوها لاهلها
فاخبرت تلك الابنة اقاربها عما كان حصل لها من الترحاب
وانتشر الخبر في سائر تلك البلاد عن الاسبانيوليين وما عندهم من
اللطف واخذ من ثم سكانه يستخبرون الحقيقة من الابنة واخذوها
بالاحتفال الى السفن لكي ينظروا باعينهم ما كانت نقصه ولكي
يحصلوا على ما كانت حصلت عليه وكانوا مثل سكان جزيرتي
غوانا هاني وكوبا الا انهم كانوا بلون نحاسي ووجوههم تدل على
الخوف والجهل ووداعة الاطباع فبوصولهم لظهر السفينة

الاسبانيولية داهمهم الاندهاش مما كانوا ينظرونه فيهــا وخال لهم كالاولين انها منحدرة اليهم من طبقات السماء وكانت حلاهم متقنة جدًا بالذهب الذي لم يكن لهُ عندهم ادنى قيمة فاخذوا الاسبانيوليين يبادلونهم بها ويعطونهم عوضها دبابيس وابر واشياء مثل هذه خفيفة الثمن حسنة المنظر فتوطدت الصداقة بين الفريقين واخذ الهنود يهادون كريستوف ورفاقه من خبز بلادهم واثماره الخ ثم طلب اليهم بالاشارة ان يدلوهُ على الجهة التي كان يوجد فيها الذهب فاشاروا لهُ على الجهة الشرقية حيثما كان الذهب يلتقط عن الارض فبارح كولومب تلك الجهة وتوجه الي الناحية المذكورة متاملًا انه عن قربٍ يحظى بالمعادن الذهبية ففي برهة بضع ايام رسى في احدى المين وسماها مينا سان توما والارجح انهــا هي المينا التي تدعى مينا الاكول وكان ذلك في النهار الواحد والعشرين من شهر كانون الاول .

الفصــل الخامس

يحتوي تفاصيل غرق السنتامار يا في جزيرة اسبانيول وحسن الالتفات الذي حصل لكريستوف كولومب من قبل ملك تلك الجزيرة

انه عند وصول كريستوف الى سان توما اذا بمحتشدين من

قبل ملك تلك الجهة الشرقية حضروا اليه وكان اسم ذلك الملك
غوانا غاري فهذا عندما كانت بلغته الاخبار عن الاسبانيوليين
وعما معهم وما حوته صفاتهم الممتازة ارسل الى كريستوف المتقدمين
المذكورين لكي يرجونهُ بالتوجه اليه وارسل لهُ معهم هدايا ذهبية
منها كرسة من خشب كانت جوانبها كلها من الذهب الخالص
فاعتذر لهم كريستوف لعدم موافقة الريح وارسل من قبله اليها
اناسًا بملابس جميلة ليقدموا لهُ نيابةً عنه واجباته فتلقاهم بمزيد
الترحاب وبعد رجوعهم من بلاده عمد على التوجه بذاته الى
الاميرال ولما كان احد الايام اذا بالملك غوانا غاري مقبلاً الى
الاسبانيوليين يحمله اربعة اشخاص ويتبعه ما ينيف عن المائتين
نفر فتقدم الى الشط وطلب من كريستوف ان ياذن لهُ بالحضور
اليه فاجابه الى ذلك فحضر الى المركب ومعه شيخان كان يخال انهما
مستشاراه واكثر من مايتين نفر وجميعهم عريانين فكان كريستوف
اذ ذاك جالسًا على الطعام فعزمه فجلس معه على المائدة بكل انبساط
وعظمة واخذ يتناول من الاطعمة والمشروبات التي كانت تتقدم
لهُ ويشير بعد ذلك بتقدمتها الى اتباعه . ثم انه قدم بعد ذلك الى
كريستوف زنارًا وعدة سبايك ذهب فاعطاه الاميرال بدلاً عندا

من الكهرباء وزوج احذية لونه احمر ولحافاً من حرير وقنينة مملوءة
من ماء الزهر وريالاً مضروباً باسم الملك فردينناند والملكة ايزابال
فايقن الملك وجماعته بان هولاء الناس هم الهة سماوية ومن مزيد سروره
بالهدايا التي كانت اعطيت له اوضح بالاشارة ان ساير شعبه وبلاده هي
بقبضة يد كريستوف عند الحاجة واللزوم ثم اخذ يزور السفن
ويتعجب من ساير الاشيا التي كان ينظرها وكان اتباعه يحترمون
الاسبانيوليين ويكرمونهم كالهة حتى انهم كانوا يقبلون الارض
التي يدوسونها . ولما صار المسا عزم الملك على الاياب للبر فحياه
كريستوف باطلاق عدة مدافع ومن جرا ذلك تاكد الهنود ان هولاء
القوم هم الهة ويحكمون على البروق والرعود لانهم اي الهنود
لم يدركوا كيفية المدافع واسباب طلقاتها .

وبعد ذلك هم الاميرال كريستوف على السفر الى الامام في
الجهة الشرقية قاصداً مكان الملك غوانا غاري وقبل وصوله
وجه اليه ثانيةً معتمدين فاستقبلهم بغاية ما يكون من الاكرام
وصرفهم الى رئيسهم مقدماً له الرجا معهم بالحضور اليـــه فاسرع
كريستوف بالمسير صباح النهار الرابع والعشرين من شهر كانون
الاول حتى بلغ قبل انتصاف الليل بساعة لمحل يبعد عن منزل

الملك ساعه ونصف لا غير فهناك داهمه النعس لانه كان لم تغمض له عين منذ ليلتين فجالد في البداية عن ذلك واذ لم يكن له امكان لمقاومة التعب ذهب الى فراشه واوصى مدبر الدفة ان لا يسلمها لخلافه ولا يحيد عن الطريق الذي عينه له فرغما عن التوصيات التي وضعها لساير الجمهور فلم تغمض عينه الا ورقد الجميع غير مبالين بواجباتهم حتى ان مدير الدفه غرق نايما في سريره وسلم زمامها للادارة احد البحرية الذي بقي وحده سهرانا ومدبرا مع قصر معارفه زمام مسير السفينة . فبينما كان الحال كذلك واذ بريح قد هبت فوراً واودت بالسفينة الى تل رمل فشعر النوتي ان الدفة لحقت الارض فصرخ حينئذ باعلا صوته ملقيا الرعبة والخوف فنهض كريستوف عاجلاً واذ ذاك امر البحرية ان ينزلوا بالقوارب ويرموا مرساة السفينه على مسافة بعيدة لكي بتالك الواسطه يتمكن من ارجاع المركب الى الوراء اما هولاء لشدة خوفهم لم يبالوا باوامر رئيسهم بل انهم اهتموا بامر وقاية حيوتهم فالتجوا من ثم الى السفينة الثانيا فطردهم رئيس تلك السفينة ووبخهم لعدم امتثالهم لاوامر كريستوف الذي كان بتلك الفرصه ينزل الصواري ويرمي بالبحر الاواني الجزئية فيها لكي يخفف عن السفينة لكن

لقد ذهبت اتعابه سدى وانكسرت السفينة ستنتا ماريا من الورا ودخلت المياه فيها .

وعندما اصبح الصباح اعلم الملك غوانا غاري بما كان حدث له في تلك الليلة التعيسة وساله ان يرسل له اناساً من رعاياه لقيام الامتعه التي كانت في السفينه فعندما بلغ غوانا غاري المذكور ما كان جرى لضيوفه السماويين اكتأب جداً واذرف دموعاً وطفق ينوح كأن المصيبة كانت اصابته شخصياً ثم ارسل اناساً وقوارب كافية وبعد برهة حضر بذاته مع اخوانه واقاربه وتقلد بنفسه ادارة الحادثة براً وبحراً فبدل ان يغتنم الهنود تلك الفرصه لسلب الاشيا التي كانت ذات الاهمية عندهم فكنت تراهم مجتهدين في امر صيانتها فوضعوها في محل بقرب سراي الملك واقاموا عليها اناساً يحرسونها لبينما تتدبر لها منازل وباثناء ذلك كان كريستوف ورفاقه بحالة ذليلة جداً فاذ علم غوانا غاري بذلك ارسل لهم احد اخوته وابتدى يترجاهم والدموع تهطل من عيونه لكي يكونوا متصبرين على مصابهم وان كل ما يملكه الملك هو بقبضة يدهم . ثم اقام الملك حرساً مخصوصاً لصيانة الامتعة ليلاً وبعد نهاية كل هذا توجه بنفسه الى السفينة التي كان بها الاميرال كريستوف مظهراً له ان الملك

المصيبة كانت كانها المت به ثم دعاه الى البرج حيثما كان معداً له ولرفاقه مايدة وكانت تلك الوليمه من السمك مختلف الانواع واثمار عديدة وجنس وحش شبيه بالثعلب كان ماكل اهالي البلاد يسمونه الاولثيا . فغب مناولة الطعام اخذ الملك غوانا غاري كريستوف بيده الى مدخل الاحراش الغضه حيثما كان جمٌ غفير من رعاياه فاخذوا بامر الملك يرقصون بزي بلادهم لاجل تسلية الاسبانيوليين واجلا الكدر عنهم وعلى هذه الصورة كان غوانا غاري يبذل جهده ومجهوده في سبيل تسلية ضيوفه وكنت تراه محتشما لهم وملاطفًا اياهم ومنصبًا على اجرا الوسايط الفعاله لانشراحهم . فعندما كان كريستوف كولومب حايزًا على تلك الضيافة الحبية من هولاء القوم حرر رقيمًا الى الملك فرديناند وايزابال قرينته الملكة يشرح لهما به عن عوايد ذلك الشعب وعن اطواره وحسن مزاياه وعن حبه للغريب وهذا تعريبه

اوليا امري . ان العناية الالهية وانجاه انظاركم الملوكيه لنحوي ساعدوني و وصلوا بي الى مبتغاي تمامًا لاني رغما عن بعض عوارض في الطريق قد تمكنت من اكتشاف الارض التي كنت انذر بوجودها واكتشفت لحد الان جزيرتين وها اني الان قد اكتشفت

الثالثة وهي ممتازة عن الاولتين سواء كان باتساعها او بخصب اراضيها والذي انساني فقدان الساانتا ماريا هو شعب هذه الجزيرة المنطوي على الصفات الانسانية فاني اعده احسن شعب وجد في الدنيا لان اهله يحبون قريبهم كانفسهم وترون احاديثهم لطيفة يروق استماعها لاسيما عندما يتبسم المحادثون كانهم يريدون ان يجذبوا اليهم قلوب الذين يصغون اليهم فبالحقيقة هم عريانين لكنهم ذوي عوايد حميدة ليس لها شبيه حتى عند الشعوب المتمدنة ترون جلالتكم ملكهم مكرماً فهم يصغون لاوامره ويحتملونه وهو يلاطفهم دائماً اما الذي يدهشني زيادة فيهم هي ذاكرتهم الكبيرة ورغبتهم بمعرفة الاشيا المجهولة منهم واسبابها . انتهى . وكان حرر التحرير المذكور ليرسله لهما مع رئيس النينيا لكي يخبرهما بكلما كان جرى له من المصاب ويسالهما ارسال مركب ليعود لديهما لكنه تاخر عن ذلك كما سوف ياتي الكلام .

اما الملك غوانا غاري عندما نظر كريستوف ورفاقه ما يلين الى احراز الذهب اعطاهم عدة سبايك ووعدهم بانه سوف يحضر لهم جملة خلافها من محل يدعى سيباوا وكان يقول لهم بالاشاره ان في المحل المذكور موجود ذاك المعدن بكثرة هذه مقدارها حتى ان رعيته

لم نبالي بلمهِ . وكان الهنود من جهةٍ ثانية يعطون الاسبانيوليين سبايك كبيرة وياخذون بدلاً عنها اشيا طفيفة ولكي يتمكن القاري من معرفة زهد هولاء الهنود بهذا المعدن الثمين نورد لهُ الحادثة الاتية المثبوتة من الاميرال كريستوف ذاته : قال اني بذات يوم قد نظرت احد الهنود حاملاً بيده حجر كبير من ذهب فاخذ يطوف بين صفوف رفاقنا القليلة واذا باحدهم كان بيده مرآة ينظر الى وجهه فيها فبادله بها. هذا وكان غوانا غاري الملك بلاطف كريستوف دائمًا ووعد اخيرًا انهُ يحضر لهُ من الذهب قدرما تحمل مراكبه ولما كان الحال كذلك راق للاسبانيوليين مداومة السفر في تالك البلاد البعيدة اما كريستوف كان منشغلاً باشد الافكار من الحالة التي كان فيها لانه من مجرد افتكاره بانهزام مرتين الوندو الخاين و بفقدان السنتا ماريا كان يزيد اشتغال باله لا سيما عندما كان ينظر انه لم يبقَ لهُ سوى سفينة واحدة وهي النينيا وهي غير كافية لضم بحريتها وبحرية السنتا ماريا لانها كانت صغيرة ومن طبقة واطية فقال بنفسه بعد ان تمعن زمانًا طويلاً ما لي الآن ان اعود مع بعض رفاقي رغمًا عن الخطر لكي اعرض الى مالك اسبانيا شفاهًا عن الاراضي التي اكتشفتها لحد الان فصمم على ذالك واظهر

لرفاقه ما هو عليه فانسروا جدًا وكان اكثرهم من الذين يطلبون
منه ان يبقيهم بالجزيرة فعندما نظرهم هكذا عمد على الراي المحكي
عنه واهتموا بقيام منازل ومستحكمات للذين كانوا عتيدين ان يبقوا
بالجزيرة المرقومة وانجزوا قيامها ببرهةٍ قريبة وكان الهنود يسعفونهم
فعندما علم الملك غوانا غاري وشعبه ما كان من قصد ضيوفهم
انسروا غاية السرور واخبروهم ان قبيلةً مجاورة لهم تدعى قبيلـة
الغريب كانت تغادرهم دايمًا وان اهلها متوحشين ياكلون الناس
وانهم اي هنود الجزيرة يهربون من امامهم الى الاحراش لعدم
تمكنهم من مقاومة هولاء الاعدا . فحينئذٍ اوعدهم كريستوف بمعاضدتهم
على تلك القبيلة وفي ذات يومٍ احضر رجاله بكاملهم تحت السلاح
لكي يظهر لسكان الجزيرة ما كانت عليه رجاله من القوة والاقدام
وابتدوا يجرون الحركات العسكرية ثم يطلقون بنادقهم على
الاشجار ولما كان قد سلم مدفع واحد من السفينة سنتاماريا فاطلقه
الاسبانيوليون على السفينة المذكورة ففلقها من الجهة الى الثانية
فارتعب الهنود من ذاك المنظر ولشدة خوفهم انهزموا الى الاحراش
وظنوا ان الصاعقة سقطت في اراضيهم فعند ذلك اخذ كريستوف
يوضح لهم ان كل هذه القوة سوف يستعملها عند الحاجة ضد اعدايهم

فانسروا بذلك ولاسيما ملكهم ومكافاةً للاميرال رفع تاجه الذهبي عن راسه ووضعه على راس صديقه بكل احترام فاعطاه كريستوف عقداً ثميناً من اللؤلو كان يلبسه اعتيادياً مع خاتم من الفضة وبدلة كاملة من الارجوان وعلى تالك الصورة كان غوانا غاري وقومه يعطون الذهب للاسبانيوليين وهولاء يعطونهم اشياء طفيفة مزخرفة فكانت من ثم تالك الهدايا المتبادلة سبباً لتوطيد الصداقة الزايدة والثقة الفايقه بين الفريقين

ولما هم كريستوف على السفر لاسبانيا كان من لازم الضرورة له ان يبقي بجزيرة هايطي المذكورة الاشخاص الذين كان له فيهم اكثر ثقه سواء كان بمعارفهم او باماناتهم فاختار من ثم تسعة وثلاثين نفراً وقال لهم: ايها الرفاق. اني والقلب ملو كآبةً اخبركم باني عن قريبٍ اعود الى الاوطان الاسبانيوليه لكي اتقدم خبر اتعابنا ومشقاتنا للذين اهتموا بامرنا اعني بهم اوليانا المالك فرديناند والملكه ايزابال لكن بقلب مسرور اني عن قرب اشاهد ديارنا المحبوبة محفوفاً بالاكرام فباكثر من ذلك ترون احوالي حزينه لبارحتكم اذ قد حكمت الضرورة عليكم ان تبقوا بهذه الديار الغريبة انما الاخيار الامرين واجبات مهمه لكم هنا فبالحقيقه قد اكتشفنا البلاد التي طالما تمنينا كشفها

لكي تتمة هذا الاكتشاف هي منوطة بكم ومدركة على عهدتكم وعليه
فاعلموا ان دياكوارانا هو رئيسكم واذا لاسمح الله حاقت به المنية
فيكون خليفته ياترو غونا ر بزو وعند الحاجة والزوم يكون رودريغو
اسكوبنيو فيقتضي ان تكونوا منتبهين اليهم بكلما يامركم بهِ كلٌّ حسب
رتبته واحذروا ثم الحذر من المخالفة لاوامرهم لان عواقب ذلك مشومة
فانكم في بلاد غريبة وبين اقوام متوحشين فلا تاتيكم نفعًا لمقاومتهم
سوى بالاتحاد الزايد فيما بينكم فكونوا كالاخوة ولا يفرق الطمع
بينكم وكونوا ايضًا محبين لهولاء القوم الهنود فلاطفوهم وحاسنوهم
واجتهدوا ان تتعلموا لغتهم . اما انتم ايها الروساء فكونوا حليمين
بحكمكم ولا تضطهدوا رجالكم فاذا مست الحاجة اصرفوا جهدكم في
سبيل تعظيم شان الملك غوانا غاري وقومه واعتنوا معًا بلم الذهب
وفي المعلومية الكافية عن هذه الجزيرة فكونوا جميعكم متحدين
لان من الاتحاد تتلد القوة وكونوا جميعكم مقرين بجميل المالك غوانا
غاري . فها اني اودعكم واطلب دعاكم واسال الله تعالى ان يريني
اباكم عن قريبٍ :
فبعد ان تلي خطابه هذا اجابه الجميع واقسموا له بالطاعة
والمحافظه على ما اوصى بهِ . وفي النهار الثاني زار الاميرال المنازل

التي كانت بنيت وكانت من خشب ذات ثلاث قاعات كبيرة وبرج كبير من خشب ايضاً وضع بهِ مدفعين وحول هذه المنازل كان خندق كبير فسماه كريستوف الناتيفيداذ اي الميلاد تذكاراً لقيامه باثنا الاعياد الميلادية وكان الملك غوانا غاري وبعض قومه اذ ذاك اتوا لينظرون ما كان. ففي مساء ذلك النهار ودعه كريستوف فتعانقا واعطاه الملك كمية وافرة من الذهب واخذ يوصيه بالاشارة ان يحرض قومه على المساعدة له ثم ابتدا النوتية يعانقون بعضهم البعض فيا له من منظر يحن لهُ القلب فانك كنت ترى هذا يعانق ذاك وزيد يبكي وعمرٌ ينوح وهذا يكلف رفيقه بتبليغ تحياته لاهله وذاك يقول واسفاه على وطني المحبوب فعلى تلك الهيئة بارح الاسبانيوليون بعضهم البعض

وفي النهار الرابع من شهر كانون الثاني سنة ١٤٩٣ اقلعت السفينة النينيا غب ان حيت الباقيين في الجزيرة بعدة طلقات مدافع وكان الاميرال مكتئباً عند نظره تلك السفينة الحقيرة التي بقيت لهُ ولا سيما عندما كان يفتكر بخيانات مرتين الونذو وقد فاتنا ان نقول ان كريستوف اخذ معه من جميع انواع المعادن والاعشاب ومن ساير اجناس الطيور التي وجدها بتلك الجزاير المكتشفة ثم

جملة هنود من كل من الجزاير وذلك لزيادة اقناع البلاط الاسبانيولي الملوكي عما كان حرره عن تلك البلدان التي كان اكتشفها . هذا وفي النهار السادس من الشهر المذكور واذا بدالول السفينه يقول له انه يرى عن بعدٍ قلوعاً تسير اليهم فاسرعوا بسيرهم واذا هي بالسفينه البينتا فاسرع مرتين الونذو بالحضور الى كريستوف واخذ يعتذر له ان الارياح الزمته ان يبعد عنه وان لم يكن انفصل عن رفاقه بنيةٍ ردية . فلا شك كانت اعتذاراته احتيالية فمع ذلك قد قبلها الاميرال كصحيحة ولم يوبخه مطلقاً خوفاً من ان ينشي عن ذلك مشاجرات لاطايل لها فهناه بسلامته ولما كان قد احضر معه ستة هنود اربعة منهم ذكور واثنان اناث بقصد انه يبيعهم في اسبانيا كالجوار اطلقهم كريستوف الى البر بعد ان اعطاهم ثياباً فاغتاظ مرتين من ذلك لكنه اي الاميرال لم يبالي بهِ وهكذا اخذت السفينتان تشق المياه وحاز كريستوف على اطمنان البال بداعي البينتا .

الفصل السادس

في رجوع كريستوف كولومب الى اسبانيا وفيما حصل له فيها من الاكرام

وما زالت السفينتان سايرتان حتى بلغتا احدي المين حيثما

رست فحضر اليها جملة من سكان الجبال المجاورة وكانت تلك الجبال تدعى جبال السيفاي وهولاء القوم لم يكونوا مثل بقية الهنود بل كانت تلوح عليهم امارات القوة والتوحش ونظراً لما كانوا عليه من الاطباع الفظة التزم الاسبانيوليون الى محاربتهم فقتلوا بعضهم فظنهم كريستوف من قبيلة الغريب المحكي عنها فبلغه الهنود الذين كان مستحضرهم معه ان مركز تلك القبيلة هو في الجهة الشرقية فاغتاظ من ثم لعدم تمكنه من ابقا صلة العلاقات الودادية بينه وبين الهنود لانه نظر ان الدموم التي سفكها لابد من ان تكون سبباً في المستقبل لنفرة القلوب منهم ولكن بحسن تصرفاته اجتذبهم اليه وحاز على مبلغ من الذهب منهم فسما ذلك المحل جون الامهام والان يدعى جون سامانا فبارحه واخذ معه اربعة من سكان البلاد المذكورة .

فاقلعت السفن ولم تسير الاَّ قليلاً حتى هبت الرياح العاصفة وكان ذلك ليلاً بعد النهار الثاني عشر من شهر شباط فتعاظمت الانواء وهطلت الامطار واعمى الريح ابصار الاسبانيوليين حتى غدوا بحالة ذليلة يرثى لها فكنت ترى السفينتين تارةً تقذفها الامواج الى العلو وتارةً تلقيها بهوة الموج فتعاظم الخوف وكثرت الاخطار

وتمرمرت القلوب واشتدت الانواء واظلم الليل ودخلت المياه للسفن وطمت الامواج رووس صواري المراكب وازيادة التعس تقطعت الحبال وغدت السفن موشكة الغرق فخر البحرية وكريستوف معاً واخذوا يبتهلون ويتضرعون ويقدمون النذورات لنجاتهم ولكن كأن المولى لم يرتض ان يعفي بل ان الارياح بقيت تشتد والامواج تعلو والليل يدمس وتطول ساعاته فغدى الاسبانيوليون ينتظرون المنية دقيقة بعد الثانية وكان كريستوف يدبر ويصبر ولم يكن لاتعابه ولفصاحته ادنى نتيجة فحينئذٍ سلم امره لله وانفرد بمخدعه وابتدا يبتهل ويتوسل الى الحق سبحانه لكي ينجيه وينجي رفاقه والذي كان يزيده كآبة لم تكن خسارة حيوته بل انه كان عدم تمكينه من ان يعرّف اسبانيا وجميع الممالك عن ما كان اكتشفه فهذا كان يلوعه اكثر من الانواء والارياح . فتشدد وتبصر وسال وتضرع واخذ قرطاساً وحرر عليه باختصار عن البلدان التي كان اكتشفها وعن الطريق الذي اخذه وعن ما نظر فيها من الكلي والجزئي ثم وضع ذلك القرطاس ضمن نسيج ومسحه بالشمع لكي لا تخرقه المياه وتهريه وعلونه باسم الملك فرديناند والملكة ايزابال وحرر عليه هذه الكلمات : من يوصل هذا التحرير لاصحابه فله جائزة

الف دينار: ثم لف ذاك النسيج ضمن قرص من الشمع لزيادة الاحتياط ووضعه ضمن برميل وانزله في البحر فلم يدرك رفاقه هذا العمل فاخذ كريستوف يجرئهم وينشطهم وينصحهم لكي يسلموا امرهم لذاك الذي بقبضة يده البحار وحيوة الانسان وخطواته وعلى تلك الصورة لم يعد للاسبانيوليين ببال سوى الدقيقة التي تغرق بها السفن ويضحون فريسة الامواج ومونة السماك اما الذي كان يزيد اولائك القوم المساكين خوفاً هو ذاك الليل الدامس الذي لم يعد نهاية له وما من نجمةٍ كانت تبان في السحاب فحولهم كانت الظلمة وعليهم كانت الرياح العاصفة والامواج الشديدة واخيراً امامهم كانت كاسات المنية وما زالوا بتلك الحالة الى ان اصبح النهار ونظروا اليبس عن بعدٍ الا انهم لم يعلموا اية دنيا هو اما البينتا فكانت منذ الليل شتتتها الارياح عن النينيا وعندما اصبح الصباح ولم ينظر كريستوف اثاراً لها انغم جداً بسبب ذلك وخال له ان الامواج افترستها . ولكن ما العمل. فاخذ يتقدم بسفينته الى الشط رغماً عن شدة الانواء المتواصلة وبقي ثلاثة ايام على تلك الحالة فلما استكن الريح رسى بمركبه قرب البر وكانت تلك الجزيرة جزيرة سانتماري في جزائر اسورس التابعة لمملكة البورتوغال وبعد مضي ساعاتٍ

قايلة حضر اليهم بعض البورتوغاليين وسالوهم من اين والى اين ذاهبين فاجابهم الاميرال ان الانواء شتته اذ كان في احدى مين اسبانيا ولما بلغه ان بتلك الجزيرة كنيسة على اسم العذراء ارسل نصف البحرية لزيارتها لاجل تمام النذر الذي قدموه بتلك الليلة المشومة وامرهم ان لا يتعاقوا مطلقًا بل يعودوا اليه حالًا حتى يتمكن ارفاقهم من الزيارة مثلهم فتوجهوا وبقي ينتظر حضورهم بفروغ صبر وكان راقدًا في سرير اوجاعه يندب سوء حاله لعدم تمكنه من زيارة الكنيسة المذكورة لانه كان اصابه وجع في جنبيه من شدة السهر والاتعاب المادية والادبية.

اما اوليك القوم الذين توجهوا لزيارة الكنيسة لم يعودوا بالوقت المعين الى السفينة فمضي الزمان والنهار والليل ولم يظهر لهم اثار فتشوش خاطر رفاقه عليهم وما زالوا بتلك الحالة الى ان بلغهم ان حاكم تلك الجزيرة قد قبض على هولاء المنكودين الحظ واودعهم بالسجن لانه كان مامورًا من قبل الملك ان يجري هكذا. فاغتاظ الاميرال من هذه المعاملة السيئة وراقت بعينه حينئذٍ زيارة اطوار سكان جزيرة هايطي فراسل حاكم الجزيرة بالسلم ابتدائيًا فالح عليه ان يطلق له جماعته واذ لم يكن نتيجة حرر له التحرير

الآتي : اني باسم فرديناند ملك اسبانيا وباسم ايزابال ملكة كستيليا امال حاكم جزيرة سنتاري القابض على رفاقي بغير عدل ان يطلق سبيلهم وان لا فلم ابارح هذه الديار ما لم اهدمها واستيسر منها مائة نفر بورتغاليين . فعند ذلك خاف حاكم الجزيرة وارسل له معتمدين من قبله لكي يعرف اذا كان كريستوف ورفاقه هم من تبعة اسبانيا حقًا فاطلعهم الاميرال على تحارير الملك والملكة له فايقنوا عند ذلك وطلقوا سبيل الاسرى واستعذر له الحاكم بانه لم يكن عالمًا بانهم اسبانيوليين .

اننا لحد الآن قد رأينا ان هذا الرجل اوقته القدرة الالهية من الاخطار الشديدة وانها هي التي دبرت امره واقتادته بيدها السموية في سائر خطواته فكم من زمان صرفه في التوسلات والابتهالات للملوك ورجع خايبًا عنهم وبعد ان نال مطلوبه منهم كم تعاظمت عليه الشدايد وكم من مرة ثار رفاقه ضده باثناء سفره وقصدوا ان يعدموه الحيوة وكم من مرة تهدده الاوقيانوس وامواجه وبكل ذلك نراه دايمًا متكلًا على حمايته تعالى ولم تزحزحه نوايب الدهر عن الاعتقاد بمفعول الحماية الالهية فمن هنا ينتج ان المصاب الذي يحدث لنا بهذه الحيوة الزمنية فعواقبه تاتي لنا بخير وقد اتضح

لنا ذلك من كلما نظرنا ولحد الان في حيوة كريستوف كولومب
بالحقيقة ولو لم يكن كريستوف المذكور مريضاً باثناء تلك الحادثة
الاخيرة كان بلا محالة توجه مع رفاقه لزيارة كنيسة العذراء وعند
ذلك كان تمكن حاكم الجزيرة من القاء القبض عليه حيث جل
القصد من قبل ملك البورتوغال كان اهلاك كولومب فبكل هذا
مثلاً كافياً لنا لكي نقبل الضيقة والشدائد الاتية لنا بكل خضوع
ونعتبر رزايانا كصالح لنا ولاسيما اذا احتملناها بالصبر الجميل.

هذا فلما اطلق سبيل الاسبانيوليين وعادوا الى سفينتهم هم
الاميرال على السفر مغتاظاً ومتكدراً من حاكم الجزيرة لكن اطمأن
باله بانه عن قريب يبلغ محل قصده انما كانت الرزايا لم تزل مستنظرة
بعد بتلك المدة القريبة فبينما كان سايراً بكل هدو وسكينة واذا
بريح قامت وهبت الاهواء وكانت المصيبة الثانية اشد خطراً من
الاولى فمزقت القلوع وتعاظمت الاخطار وبقوا بتلك الحالة مدة
يومين وليلتين وفي الليلة الثالثة تكاثر الخوف لانه قرب انتصاف
الليل ارعدت وابرقت وهبت الرياح فاخذ كريستوف ورفاقه
يقدمون الابتهالات والنذورات ولم يخف عنهم كل تلك الليلة
وبقوا متيقنين ان لم يعد لهم مناص من الموت ففي الغد الذي كان

النهار الرابع من شهر اذار استقبلة التينيا في مصب نهر التج فرمى الاميرال رغماً عنه تجاه مدينة دوستيلو التابعة لمملكة البورتوغال ايضًا فتقاطر سكان المدينة اليه يهنونه بالسلامة لانهم كانوا مراقبين حركات السفينة عندما كانت تقلبها الانواء .

وحالاً اسرع كريستوف وارسل احد رفاقه الى فرديناند وايزابال لكي يخبرهما عن ايابه الاكتشافات التي كان اجراها وعن قرب قدومه اليهما . ثم ارسل رسولاً اخر الى ملك البورتوغال ليلتمس منه الاذن لكي يحضر الى ليسبونا لاجل ترميم سفينته لانه لم يطمأن له بال في مينا روستيلو اذ كان شاع الخبر عنه انه يحضر معه كمية وافرة من الذهب فاختشى من موامرة تحدث ضده هنالك لان سكان تلك المدينة كانوا فقرا الحال فاوضح بتحريره الى الملك المذكور عن ما كان اكتشفه وعن الطريق التي سار فيها حتى بذلك يذكره بالندم على الاشياء الماضية .

اما سكان مدينة ليسبونا عندما بلغهم اياب كريستوف كولومب اخذوا يتقاطرون اليه ينظرون ما كان استحضره معه من تلك البلدان الغريبة وعظيم كان عجبهم لما كانوا ينظرون الهنود والطيور والحيوانات والنباتات التي كان استحضرها معه من ذلك العالم

الجديد فكان جميعهم يندب سوء حالة وطنهم وعدم ادارة ملكهم لانه رفض طلب هذا الرجل الفريدة معارفه لما اراد ان يمدوه بالمال هذا وفي النهار الثامن من الشهر المذكور اذا بامرٍ من ملك البورتوغال حضر الى كريستوف بهِ يوذنه بالدخول الى حيثما شاء في ملكه ويكلفه بهِ معاً ان يحضر لديه الى مدينة فالبالريسو ثم انه اي الملك ارسل اوامر الى ساير رعاياه في ليسبونا وجوارها لكي يقدموا مجاناً كلما يطلبه كريستوف منهم .

فعند ذلك توجه كريستوف لديه حسب طلبه وقبل وصوله الى البلاط الملوكي حضر لملاقاته اوليك الذين كانوا يهزؤون به قبلاً وعند وصوله الى الدار الملوكي لاقاه الملك لخارجه وصافحه واجلسه بجانبهِ واستفسر منه عن اسفاره واكتشافاته فقص عليه كريستوف كل ذلك بايضاح فانسر الملك جداً وطفق يتندم علانيةً عن الماضي وعندما طلب كريستوف الرجوع الى سفينته عرض عليه ان يسفره براً على حسابه فلم يقبل وعند ذلك شيعه جمهور من الخيالة الى احد الاديرة حيثما كانت الملكة فقص عليها كريستوف تفاصيل سفره فاكرمته وفي النهار ذاته توجه الى سفينته . اما رجال البورتوغال وملكهم فاخذوا يتندمون لعدم اصغايهم الى كولومب

بالاول ولمزيد الحسد قصد البعض ان يتماونه فلم يوافقهم الملك بذلك .

فبارح الاميرال مدينة ليسيونا في الثالث عشر من شهر اداروما زل سايرا بموافقة الريح الى ان وصل لمدينة بالوس في النهار الخامس عشر منه . وكان له مدة سبعة اشهر ونصف في تلك الغيبة الجزيلة نتايجها . ففرحت تلك المدينة عندما نظرت البينتا تتقدم الى ميناها لانه لم يخطر لها ببال ان لكريستوف ولرفاقه وجود بعد بهذه الدنيا .

فتقاطر سكانها الى الشط وكان هذا ينظر الى اخيه وذاك صديقه فحينئذٍ ضجوا بصراخ الفرح وقرعت نواقيس المدينة وتعاظم السرور ودارت كاساته واطلقت المدافع برا وبحراً فنزل الاميرال ورفاقه الى البر وكانت شوارع المدينة تغص بازدحام ذلك القوم الملوء حبوراً فهناهم الجميع باياتهم سالمين وتوجه الغياب راساً الى كنيسة ماري جرجس ليسجدون شكراً لله تعالى ثم حرر كريستوف الى الملك والملكة لكي يخبرهم بوصوله الى مدينة بالوس ومكث في المدينة المذكورة مستنظراً ورود الجواب اليه .

ولنرجع بالكلام الى السفينة البينتا فانها اقبلت الى مينتا

بالوس في مساء ذلك النهار الذي بلغ كولومب بهِ اليها . وهذا ما قاسته فان الانواء كما قدمنا قد شتتها عن النينيا بتلك الليلة المرعبة المار ذكرها واودت بها الى مينا بيسكاي بالقرب من فرنسا وعندما نظر مرتين الونذو رئيسها شدة النو الذي كان جرى خال لهُ ان النينيا غرقت لا محالة وان كريستوف ورفاقه هلكوا جميعهم في باطن البحار وعلى ذلك حرر الى فرديناند وايزابال لكي يخبرهما عن ما جرا وعن الاكتشافات التي حصلت والتمس منهما الاذن بالتوجه لديهما لكي يقرر لهما لسانًا عن كل هذا ولما كانت قد استكنت الرياح عزم على التوجه الى مدينة بالوس ليستنظر ورود جواب خطابه فقبل وصوله الى المينا نظر النينيا راسية فيها فاكتأب وحزن جدًا ونزل الى البرخفية ومكث في بيته الى ان ورد لهُ الجواب الذي كان يامره بهِ الملك ان يحذر من التوجه لديه نظرًا لعدم سلوكه فساءه ذلك ومن جرايه اصيب بمرضٍ عضال قاده الى القبر انتهى .

وباثناء ذلك حضر الى كريستوف جواب تحريره من الملك والملكة وكانا بذاك الجواب يهنونه بايابه سالمًا ويستهمانه بسرعة الحضور لديهما لكي يتداولون سوية بامر سفرة ثانية الى العالم الجديد

وكانا معاً يثبتان له لقب كران اميرال ونايب ملك و بوندانه بجملة جوايز. فعند ذلك هم على السفر الى مدينة بارسالونا حيثما كان البلاط الملوكي واخذت الناس تتقاطر الى ملاقاته من كل جهة ولم يسبق قط لذلك مثيل سوى عند الرومانيين عندما كان يرجع احد قوادهم منصوراً الى رومية لانك كنت ترى الناس على الطرقات يضجون بصراخ الفرح ويحتفلون باياب كريستوف الذي كان راكباً جواده وامامه كان اولاً الهنود على هيئة بلادهم ثم الحيوانات والطيور التي كان استحضرها من البلدان الاميركانية ثم الحجارة الذهبيــة و واردات تلك البلاد ونباتاتها التي لم ينظر الاسبانيوليون مثلها وكانت على كريستوف سمة الاحترام وكنت تراه متبسماً للجميع ووديعا وما زال سايراً بذلك الموكب الاحتفالي الى ان وصل لخارج المدينة على بعد ساعة ونصف فهناك لاقته الداير الملوكية كلها ومشت امامه الى ان دخل المدينة فعنــد ذلك تكاثر الجموع وكانت الشوارع تغص من ازدحامهم . اما جلالتهما الملوكيــة فتنازلا لكريستوف بما لم يسبق مثله فانهما خرجا من دارهما لملاقاته واقاما ثلاثة اعراش في ساحة المدينة منهم عرش للاميرال واخذا ينتظران وصوله بفروغ صبر فعندما قابل اليهما وقفا وعند دنوه منهما

قصدان يخر ساجدا لهما حسب عوايد ذلك الوقت فنهضاه ومدله الملك يده واجاسه بجانبه وابتدى يقص لهما بتفصيل كلما كان حدث له ثم اراه قسمًا من الذهب وكان الملك والملكة وجميع الحاضرين يصغون له بمزيد السرور والاندهاش. فبعد ان فرغ من كلامه خر الجميع ساجدين وابدوا التراتيل الروحانية تشكرًا لله تعالى على ما كان ثم ثبته الملك ثالثةً بلقب كران اميرال ونائب ملك وكان كريستوف يسير دائمًا على يمينه وحصل على التفات زايد لم يجري لاحد حتى ولا لاولاد الملوك. وكل ذلك بصكوك رسمية ممهورة بختم الملك والملكة فنسمت سليلته من الاشراف وانعم عليه بعدة اشيا امتيازية التي لو اطلنا الشرح عنها للزم لها مجلد فنكتفي ونقول ان الموكب الاحتفالي الذي جرا لكريستوف كولومب لم يسبق له مثيل في التاريخ العمومي وبالحقيقة قد اكرمته اسبانيا بعدلٍ لانه اكسبها اموالاً شتى وشرفًا فايقًا لن يمحى ذكره الى الدوام.

فانحسد بعض ذوات المملكة من الالتفات الذي جرا لكريستوف كولومب من قبل الملك والملكة

وهذا ما يحدث اعتياديا في سرايات الملوك ففي ذات يومٍ اذ كان الاميرال مدعوًا للطعام مع بعض الذوات عند الملك ساله احدهم

السوال الاني : لو لم تكونوا اكتشفتم الارض الجديدة ما كان ممكنا للاسبانيوليين ان يكتشفوها : فلم يقصد الاميرال ان يجاوبه بفصيح العبارة بل انه اخذ بيضة وقال من منكم يستطيع ان يجلس هذه البيضة على احدى اطرافها واذ لم يتيسر لهم ذلك اخذها كريستوف وكسرها على المايدة من احدى اطرافها ووقفها بتلك الصورة معنيًا بذلك ان العالم الجديد من كون جرى اكتشافه فصار الان امرًا سهلًا للجميع

الفصل السابع

في تفاصيل سفر كولومب ثانيةً الى الارض الجديدة

فنشا من اكتشافات الارض الجديدة مشاجرات قوية بين ملك اسبانيا وملك البورتوغال وكان بذلك الوقت قد ابرمت معاهدة بين الملوك المسيحيين باثناء الحروب الصليبية بان يحق للحبر الروماني في النهي بامر الاراضي الوثنية التي يكتشفها احدهم واذ كان بذلك الوقت البابا اسكندر السابع على تخت البابوية فارسل له فرديناند معتمدين من قبله ليخبره بالاكتشافات التي كانت جرت باسم المملكة الاسبانيولية ويطلب منه تثبيتها له بموجب براءة مخصوصة

بالشروط الاعتيادية اي لانتشار الايمان الذي تؤيكي فيها فتحه الجزيرة المطلوبة في ٣ ايار سنة ١٤٩٣ فنشأ عن ذلك اختلاف بين ملك اسبانيا وملك البورتوغال فتوا سطوا البابا اسكندر الموما اليه لكن توسطه لم يكن نهائي فاتفقا مع بعضهما البعض سنة ١٤٩٤ وكان ذلك الاتفاق على الوجه الآتي وهو ان جميع الاراضي التي يصير اكتشافها في الجهة الجنوبية تكون ملكاً للملك كستيليا اي المملكة بزابال والاراضي التي يكتشفها البورتوغاليون في الجهة الثانية تكون على اسم مملكة البورتوغال .

ثم ابتدت التاهبات الى السفر ثانيةً في مينا مدينة كاديكس جرت التاهبات بسرعة هذا مقدارها حتى انه ببرهة قريبة تحضرت سبعة عشر سفينة كاملة الظروف ولما كان انتشر خبر السفرة الثانية في سائر المملكة تقاطر القوم الى كريستوف لياخذهم معه وكان منهم قاصدين شرف المملكة وبعضهم قاصدين الاقامة في تلك البلاد البعيدة فاختار الاميرال منهم كل من وجد بينهم متمتعاً بصحة جيدة وذي اطباع سهلة وكان منهم من اولاد الاشراف ومنهم من المزارعين ومنهم من الفعلة ثم اخذ معه اثنى عشر كاهناً لانتشار الايمان المسيحي برئاسة بوييال القس الذي سماه البابا نائباً رسولياً .

العالم الجديد .

اما ايزابال الملكة فاظهرت ما لا مزيد عليه من الميل نحو الهنود الذين استحضرهم معه كولومب وجرى احتفال عمادهم في كنيسة برسيلونا بحضورها وحضور فرديناند زوجها وولدهما البرنس جوان ثم ورث كولومب ان يكون مراعيًا حقوق الهنود وصوالحهم وان يقضي بالقصاص الصارم على الذين من الاسبانيوليين يتعدى عليهم اقل الاعتداء

وباثناء ذلك اخذ ملك البورتوغال يجهز عمارة قوية ظاهراً انه مصمم على ارسالها لجهات افريقيه لكن في باطن الامر كان له موضوع هذا التجهيز لارسال العمارة المذكورة الى الاراضي المكتشفة لكي يصير التولي عليها بالقوة . فاعتلم فرديناند بتلك الخيانة وهدمها بسياسة تستحق الثناء . ثم امر بسرعة تجهيز المراكب فاخذ كولومب بجد ويكد لهذه الغاية التي كانت مبتغاه وفي بحر مدة قريبة تجهز كل شي وهم على السفر وكان معه ليس فقط لوازم السفر بل كلما كان لازمًا لتشييد امنيته في تلك البلدان البعيدة مثل ادوات التجارة والبناء وما شابه ذلك ثم من الحيوانات التي لم يكن لها وجود في العالم الجديد نظير افراس واثوار وحمير ثم من كل اجناس

لحبوب والبقول قاصداً بذلك نموها في تلك الاراضي المخصبة
ولما كان الاميرال كريستوف يخال له ان الاراضي التي اكتشفها كانت قسما من الهند فسميت باسم الهند الجنوبي لتمييزها عن الهند الذي كان معروفا بذلك الوقت وسبب تسميتها بالجنوبي حيث الطريق المودي لها من اوروبا هو دائما في الجهة الغربية ودعي الهند الذي كان معروفا باسم الهند الشرقي اما الان من كون تلك الاراضي تلقبت باسم اميركا للجهة الجنوبي انما هي بهذه الايام الجزائر الموجودة في جون المكسيك .

ولنرجع الى ما كنا في صدده ونقول انه في اليوم الخامس والعشرين من شهر ايلول من تلك السنة اقلعت السفن عند شروق الشمس من مينا مدينة كاديكس ويا له من فرقٍ عظيم كان بين السفرة الاولى وهذه السفرة الثانية فانها اي الاولى كانت على ما ذكرنا بغاية الازدراء اما عند السفرة الثانية كنت ترى الناس يحسدون الذين كانوا متوجهين مع كريستوف ويعدونهم من القوم المنعم عليهم بسبب ذهابهم لاراضٍ مملوة من الذهب والخيرات ولدى حضور كريستوف الى السفن كانت جماهير عديدة تحيي امروه كمرور الملك بنفسه وكان اذ ذاك ولداه دياكو وفردينانده

اثنان معه لاجل وداعه

فلنقل ان السفن اقلعت من مينا كاديكس في ٢٥ ايلول وما زالت سايرة بامر الاميرال في طريق جزاير كاناريس الى ان بلغت اليها في النهار الخامس من شهر تشرين اول فرسي بها كريستوف عدة ايام هنالك حيثما تمون ماء وحطبًا وابتاع منها حيوانات كانت سهت عن باله . وفي الثالث عشر منه غابت السفن عن جزيرة الحديد لانها هي الجزيرة الاخيرة من جزاير كاناريس المذكورة وكان طريقها في الجهة الجنوبية الغربية لان الاميرال كريستوف كان يهمه جدًا اكتشاف جزائر الغريب المحكي له عنها عند سفرته الاولى وكان الريح موافقه جدًا فسارت السفن ثمانماية ساعة بحرية دون ان يعتريها ادنى عارض يكدر مسيرها واذ ذاك نقتصر عن الاسهاب بهذا الخصوص ونقول انه في النهار الثاني من شهر تشرين الثاني رسى الاميرال بسفنه في جزيرة جديدة سماها باسم دومنك تعريبها الاحدية لانه اكتشفها بنهار احد وذلك بعد مضي ستة وعشرين يومًا من مبارحته اسبانيا . فكانت تلك الجزيرة من جزاير الغريب المذكورة ومعروفة الان تلك الجزيرة باسم الانتيل الصغرى وحيث لم يكن لجزيرة دومنك المذكورة مينا حصينة التزم كريستوف ان

يقلع عنها وسار بسفنه واكتشف على عدة جزاير هذه اسما اخصها:
ماري غالنت والغوادالوب ثم جزيرتي انتيغوا وسان مرتين اللتان
بقيا مدة بملك الانكليز ثم جزيرة سان جان بورتوريكو الباقية
لحد الان بملك دولة اسبانيا وفي جزيرة الغوادالوب نظر الاسبانيوليون
ما يرعب المفاصل وهو انه كان مركب من مراكب سكان تلك
الجزيرة فوجد مركبا كبيرا كانت شتته الانواء ولما كانت بعض
بحريته باقية فيه كان هولاء القوم المتوحشون اخذوا يقطعونهم اربا
اربا ويشونهم على النار وياكلونهم وباثناء ذلك حضر الى ظهر المراكب
الاسبانيولية ولدان وست نساء فاخذوا يقصون على الاميرال
ورفاقه ما كان من عوايد سكان تلك الجزاير المتوحشة لانهم ياكلون
الذين يستيسرونهم وانهم اي الولدين والست نساء لما كانوا يسرا
عندهم فروا خفية ليلتجوا الى المراكب وطفقوا من ثم يسالون الى
الاميرال لكي يرثي اليهم وينجيهم من غضب ذلك الشعب الوحشي
فقبلهم كريستوف عنده في المراكب وفي الغد نزل الى البر لكي يحقق
مقالهم فلم يكن احد من السكان لانهم كان حاق بهم الخوف من تلك
المراكب التي لم يكونوا نظروا مثلها وتاليه ارسل دياكو مرك من
قباطين السفن لكي يخوض البلاد ويطلع على ما كان وكان معه

ثمانية انفار فتوجه ولم يعد بذلك النهار فاكتأب الاميرال جدًا من ذلك وخاف من ان دياكو المذكور ورفاقه يكونوا تصادفوا بذلك الشعب البربري ففي اليوم الثاني ارسل جملة فرق للتفتيش عليهم وكان مع كل منهم نفير فشرعوا يطوفون الاحراش وينفخون بالنفير فلم يوجدوا لا دياكو مرك ولا رفاقه الثمان وعادوا عند المساء ملما بهم التعب واخذوا يخبرون عن ما كانوا نظروه في تلك البلاد ما ترتعش منه الابدان خوفًا وفي غد ذلك النهار ارسل الاميرال ثانيةً الونزودي اوجادا ومعه اربعين نفر للتفتيش على دياكو المرقوم فغاب ورجع دون فايدة لان تلك الجزيرة كانت احراشها غضة جدًا ومجاري مياها غزيرة للغاية فعند ذلك انقطعت حبال الامال من قبل دياكو ورفاقه وهم من ثم كر يستوف على السفر قاصدًا جزيرة اسبانيولا المودوعين فيها رفاقه الاولين فبأثناء ذلك واذا بدياكو والثمانية انفار المار ذكرهم اقبلوا اليهم فاستفسر منهم الاميرال عن سبب غيبتهم زيادة عن الميعاد المحدد لهم فاخبروه انهم تاهوا ضمن غابٍ ذي اشجار وفيرة بهذا المقدار حتى ان اغصانها حجبت عنهم نور الشمس وانهم من جرا ذلك غدوا غير متمكنين ان يهتدوا على الطريق الاصلية وانهم صعدوا على تلك الاشجار لينظروا النجوم

لكي بواسطتها يتمكنون من الاياب الى الورا ولم ياتِ لهم هذا الامر بادنى فايدة لان تلك الاشجار كانت اغصانها غضة وشامخة وانهم ايسوا من حيوتهم فاخذوا بالتضرع و بالمسير في سبيل التقادير الى انهم بلغوا الى السفن فانسر كريستوف من رجوعهم سالمين .

فعند هذه التفاصيل تؤكد كولومب ان تلك المحلات هي جزاير الغريب المحكي لهُ عنها من الملك غواناغاري وعند خروجه بسفنه من جزيرة الغودالوب المذكورة رسى تجاه جزيرة سنتاكروا ولما كانت المياه خفت من المراكب فارسل قاربا يلي اوعيتها عن البر فصادفه قارب من قوارب سكان الجزيرة وتعارضه في مسيره وابتدى النزال فيما بين الفريقين وكان ضمن قارب الهنود امراتان متشددتان وكنت تراهنَّ ينهينَّ ربعهنَّ و يضربن السهام بكل عزوة ونشاط وقد اصاب سهم من سهامهنَّ درع رجل اسبانيولي فمزقه ثم جرح حامله جرحًا بليغًا فدام القتال متصلاً فتمكن الاسبانيوليين اخيراً من ان يستسيروا اوليك الهنود ولما كان احدهم مطعونًا برمح من الاسبانيول مات منه غب مضي بضع ساعاتٍ ثم توفى رجل اسبانيولي من جرح سهم مسموم قد كان اصابه فكل هذا ازاد الاميرال يقينًا ان تلك القبيلة المتوطنة في تلك الجزاير هي قبيلة الغريب

المار ذكرها وبانه كان ملتزما لمصادمة هولاء البرابرة في اي محل وجد فيه وكانت امام منازلهم عظام وجماجم بشرية تدل على توحش ذلك الشعب البربري

فبقيت السفن سايرة في تلك الجهة وكانت جزاير صغيرة وفيرة العدد ينظرها الاسبانيوليون بمدة مسيرهم فسماها كريستوف جزاير الاحدى عشر الف عذراء وحيث انها لم تكن ذات اهمية فلا نسهب الشرح عنها بل نقول انها كانت مثل الجزاير المار ذكرها سواء كان في هيئة اراضيها ام بسكانها البرابرة وامتنع كريستوف من خوضها لانه كان مشتاقا لمقابلة رفاقه الذين تركهم في اسبانيولا وزيد على ذلك كونه لم يتمكن من مؤانسة سكان الجزاير المرقومة فلم يلبث الا واقبل في اليوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور بالقرب من مينا الناتيفيداد الذي كان كما ذكرنا قد بناه لرفاقه في جزيرة هايطي واسبانيولا ولما كان الليل قد قارب ان يسدل ذيل ظلامه فارسل بعض قومه الى البر يتفحصون البلاد فعادوا واذ هم حاملين اشأم الاخبار وهي انهم قد نظروا البلاد مهجورة ووجدوا ثلاث جثث بشرية مربوطين في اعناقهم بالقشور لكنهم لم يعرفونهم هل هم من الهنود ام من الاسبانيوليين لان لحمانهم كانت بليت فاكتاب كريستوف

و بقي تلك الليلة متلوعاً بامر الهم والوسواس الى ان اصبح النهار فتقدم بسفنه الى مينا الناتيفيداد ورسي فيها على مسافة ميل عن البر وامر باطلاق المدافع املاً بان رفاقه يطلقون بدلها من منزلهم في الجزيرة وبذلك يكون زال عنه الوسواس الذي الم به في تلك الليلة الماضية ولكن يا لها كانت من امال فارغة لان المدافع التي اطلقت من السفن لم يجاوبها سوى صدى الجبال فتضاعف خوفه ونزل الى البر عاجلاً وهناك وجد البلايا لان من المنازل والقلعة التي كان تركها لم ينظر سوى رمة الخراب فكانت النيران افترست تلك الابنية وكنت ترى اسلحة اوليك القوم المنكودي الحظ وادواتهم وثيابهم مشتتة على الارض فحزن وبكي وتيقن انه لم يعد لقومه ادنى اثار فطفق ورفاقه يندبونهم وينوحون عليهم واذ ساروا قليلاً للامام وجدوا احدى عشر جثة اسبانيولية كانت فيها اشاير العذابات المرة فدفنوهم وعاد الاميرال عند المساء ليتداول مع روساء المراكب ومع خاص اعوانه عما يكون العمل وعمد الجمهور على ضرب سكان الجزيرة لانهم انسبوهم لهذا العمل وفيما هم بتلك الحالة ... واذا بعدة قوارب مقبلة اليهم ليلاً وفيها عدد وافر من الهنود ... بذلوا الاميرال ...

معرفته فصعدوا لظهر مركب كريستوف وكان ذلك القوم حاضراً
من قبل الملك غوانا غاري لكي يحيوا كريستوف من قبله لانه
كان اعتلم بقدومه ولما كان مقدامهم نسيب الملك غوانا غاري
المذكور اخذ يتص على كريستوف ما كان حدث لرفاقه
التعسا فترجم كلامه احد الهنود الذين كانوا توجهوا
لاسبانيا حيثما تعلم اللغة المذكورة وهذا هو تعريب كلام
نسيب غوانا غاري عن ما الم بالاسبانيوليين : ايها الصديق
الابيض ان ملكنا غوانا غاري قد ارسلني اليك لافتقدك لان
بهذا النهار بلغه قدومك لاراضينا وانسر جداً من ذلك فلا ريب
انك ورفاقك تلوح عليكم امارات الحزن على حالة رفاقكم الذين
تركتموهم في بلادنا والذي يزيدكم كآبة عدم تمكنكم من معرفة حقيقة
تنددهم فاخبرك بانه بعد توجهك من هذه الديار قد نظرناهم دائماً
بالاختلاف هم والذي سميته رئيساً عليهم ولم يكونوا قط ممتثلين
لاوامره فاخذوا من ثم ينهبون سكان البلاد ويقطعون عليهم
الطرقات ثم اوصل بهم الامر الى التوجه لجبال سيباوا حيثما هو الذهب
الذي نظرناكم دئماً تعتبرونه فهناك ابتدوا يتعدون ويتطاولون على
الاهالي بما لا مزيد عليه فعندها اغتاظ مالك تلك الجبال من س

تصرفهم واسم ذاك الملك كاوزانابو فجمع رعاياه وانقض على رفاقه
بساعة لم يكونوا يخالونها فبددوهم وسفكوا دماهم ولما كان بعضهم
في المنازل فاذا بذات يوم قد حضر كاوزانابو اليهم وباغتهم وحرق
منازلهم ونهب امتعتهم فعندما بلغنا ذلك امر ملكنا غوانا غاري
بان ناخذ سلاحنا وسار امامنا قاصدين اخذ ثار نزلائنا فدارت علينا
اسواق المنايا وفتك بنا الجبليون وجرح ملكنا بجنبه وقتلوا بعض
قومنا فانهزمنا من امامهم واذ ذاك نهبوا قريتنا المتوطنين نحن فيها
واضرمت نيرانهم في ساير منازلنا . فهاك ما جرى ايها الصديق وها
اني باسم غوانا غاري اقدم لك التحية وارجوك ان تذهب اليه
لينظارك لان جرحه لم يمكنه بان ياتي اليك :

وغب ذاك مكث الهنود بعض ساعات في المراكب
الاسبانيولية وانصرفوا غب ان حاذوا على اعظم الالتفات

اما كريسنوف بقدر ما كان حزنه من جرا الرزايا التي كانت
المت برفاقه سكان الناتيفيداد فبعد ذلك انسر لدى حضور نسيب
الملك غوانا غاري وايضا واقعة الحال لان على ما ذكرنا كان
الاسبانيوليون نسبوا الهنود للخيانة فتمكن بذلك من ان يجلي عنه
قبلاً غيوم الشك بخصوص الملك المرقوم وربعه لانه اي الاميرال

كان لهُ مزيد الثقة بهِ نظرًا لما كان اجراه من المعروف بعد السفرة الاولى انما لم يتيقن جميع الاسبانيوليون في كلام كريستوف وطفق بعضهم يطالبون اخذ ثار رفاقهم قايلين ان المؤامرة هي من قبل غوانا غاري وان كلما قدمه لهم من الود هو محض كذب وبهتان فعندها خاطبهم كريستوف بهذا الكلام الاتي الذي يتضح منه كبر فهم هذا الرجل الفريد وان التمعن بالامور من شانه زيادة توطيدها بدرجةٍ جيدة . فقال ثم ان الرزايا التي حصلت بني وطننا بهذه البلاد البعيدة قد المّت في صفات جميعنا ويحق لنا ان نحمل على اخذ الثار ونبيد هولاء الهنود وملكهم . فتلك هي الاحساسات البشرية

لكن عند امعاننا النظر بذلك نرى ان هذا الراي مبني على غير رصدٍ اذ بذلك تغيرت القلوب منا ونضحي غير قادرين على انفاذ مرغوبنا لانه لربما ان يكون الحال كما قصه علينا معتمد و الملك غوانا غاري ولو فرضنا الامر مثلما نحن مخمنينه هل لا يوجب علينا ان نرزن ونتربص حتى نكتشف على الحقيقة . فالواجب علينا الان ان نظهر لهولاء القوم اننا اصدقايهم وحلفايهم واننا الواثقين فيهم فهذه هي الطريقة الوحيدة التي توصلنا الى غايتنا وتشيد معالاتنا

وتمكنا من ان نمتلك بالحيلة ثاري هذا الشعب الساذج فعلينا اذا بالتصبر وعلى الله المدبر لان العناية الالهية قد دبرت اموري لحد الان وهي التي لقنتني بهذا الكلام الذي خاطبتكم بهِ :

فاثر هذا الكلام غاية التاثير وفي الغد نزل كريستوف الى البر قاصداً زيارة الملك غواناغاري فوجدهُ منصاباً بجرح بالغ في فخذهِ كما كان فرر له نسيبه واخذ يوضح لهُ انه مستمر في الصداقة الاولى مع الاميرال ولاجل توطيد كلامه اعطاه ما ينيف عن الثمانية صدفة لان ذلك كان الهنود يعتبرونه ثم ما ينيف عن مائة سبيكة من الذهب ثم ثلاثة قشور لقطين مزوقة شقف صغيرة من الذهب ايضاً وكان وزن تلك الهدايا ينيف عن المائتين ليبرا . ثم هاداه الاميرال جملة اشيا كان استحضرها لهُ من اسبانيا .

ولكن لما كان حلَّ ما حلَّ بالاسبانيوليون من الرزايا برّاً وبحرًا في تلك الاراضي حيثما كانت النافيدا ضاج الملاحون بسبب ذلك وكرهوا الاقامة بها معتقدين ان لاعلاها كوكباً يساقط عليها النكبات وزيد على ذلك كان مناخها رديٌ وارضها واطية معرضة دائمًا للرطوبة وخالية من حجر البناء وقحطاة بالغلو لايرادها فكل هذا كان سببًا الكريستوف كولومب على ان يكره ذلك المحل

مثل رفاقه وشرع بالتبصر في موضع ذات موافقة لقيام مدينة فيه وبعد التفتيش الزايد عمد باتفاق الاراء بان يشيد المدينة المقصودة في محل يبعد عشر ساعات عن الناتيفيدار بالقرب من جبل يدعى الان المونتو كريستواي جبل المسيح وبالحقيقة كان هذا واقعاً بمحله لان المحل المرقوم كان بالقرب من جبال سيباو الحاوية المعادن الذهبية خلا عن انه كان موافقاً للدافعة في الحصار لان الجبهة الاولى كانت صخور طبيعية شامخة وفي الثانية احراش غضة جداً وفي جواره سهول شاسعة يسقيها نهران . ومن ثم نزل الاسبانيوليون من مراكبهم وركزوا في السهول المذكورة بالقرب من نبع ماء عذب ونزلوا كلما كان معهم من الادوات المقتضية للبناء ومن الحيوانات اللازمة للشغل ثم افراسهم وسلاحهم وذخايرهم وشرعوا بالعمل بكل نشاط وهمة ولم يكن احد منهم معفياً من الشغل وقد سهينا بان نقول ان في اثناء الذي ابتدأت به تلك العملية اقام كريستوف مذبحاً وزينه [illegible] الاحتفالات الدينية عليه ثم بارك الكهنة [illegible] المدينة التي كان مقصود قيامها باسم ايزابيلا [illegible] الزوال

فاخذ الجميع يدسمون على العمل وفي برهة وجيزة تكونت

تلك المدينة الاولى التي بناها الار وباويون في العالم الجديد فمحلاتها الجميلة نظاير المعابد والمخازن وبيت سكن الاميرال فبنيت من حجر صلب اما بقية البيوت كانت منها من خشب ومنها من لبن ومنها من قصب وبقي الحال مستمراً بالسرعة الزايدة الى ان لاشى الاسبانيوليون من التعب وطفقوا يتذمرون على الاميرال ولزيادة التعس دهمتهم الامراض والمتاعب الناتجة من حرّ المناخ وطلبوا الاياب الى اوطانهم بكل الحاح والذي كان يزيدهم كرهاً بتلك الاراضي الغريبة كان ملة وجودهم ما كان غرضهم على هجر اوطانهم التي بها المعادن الذهبية والفضة كون الاميرال كان منعهم المنع القطعي عن التفتيش عليها قبل انجاز بنيان المدينة . وهكذا كان الحال يتضاعف يوماً عن يوم وكريستوف كولومب يشدد ويسليهم رغماً عن حالته الضعيفة كونه كان اصيب بالمرض مثلهم . فلما زادت الامراض وتشددت التذمرات ضده وقف الشغل مدة ومع ذلك لم يسكن حالهم بل عولوا على السفر ووافقهم البعض من روساء السفن فنظر الاميرال حينئذٍ ان لا مناص له من ترددهم لان الثورة غدت عمومية بينهم وعلى ذلك ارسل بعض الفرسان الى الداتيفيلار ليكتشفوا على الاماكن التي جُرِّبت بها قبل توجهه الى اسبانيا في مدة

السفرة الاولى وما ذلك الا املا لان يوجد فيها قسم من الذهب كان بعض المتوانيون بذلك المحل وهكذا قال له فعاد البدويون اليه بعد يومين . فبعد ذلك جمع ذوات ساسه الى سرير اوجاعه ليتداولوا بما يأول لنجاح المصلحة وبعد مداولات كلية قال لهم : اني ارى حسنًا بتوجه بعض الفرسان الى جبل مينا والكي يحققوا على وجود الذهب فيها و بعد ايابهم اذا كان للامر حقيقة تكون مكافيتنا على اتعابنا ومنفقاتنا و يصير قومنا يذهب الى الجبال المذكورة حينًا بعد حين و بذلك تتوطد علاقاتنا بهذه الديار ونصير من الذين خدموا الهيئة الاجتماعية وشرفوا وطنهم فاستحسن الجميع رايه واسر العموم موقتًا .

ولما كان من جملة الفرسان رجل يدعى الونزو دي اوجيد فريد بالشجاعة ولا يبالي بالاخطار مهما كانت عظيمة فكان الحظ له بتلك الحملة المملوءة اهوال وزد على جراته فانه كان من ذوي التدابير الحسنة فاستحضره الاميرال وبلغه المامورية واعطاه الحرية بان يختار الذي يشاه لمرافقته فاخذ من ثم الونزو يعرب فرقة من الفرسان وقومًا من المشاة عليهم الاعتماد حين اللزوم وسار واياه بوسط الاحراش مندرعين بالسلاح الكامل وبعد الوصول

ذاته توجه خلافهم الى الجهة الثانية من الجبال المذكورة تحت رياسة من كان يدعى عزفلان . وكان ذلك في اوايل شهر كانون الثاني سنة ١٢٩٤

فالونزو ورفاقه المحكي عنهم اولاً اجتازوا سلسلة الجبال الاولى في معابر ضيقة خطرة ولما كانت في الجهة الثانية من تلك الجبال سهول واسعة قايم بوسطها عدة قرايا وبعض مزارع ومكاللة بالاحراش فجعل الونزو طريقه فيها واخذ يطيف بها وكان اهالي تلك الضياع والمزارع يتلقونهم بالترحاب ويكرمونهم بسائر حقوق الضيافة هذا وما زال الونزو ورفاقه يجتازون تلك السهول بكل صعوبة حيث كانت مجاري المياه فيها غزيرة حتى بلغوا جبال سيباو فهناك ظهرت لهم ادلة غناها الطبيعي لكونهم كانوا يرون الذهب على عرض الدروب ولاسيما في مجاري المياه فان تلك المجاري المنحدرة مياهها من قمة الجبال كانت تحمل رملاً ضمنه برقيات ذهبية ووجدوا في غالب المحلات قطعاً من هذا المعدن الثمين وبوجه العموم كانت سائر الصخور والاحجار ذات عروق ذهبية وقد وجد الونزو وحده في احدى السواقي سبيكة وزن سبع اوقيات فعلى ذلك عاد بجماعته الى ايزابيلا ... [illegible]

الاميرال كريستوف كل ما كانوا نظرونه وشاهدونه وباثنايه عاد عزقلان وجماعته ايضاً وقرروا مثل الونزو . فعنده تنشط الاسبانيوليون وزالت عنهم تلك الاشيا المكدرة وتاملوا بتحسين حالهم في المستقبل . اما كريستوف لم يكن باقل فرح منهم وعمد على تبليغ المملكة عن كل ما كان فارسل اثنى عشر سفينة من سفنه الى اسبانيا تحت امر انطونيو دي طورمس وارسل معه مساطر الذهب والنباتات والاثار التي وجدت مع اليسرى الذين قبض عليهم من قبيلة الغريب كما سبق قولنا بصددهم وكان اجل قصده بارسال هولاء لاجل وضعهم بالمدارس وتثقيفهم باللغة الاسبانيولية وبالقواعد الدينية حتى فيما بعد يقضوا بوظيفة تراجمين وبوظيفة مساعدين لاهتدى بني وطنهم الى الايمان المسيحي ثم بعث بتقرير مع انطونيو المذكور يوضح فيه تفاصيل ما كان اجراه لحد ذلك الوقت لاسيما تنبا اكتشفاه الونزو وعزقلان ضمن الجزيرة قايلاً متى مكنتني صحتي سانوجه حالاً ورفاقي واخوض البلاد بالتدقيق واجمع الذهب والجواهر وارسله الى مملكة كستيليا . ثم قال به عن خصب الحقول وطلب ان يجدوه بالذخاير اللازمة لربعهِ لبينما يصير التمكن من ان العملية تكفي بعضها فعند وصول انطونيو بعمارته الى اسبانيا قد السر

للملك والملكة من بشرائهِ وفرح جميع الشعب بنجاح بنيه .

وبينما كانت اوروبا باسرها مندهشة في ذاك التوفيق الغريب كانت الاحوال بخلاف في مدينة ايزابيلا بداعي روح السوء الذي ظهر بين الاسبانيوليين في تلك الديار البعيدة لكونهم كانوا اعيوا من التعب وارتعبوا من الامراض التي كانت لم تزل تصيبهم فطفقوا يتذمرون وينوحون واضحت لهم تلك البلاد شنيعة كرهة وعمدوا كلهم على الرجوع لاوطانهم وكان رئيس تلك الاختباطات برنال دي بيزا مامور المالية فانهُ بعطانة رفاقه وبيناكان الاميرال كريستوف يتنقلب في سرير اوجاعه عمد الى برنال على ان يستولي المراكب الباقية ويقلع فيها حالاً الى اسبانيا مع المتذمرين فعلم الاميرال بذلك والقى القبض عليه وعلى اكثر مجرمين واعد ضدهم القصاصات المستوجبة لخيانتهم فحينئذٍ نفر منه الجميع ولم يعد لاحد ثقة بهِ ومن كونه كان غريب جنسهم لم يعد لهُ امل باحد منهم وهكذا استمر الحال الى ان رويداً رويداً توفق لهُ ان يجتذبهم اليه بحسن تصرفاته وبتلك الملاطفة التي كانت طبيعية معه وبكبر تدبيراته التي ذكرناها باسهاب اكثر من مرةٍ ولما مكنته صحته عزم على التوجه بذاته ليخترض البلاد واختار اشد ناسه لكي يتوجهوا معه

وسلم امرة المدينة الى اخيه دياكو وتوجه باربعماية نفر في النهار ١٢ من شهر اذار سنة ١٤٩٤ وكان قومه مسلحا بالسيف والرمح والارقابوز (جنس بندقية كان بذلك الوقت) والاربالات (جنس آلة تشابه لرشق الاسهم او لحجار قدر كبرها وصغرها) وكان الفرسان كلهم لابسين الدرع والطاسة ثم علاوة على الجيش استحضر معه عدة فعلة وحفاري معادن وكان جملة من هنود الجزيرة يرافقون ذلك الجيش البهج الذي بعد ان عبر اولاً السهل الاولى ثم نهرين فركز عند غروب الشمس بقرب معبر ضيق ومحاد بالصخور الشامخة وفي التالي سارت الجيوش واجتازت ذلك المضيق بعد ان صادف صعوبات كلية ولما تم ان بلغ جهة الجبل الثانية فمنها نظر الاسبانيوليون ما راق لهم نظره وانساهم اوجاعهم الماضية وهي انها كانت سهول شاسعة تمتد امامهم مخضرة منصبة تنسر بها القلوب وتبسم لها الافكار المغمومة ولما كانت كذلك سماها كريستوف الفاغارو ال بالاسبانيولية تعريبها السهل الملوكي .

فعقب ان اجتاز الاسبانيوليين ذلك الجبل انحدروا الى الفاغا بكل نظام وترتيب وكانت الالات الموسيقية تزن الحانها المطربة وترنخ الجبال المجاورة من صداها وكمت ترى ذلك الجيش

القليل فرحانين وناسيين ما كان قاساه من الالام في ايزابيلا اما سكان تلك الاراضي عندما نظروا الاسبانيوليين وخيولهم وسلاحهم اللامع شملهم الخوف والذي كان يزيدهم رعبة هو منظر الفرسان فخال لهم ان الجواد وخياله هما حيوان واحد وبالحقيقة كان من عجب زائد شملهم عندما نظروا الفرسان المذكورين ينزلون عن افراسهم ففزعوا وانهزموا الى الاحراش من امامهم فاخذ كولومب ورفاقه يؤانسونهم فزال الخوف عنهم واشرعوا يتقدمون كلما كان يمكنهم للاسبانيوليين من مأكل وغيره انما لم يقبل الاميرال شيئاً منهم الا بثمنه العادل.

هذا وما زالوا سائرين على تلك الهيئة المبهجة الى ان بلغوا بعد ثلاثة ايام لاقاصي ذلك السهل فاجتازوا نهرين اولهما كان الهنود يدعونه الباغي بلغتهم فسماه كريستوف نهر الخصب وثانيهما سماه نهر الاخضر نظراً لما كان حوله من الاعشاب والبقول المخضرة ثم بلغوا الى جبال عالية محاطة فيواسطتها كانت مملكة سيباوا المقصودة فاجتازوها غير انها كانت مثمرة وسيعة المرور وما زالوا سائرين حتى بلغوا سيباوا بعينها فهنالك ضعفت امالهم لانهم لم يروا سوى بلاد خبطها ذا مجاري مياه وافرة وذا اراضي معرضة وذا صخور كبيرة

وبالحقيقة كان اسم البلاد المذكورة يطابق الى منظر لفظة سيبالا ملفوظ المنوه انما في تفسير بلاد الصخور .

ولما هم يجولون به واذا بالذهب مغطياً وجه الارض ولامعا في مجاري المياه فاخذوا يلتقطونه وعند ذلك ايقن كريستوف بكلما كان حكي له عن ذاك البلاد وشرع في تشييد قلعة باحدى جهات البلاد التي كان يبان فيها وجود الذهب بكثرة وسمى القلعة المذكورة باسم قلعة سان توما معنياً بذلك عن الذين من رفاقه لم يكونوا يثقوا بالخبر في وجود المعدن الثمين حتى نظروه باعينهم ومسكوه بايديهم .

ولما كان جاري الاهتمام في قيام القلعة المذكورة فارسل الاميرال نحو مادريد من وجاق الفرسان يدعى خوان دي لكسوان مرافقه بعض انفار وامره ان يخوض تلك البلاد جيدا . فرجع اليه بعد مضي بضع ايام واعطى تقارير مسرة عن وجود المعادن الذهبية بكمية وافرة وعن خصب اراضي جبال سيبالو و باكثر مما كان يظن بها لانه اي خوان المذكور كان صادف بانتشاره منفرع كرومات الاملاح المعدنية بكمية كبيرة وكان لكل واحد من اوديا نهر ان على الجبال فتبا من ترياته تخلطها قم ... [illegible]

هذا وكان سكان البلاد يأتون الى القلعة المذكورة ويبادلون الاسبانيوليين باشياء لطيفة مبهرجة ويعطونهم بدلها الذهب ومن الجملة حضر بذات يوم رجل حسن واعطى الاميرال سبيكتين من ذهب واخبره انه على مسافة يومين يوجد بلادا به الذهب بكثرة وغالبه سبايك على قدر الليمونة وغيره اكد له ان بتلك النواحي معادن وفيرة . ونراجع القول ان ابناء البلاد لم يكن المعدن المذكور له عندهم ادنى قيمة وكانوا نوعا ما يهزأون بالاسبانيوليين لما كانوا ينظرونهم يعطون اعتبارا زايدا للشي الذي كان عندهم دنيا : [illegible]

ولما كان بناء القلعة اوشك ان ينجز عمد كولمبس على الرجوع لمدينة ايزابيلا فالقى رياسة القلعة على عهدة بطرس مرغاريتا كستيليا في الاصل وعين له ستة وخمسين نفرا واوصاه بالمقتضى ورجع الى الوراء ببقية جيشه وما تم له ان بلغ السهل الاخضر المحكي عنه باسم الفيكا حيثما ركز واخذ يسعى ثم بمد طريق يسهل المواصلة ما بين مدينة ايزابيلا وبين مقاطعة مارين توما وتتبع اثناء ذلك كان يزور القرى المجاورة وكان الجنود يتبعونها وبأسهم يزيد النهاب ويكرهونهم بجميع الحقوق الى الضيافة فمن ذلك الحين اعتاد الاسبانيوليون

على معيشة تلك البلاد . اما في مدة اقامتهم بسهل الاخضر فقد لحظ الاميرال ان ابناء البلاد لم يكونوا كما ظنهم بالنظر الى الحروب حيث خالي لله ولرفاقه انهم ليس هم من اهله نظرًا لما انطوو عليه من المرخرخة وهوانهم كانوا عديمي الاشغال وكنت تراهم بحر النهار يجتمعون تحت ظل شجرة ما ويتلحمون على ظهورهم ويبدون بالمزح والضحك ثم يأخذون بالرقص والغناء لي ما شابه ذلك حتى ينتهي النهار غير مبالين بامر ما لان الحراثة لم تكن من دابهم بل كانوا يكرهونها والضرورة كانت تحوجهم لزراعة البطاطة ولزراعة شوش كانوا يدعونه البوكا وهو الشرش الذي كانوا يستخرجون طحينهم منه اما بعد نكب قبيلة الغريب قد كانت تغيرت احوالهم بامر الحروب لان مالك تلك القبيلة المدعو كاوانابو على ما قدمنا كان قريبهم على النيزل وغيرها من ثم من الذين يخشى منهم .

ولما وصل الى مدينة ايزابيلا وجد بها اخاه برتولاوس حاضرًا من اسبانيا بذخاير عظيمة له ووجدان الاسبانيوليين كانوا متعاظمين عليه وان كانت صحته تمنعه عن الاهتمام بتدبير الامور فعند ذلك تنازل عن بعض الشغل لاخيه المذكور ولقبه بوظيفة ادليانتا دي اي نائب حاكم ملاحظا بذلك أهليته في الانجاز الشورى التي كانت

موشكة تنشب نيرانها .

فعلينا بان ننظر الآن ما حدث بمدة غياب الاميرال عن المدينة لان تلك الغيبة وائن كانت قصيرة المدة لكنها قد كانت سبباً لمواد كلية مخلة بالراحة العمومية وهذه هي التفاصيل وهو ان كريستوف قبل سفره كان كلف بطرس مرغاريتا محافظ قلعة سان توما بان يخوض داخل الجزيرة ويطلع على الكلي والجزئي فيها ويبحث عن عوائد اهاليها وعن ما حوته من المعادن والايرادات والى مثل ذلك وكان ايضاً قد سلم الونزو دي اوجيدا محافظة قلعة سان توما المذكورة .

فبناءً على ذلك توجه بطرس مرغاريتا لتتميم ماموريته الحديثة وبرفقة اكثرية الجيوش المنفصية وكان الهنود يكرمونهم بكلما تطلبه حقوق الضيافة والاحترام اذ انهم كانوا منطويين على مثل تلك العوائد الحسنة فبدلاً من ان بطرس المحكي عنه يستمر تابعاً واجبات ماموريته فقصر عنها واخذ ينتقل من قرية الى آخرى في قرايا سهول الفاغا متنعماً بشهوات قبيحة هو وعساكره ومن جرايه اغتاظ الهنديون وجفلت قلوبهم عنه . ولما كان دياكو كولومب اخي الاميرال متسلماً مهام الاشغال العمومية في ايزابيلا فبلغه ذلك وامره بان يقلع عن

سلوكه الممقوت ويسلك سلوكًا قويمًا فلم ينتبه اليه وجاوبه جوابًا عانيًا معنيًا بهِ ان ليس لدياكو ولا لمجلسه ايضًا حكمًا عليه بل ان مهام وظيفته ومتعلقاتها هي تحت ادارته فقط فتعاظم الحال وكان اشراف الاسبانيوليون يعضدون بطرس بالعصيان لانهم كانوا يكرهون الاميرال واخوانه بداعي ما كان حدث في تشييد ايزابيلا (فلكي يكون ذلك بغاية ما يكون من الايضاح فعلى القاري ان يراجع ما ذكرناه بهذا الخصوص في هذا الفصل المحكي في برأته عن هيجان الاشراف وعن عدم ملاحظة الاميرال مناصبهم اذ انه كان يجبرهم للشغل كمثل رعاع الناس)

فبرز بطرس المذكور وبويال القس الى ميدان الهيجان والقلاقل واخذا يجذبان اليهما احزابًا ولم يكتفيا بذلك فاستوليا على السفن الموجودة كانت في البوغاز وركباها وتوجها الى اسبانيا دون ان يستأذنا دياكو ومجلسه ولاجل ذهابهما انما كان ليوشيا على الاميرال لانهما ولاسيما بويال كان من الذين يُعدّ خاطرهم لدى الملك فرديناند ولذلك كانا باطمئنان بال بانهما لا يُلامان لديه بتركهما وظايفهما دون استئذان اذ انهما يظهران له حبهما بالصالح العمومي ويبينان له جور كولومب واخوته . فغدت حينئذ

الجيوش دون رئيس واخذت تتشتت في تلك النواحي وتصنع الفحشاء دون التفات الى ما كان صنعه الاهالي من المليح . فهاج الهنود بتالي الامر ولما نبهوهم ولم يرجعوا عن رزائلهم فطفقوا يستيسرون شملهم المتبدد ويقتلون بعضه ويهشمون بالجراحات من كانوا يوجدونه تايهاً سايباً واتصل الامر الى ان احد الملوك المدعا غوانيغوانا قتل بيده اثنين من الاسبانيوليون وامر بحريق كوخ كان فيه اربعون منهم ونيف وذلك احدى قلعهم المدعوة المكدالانا في سهول الفاعا وصيرهم بحالة تعيسة جداً . وكان من جهة ثانية كاوانابو الملك الغربي الذي ذكرناه مراراً بهذا التاريخ عدواً مبيناً لهم فانتهز تالك الفرصة ليهدم قلعة سان توما واختبر بواسطة جواسيس ارسلها ان حاميتها لم تعد الاّ ماية وخمسين جندي فجمع عساكره ووضع نجاح مقاصده بجيبه وصمم على انقراض الاسبانيوليين وبناياتهم وعلى محي اثارهم كما كان صنع ببادي الامر في قلعة الناتيفيدار انما لم يكن الامر سهل كما كان يخال له لان الونزو دي اوجيدا محافظ القلعة المذكورة كان رجل شديد الباس فلا تفزعه الاوخاف ولوفها كانت جسيمة فعلينا بترجمته باختصار لان من كان مثله يلذ للمطالع ان يقف على تفاصيله . تربى الونزو منذ صبوته في

المدرسة الحربية وتمرن في فن الجندية لدى مقاتلات الاندلس الشهيرة وكان اذ ذاك تم سائر دروسه وزد على ذلك كان تقياً ديناً ومخصصاً ذاته لحماية العذراء مريم ولم يكن بجسمه جرح واحد مع انه كان حضر وشاهد عدة مواقع . كنت تراه دائماً يحمل ايقونة شفيعته في زمن الحروب وقبل المعركة كان يصمدها على غصن شجرة ويبتهل اليها ويتكل على حمايتها اتكالاً هذه عظمته حتى انه لم يبال بالاخطار ولو مهما كانت

فبلغته كاوا نابو من داخل الغابات المجاورة القاحلة بالتين من قطاحلته فخرج اليه بعساكره القليل عددهم وذبح من ناسه جماً وافراً واوجبه للانهزام الى الورا . فاندهش الغريبي بذلك الا انه بدلاً من ان يكن عن اتخاذ الوسايط المودية لهلاك الاسبانيوليين فاخذ يخابر ملوك الجيرة بهذا الخصوص ليضرب واياهم مدينة ايزابيلا ويذبحون الافرنج في اي محل وُجدوا ووافقه الجميع ما خلا غوانا غاري الذي اول من تعرف عليه الاميرال كريستوف بتلك الديار وقد طال الشرح عن حبه للاسبانيوليين وتعلقه بهم فبدلاً من أن يطابق مع بقية الملوك فاخبر الاسبانيوليين بما كان جارياً واستمر يلاطف ويحاسن و يكرم من كان باقياً منهم ضابطاً

خراج ممالكه ولم يكن من ثم شي قادر ان يحيله عن صداقتهم

فتلك كانت حالة الولاية الاسبانيولية لدى رجوع الاميرال اليها فانغم واكتأب وحزن وارتعب لان ماية الفًا من الهنود تحت السلاح . وما كان يزيده غماً انقلاب الحال من جهةٍ الى الثانية ي انه صعب عليه جدًا زوال العلاقات الودادية ما بينه وبين سكان البلاد تلك العلاقات نفسها التي كلفته صيرورتها مزيد التعب وعظم المشقات قد زالت على ما قلنا من مجرد سلوك رفاقه السيئ ومن ميل آخر نظر ذاته مجبورًا لمحاربتهم دون ان يتمكن بعد باخماد ثورتهم وبازالة بغضهم عن ربوعه

اما كانوا او ضم اليه كافة ملوك الجزيرة ما خلا الملك غواناغاري فهذا عندما بلغه اياب الاميرال الى ايزابيلا احضر اليه وانسم له الامانة واخبره بما كان جاريًا وضم جيوشه الى الجيوش الكولومبية .

كل من طالع تاريخنا لحد الان يشمأز من تصرف الاسبانيول ولا يلوم الهنود بتصرفهم الاخير معهم بل انه ياتي بالتونيب على ارفاق كريستوف الذين اجروا بحق من كانوا نزلا عندهم امورا مغايرة لحقوق معرفة الجميل ومضادة لروح الانسانية . انما من

جهة ثانية نرى ذلما ملزومين بان نتعلن ان ذلك القوم الاسبانيولي كان اكثره من اشقيا المملكة وقد ذكرنا الذي تبين سفرة كريستوف الثانية من اسبانيا ان اكثرية الرجال المعطاة له وقتئذ كانوا من المجرمين المودوعين في السجون لجنايات مرتكبيها . فلا تعجب اذاً من تمردهم المشوه هذه ولسنا قاصدين بذلك ان نستر على عملتهم بل قصدنا اظهار الحقيقة . ونصاري الكلام كلما بدى وجرى هو بامر من الحق سبحانه الذي يحجب بذيل خليقته من وسط ارتفاعه لها لكي بذلك تعرف حالها دنية ولا تتمرد عليه وحتى يوضح لنا باجلا العبارة ان الكمال له وحده فقط .

فلنرجعن الان الى ما كنا عليه . لقد قلنا ان الاميرال كريستوف نظر انه مجبوراً لمصادمة الهنود الذين كانوا اتحدوا كافة غير انه لم يبال باتحادهم اذ انه اتحاد مبنياً على اساس غير متين ولا سيما لقلة اختبارهم بالحروب ومن جهة ثانية كنت تراه بحالة ضيقة حال كونه لم يكن قادراً على قيادة الجيش بداعي مرضه . وان يسلم زمام الامور والتدبير هل لاخيه دياكو كلا لان المذكور لم يكن بالاوصاف الكافية لمثل تلك الحالة الخطرة . هل لاخيه برتولمايوس لا لعمري لانه كان جديداً بمعرفة البلاد وميل ذلك القوم الاسبانيولي الخالع

بين الطائفة. هل لاحد من اشراف الولاية كلا ايضاً اذ ان لم يكن عنده ثقة باحد منهم كليًا بسبب ما كانوا وما كانت عليه البواطن من العدوان المتبادل رئيس مربًا كان. فحار وتامل وتبصر فشمر عن ساعد الهمة والعزم من وسط الضعف واخذ يتهدد هذا الملك ويعز ذلك المليك حتى اجتذب اليه بعضهم ولما كانت قلعة المكد الاتا لم يزل محاصرها غواتيموانا الذي كان حرق الكوخ بالاربعين اسبانيولي فارسل بعض الانفار لانجادها وبدد شمله ونهب اراضيه وقتل ناسه وتمكن وحده من الانهزام. ولما كان غواتيموانا تحت امرة غوادبانوكسي الملك فارسل له معتمدين يبلغونه ان لا قصد بالحرب الا تاديب غواتيموانا نظرًا لما ارتكبه من الجرائم نحو ارفاقه وانه يريد المحافظة على حقوق الالفة والاتحاد ما بينه. وكان غوادبانوكسي ذا افكار سليمة وصاحب الاميرال ومنه الاذن بقيام قلعة في اواسط بلاده وبناء على طلب كريستوف والحاحه زوج ابنته باحدى الهنود الذين كان اخذهم الاميرال معه الى اسبانيا في اثناء السفرة الاولى

فمن ثم غدت الملاقاة وطيدة بينه وبين سائر ملوك الجزيرة ولم يعد عليه سوى كاوانابو فتعرت الندابير بخصوصه لان من

جهة اولى لم تكن محاربته بسهلة اعتبارا للمستحكمات الطبيعية التي كانت بيده ومن ثانية كان نجاح الولاية غير متمكنة صبروره طالما هو كاوانابو بجوارها.

فبينما هو حاير محتار بهذا الخصوص اذ بالونزو دي اوجيدا الباسل اخذ على عاتقه استحضار العدو سواء كان بمنزلة صديق او بمنزلة اسير وركب جواده وتوجه بعشرة من الفرسان المعودين وسار واياهم ضمن الغابات الغضة ولم يزل يقطع الوديان والسهول القريبة حتى بلغ الى امام الملك فلاقاه كاوانابو وحياه بمزيد الاعتبار لانه كان يتعجب لحلاوة شبوبيته وبزلاقته النادرة الوجود ثم ساله عن ما كان يريده فاجابه الونزو انه حاضر من قبل الاميرال لكي يتوجه بخدمته الى مدينة ايزابيلا حيثما يصير عقد عهدة زمن الراحة في المستقبل وامني الجهتين من الوساوس ومن ويلات الحروب فتمنع قايلاً لا غرض لي ولا حاجة وترانى عدواً لمن يعاديني وصديقاً لمن يصادقني ففي اليوم الثاني تردد عليه العدو واغتديو ردلة براهين ذات ايضاح معتمداً على اقناعه بالتوجه معه انما لم يكن لسعيه ادنى نتيجة ما استمر الجدل عدة ايام بين الطرفين والحال كاوله . ولقد كان الاسبانيول لاحظوا مرارًا ان الهنود المعتجبين كانوا ينافوس"

كنيسة ايزابيلا وكانوا دائمًا يقولون ببعضهم انما هو من الاسرار العميقة الفهم ولهُ شوكة على الافرنج لانهم عندما يقرع صباحًا يتقاطرون افواجا الى الكنيسة وعند ذلك النهار يتركون اشغالهم ولو مهما كانت ويقدمون صلواتهم فلا شك ولا غرو ان صوته الرنان لهُ قوة طبيعية عليهم . فلما كان الونزو عالمًا بذلك فقال لكاوانابو اننا نعطيك كعربون السلم ناقوس الكنيسة وهلم نذهب سوية فعند ذلك قبل الغربي على التوجه معه .

الأَّ انه في اليوم الذي نعين للسفر وفد الى كاوانابو جمٌ غفير من الناس كان اعلمهم حتى يتوجهوا معه فتعارضه الونزو بقوله ان لا لزوم الى مثل ذلك نظرًا لتوجهه بمنزلة صديق لا بخلاف وان لا خطر عليه البتة فاجابه قايلا لا يليق بعظمتي ان اتوجه دون خدم وحشم . فساروا من ثمه جميعًا الى ان وصلوا بذات يوم لاحد الانهر الصغيرة المدعو نهر الياغا حيثما حطوا لياخذوا راحة بامر الملك من مشقة الطريق واستفاد الونزو من ظروف الحال ان كاوانابو يقصد اهلاكه واهلاك رفاقه فمال الى حيلةٍ تكاد غير مصدقة لولا وجوده بالصفات المملوة فطانة اما تلك الحيلة فانه استل من خرجهِ كسانكًا من الفولاذ المسقول وكانت تلمع كالفضة وتقدم الى

الغربي وقال لهُ سيدي ان هذه هي الزينة التي يتزين بها ملوك اسبانيا في زمن الاحتفالات الرسمية لقد ارسلها اليك مولاي المالك سعيدًا كعربون المحالفة بيننا و بينك والصداقة بينك و بينهِ فيقتضي منك ان تنهض وتغتسل بالماءِ ثم تلبس حللك الملوكية وتتقلد هذه الكساتك وعند ذلك اركب جوادي واياك واشيعك بين صفوف شعبك ليترنمون بك . ففرح الملك بذلك و بالحال قام واغتسل ولبس حلله الملوكية وقلده الونزو بالكساتيك وركب واياه على فرسه واخذ يطوف بهِ بين صفوف قومه وهم يصرخون ويضجون فرحًا وكاوانابو يترنم بنفسهِ . ثم اطلق الونزو ورفاقه عنان خيلهم بين الاحراش ولما غابوا عن القوم استلوا سيوفهم وتهددوا اسيرهم المنكود الحظ بالموت ان تجافى وعاقوه بالحبال وساروا بهِ بالاحراش والغابات متكبدين الاتعاب والمشقات وما زالوا سايرين حتى بلغوا مدينتهم كاسبين غانمين .

اما الاميرال من بعد توجه الونزو لم يكن لهُ ادنى سكينة وكانت افكاره هاجسة دائمًا نحو وليم ورفاقه واعتقبه الندم على ارسالهم وقطع الامل برجوعهم اليه سالمين فعظيم من ثمه كان سروره عند ايابهم بتلك الحالة فصافح اوجيدا وانعم عليه وعلى قومه

ووضع الملك بالسجن المظلم مغللاً بالقيود . وفي اليوم الثاني استحضره اليه وقال لهُ هل نظرت كم هي عظيمة قوتنا وهل ايقنت انه ما من احد يستطيع ان يعادينا في دياركم هذه وهل ما ندمت الان على ما اجريتهُ بحق قومنا من بداية حضورنا لهذه الانحاء . تذكر الذبيحة المهولة في قلعة النانيفيداد اذكر سائر الافعال البربرية التي فعلتها واحكم على ذاتك بالقصاص الذي تستحقه . ومع ذلك يوجد طريقة واحدة لانقاذك من هذا السجن المظلم المرمي بهِ وهي انك تعتنق الدين الذي نعتقدهُ نحن وان تعبد الاله الحقيقي الذي نعبده نحن وان تقر بالطاعة والعبودية الى ملك اسبانيا الذي من تبعته نحن وايقن ايها الملك انك لو اعتنقت ديننا لوجدت فيهِ مبادي الانسانية لانه منطوياً على اشياء جميلة تجعلنا بان نحب اعدائنا ونفعل الخير ونحيد عن الشر . فقل اذاً واختار لذاتك بخت . فاجابه كاوانابو بصفاوة بال زايدة وقال لهُ . ايها الرجل اني لفاهم كلما ابديتهُ نحوي من التهديدات فلم ابال بها . فاعتبرهُ جزماً ان لالونزو دي اوجيدا وحده عندي مقام الاعتبار لاني طالما بعثتُ فيكم وشتتُ شملكم ولم يكن منكم من يصبر امامي سوى هذا الرجل الباسل الذي صادمني اكاثيرمن مرة . الذي لهُ وحده الفضل بالقبض عليَّ . اما ما قد اجريتهُ

بالماضي فلم اتندم عليهِ بل اني افتخر بهِ حال كوني قمت بواجبات مسنونة عليَّ وخدمت شعبي المنطوي على داب الحروب . ولكن موكدًا عندك اني لست بخايف ولا بمرتعب منك ولا سيما انكم لقد اتخذتموني بطريقة احتيالية . اما عن الدين فاني اعيش واموت على الدين الذي تربى بهِ اجدادي وشعبي . ومن كوني الان بقبضة يدك فانت قادر ان تفعل ما تشاه انما كن على حذر لا بد من ان آلي وقومي ياتون لانقاذي و يقومون باخذ ثاري فان نجيت منكم الويل لكم وان لا يالسعادتي حيث ذكري يضحي مخلدًا في قبيلتي وما زلتم بهذه الديار التي تعديتم عليها فلا راحة لكم .

فاعتجب الاميرال والحاضرون من ذلك حيث كان بفكرهم انه ياتي بجوابٍ من شانهِ ان يحرك الشفقة والتحنن فصار ارجاعه الى السجن واضحت مسئلته لدى العموم لا سيما الدى كريستوف ومجالسه ذات بالٍ واهمية

وكان ذلك المسجون يتقلب في قيوده ولم يكن من شي قادرًا على تذلله واستمرت نفسه عاتية ومتمردة ولم يكن عنده ذا اعتبار سوى ذاك الذي قبض عليه فمن جملة ما قال المورخون باتفاق بان الاميرال كان يفتقده ببعض الاوقات ويتردد عليه ليقدم

الطاعة والخضوع الى ملك اسبانيا . وهو لا يبالي به ولا يرتفض له واقفا اعتبارًا لمقامه . اما عندما كان يفتقده الونزو فكان ينهض له واقفا بالحال ويظهر له امارات الاحترام والتواضع فسئل عن ذلك فاجاب بفصيح العبارة قائلاً : لم اعتبر بينكم سوى هذا الرجل الباسل الذي تمكن وحده من القبض عليّ ودونه لستم على شيء حال كون الذي تسمونه الاميرال وتقدمون له الاعتبار فاني لم انظره قط في المعارك معي ولم يوجب له الاعتبار من قبلي .

فعلى ما قدمنا كانت افكار كريستوف مشغولة دائما في مسالته ولم يتجرأ باطلاقه من السجن وحار بامره فعهد رايه اخيرًا بارساله الى اسبانيا باول فرصة ممكنة وعين له منزلاً ضيقا في داره ووضع له حرسا كافيا وامر ان يعاملوه بالرقة ومزيد الاعتبار .

هذا ما كان من امر كاوانابو لحد الان فلنرجع بالكلام الى حالة قومه بعد ان خطفه الونزو ومن بينهم . فعندما فرغت مساعيهم من انقاذ ملكهم عادوا الى الوراء واعلموا آله بما كان وانتشرت الاخبار في سائر المملكة فحنق قومه غيظا واقسموا

اليمينات الكبرى عندهم بمجي الاسبانيول من ديارهم فشدوا همهم وساروا قاصدين مدينة ايزابيلا وكان عددهم مائة الف مقاتل تحت امرة احد اخوان ملكهم المنجون . فبقربهم الى قلعة سان توما عمدوا على خربها واستئسار بعض رجالها ودفعهم بدلاً عن الملك وانهم عقب ذلك يتبعون الاسبانيول و يذبحونهم ويهدمون بناياتهم .

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فبوصولهم الى القلعة المذكورة خرج الونز و لملاقاتهم بعدد قليل من الفرسان و بددهم واسر منهم جملة منهم شقيق كاوانابو .

فهذا ما كان من ذلك العدو المبين الذي ارعب جماعة الاسبانيول زماناً طويلاً وكبدهم خسائر جسيمة ولا يلزم ان نوضح هنا بعد ان قلنا ما قلناه بخصوصه ان يسره قد ملاء قلوب سكان مدينة ايزابيلا فرحاً وطرباً .

• و باثناء ذلك وفدت اليهم اربعة مراكب تحت امرة انطونيو دي طوريس حاملة ذخائر وافرة مع طبيب واجزاتي ومعلمي مطاحن وهم رجال ماهرين بفن الفلاحة فاوعبهم ذلك غاية السرور

وكان اللاميرال تحريرًا من قبل فرديناند وايزابال موضحا له كبر ممنونيتهما بما كان صنعه لحد ذلك الوقت وصادقتهما على سائر اجراواته ويفيدانه معا ان الخلاف الذي بين مملكتيهما اي اسبانيا وكاستيليا وبين مملكة البورتوغال قد كان انتهى حبيا وانه يذهب الى اسبانيا او يرسل وكيلاً عنه مصحوبا من قبله باوراق تخطيط الحدود البحرية التي يستنسبها هو لاجل وضع حد نهائي بين الدولتين المتخاصمتين بشان الاكتشافات المستقبلة . فانشرح الاميرال بذلك لوجهين الاول بداعي تحسين حالة ولايته . والثاني من التحرير الملوكي الذي طمنه التطمين التام ان كل ما وشي عليه من قبل مرغاريتا لابويال لم يكن بادنى اهمية لدى اولياه وحالاً عجل بارجاع المراكب الى اسبانيا وحملها ذهبا وفيرًا ومساطر الاثمار والاشجار البرية والحبوبة الموجودة بالارض الجديدة ثم خمسمائة من الهنود المأسورين بالحرب وفوض انطونيوطوريس قومندان المراكب على بيعهم في مدينة سافيليا اورفع ثمنهم لخزينة المملكة . ولما لم يطمأن ان يذهب بنفسه الى اسبانيا خشية من وقوع ما قد وقع عندما غاب داخل الجزيرة فارسل اخيه دياكو لكي يحضر المؤتمر بالنيابة عنه ويدحض

ويكذب كل ما قد وشى ضده

قد لام المؤرخون كريستوف كولومب بداعي استخدامه اسرى الحرب بمنزلة تجارة ومن يحله من لامه لوما شديدا هو واشنكتون ارفنك الانكليزي الذى بعد ان انسبه بتلك العملية التى تخال لنا الان بربرية لخالع روح الانسانية وغب ان قال عنه ايضا ان كل ما اجراه بالماضى وقد كان اوجب له المديح والثنا من الاجيال الماضية والحاضرة والمزمعة لقد محت كل ذلك اجراواته بحق الهنود المنكودي الحظ

فالبوقت ذاته يبرده تبريدا لطيفا بقوله ان عوائد ذلك العصر كانت كذا وان بسبب الظروف التى كان فيها كان من الواجب الضرورة عليه ان يجري ما اجراه جميعهم لكي يعوض على اوليائه ما قد كانا تاكبداه من المصارفات . ونحن نقول وناتي بالتوبيخ على كولومب اذليس بعدل ان نحتقر جنسا فهل ان اولئك الهنود بوسعهم صنعة الخانق مثلنا فكان الاولى بكولومب ان يجعل لهم طريقة خلاف التي جعلها لهم وينتظر غير باب لتعويض الخسائر على المملكة

اما هذا الاميرال قد كان تحوّل وقتئذٍ صحته التامة

فتقلد مهام ساير الاشغال كعادته ورفع التذمر واعاد على رفاقه الافراح وضمحل عنهم الاتراح فلاحت من ثمه علائم النجاح والنموّ ضمن تلك المدينة المستحدثة بعد ان اوشكت الى الدمار ولما كان الحال كذلك اذا بالملك غواناغاري مقبلاً اليه الى ايزابيلا واخبره انها لقد حصلت محالفة وطيدة بين سائر ملوك الجزيرة وجمّعوا جيوشهم تحت راية مايكوتكس حليف كاوانابو وشقيقه وان عدد جيوشهم يبلغ المايتين الف مقاتل وانهم زاحفين الى ايزابيلا في سهول الماغا ولم يعودوا بعيدين عنها سوى مسافة نهارين وانه اي غواناغاري لم يزل على ما كان عليه بحق الاسبانيول فشكره كريستوف من صميم فواده واهتم من ثمه على ملاقاة العدو . انما ياله من شيء يدهش العقل ويحير البال لاننا نرى بسائر التواريخ ان عدد عساكره كان من مايتين نفر مشاة ومن عشرين فارس ويقال انه كان ايضاً معه عشرين من الكلاب الكبار القد وان تلك الكلاب كانت ترعب الهنود نظير الفرسان لانها كانت تصطادهم صيداً مهولاً . وكانت رعايا غواناغاري منضمة الى الجيوش الكولومبية ايضاً الاّ انها تكن تاتيها سوى باسعاف جزءى نظراً لما انطوى عليه اوليك

الناس من الجبانة وحب السلامة ولكن بحصر الامر كان انضمامهم الى الاسبانيول ذا نتيجة موافقة لصالح هولاء بالنظر الى ما كانوا عليه وقتئذٍ والى ما كانوا قادمين اليه كما سوف ننظر

ففي النهار السابع والعشرين من شهر اذار سنة ١٤٩٥ خرَج من مدينة ايزابيلا بعساكره القليلة العدد وزجف بها بسرعة كاية حتى بلغ سهول الفاغا بجوار العدو بقرب المحل الذي بنيت فيه في ما بعد مدينة سنتيتياغو فاخذ ينشط ربعه ويهيجهم بكلام فصيح قايلا . ايها الرفاق ان جميع دول اوربا تطرب وتنشرح بوجه الحسد والشماتة عندما يبلغها لاسمح الله تخذيلانا في هذه الديار البعيدة فعلينا اذا بوضع اتكالنا على اله القوات . خاطروا بانفسكم خطراً مبينا ولا يرعبكم عدد العدو اذ ليس على شيء بالنظر لعدم وجود اوائل حربية بيده فليكن كل منكم غير مبال بحياته وحافظًا واجباته بكل دقة وعلى الله الظفر بعد ذلك

ففرق المشاة بجهات مختلفة تحت قيادة برتولماوس واستلم قيادة الفرسان وعندما اظلم الليل دقت الطبول وزعقت الالات الموسيقية وارعدت المدافع واطلقت البنادق وتقدم الى العدو

بضجيج قوي ارعب الهنود فولوا الى الورى دون ان يبدوا ادنى مدافعة فقتل منهم الاسبانيول عدداً وافراً منهم بالاسلحة النارية ومنهم بدعس الخيل ومنهم بنياب الكلاب المسنّة وهكذا تشتت شملهم بالاحراش غب ان فقد ما فقد واسر ما أُسر وفي تلك المعركة لم يمت سوى واحد من الاسبانيول وكان من الفرسان وسبب موته انه كان هجم على العدو بقلب لا يهاب الموت ولما تكاثر عليه الهنود فطعنوا جواده برمح فسقط عنه فسحقوه نظير الطاير واكلوا لحمه فحزن عليه جميع رفاقه لاسيما الاميرال الذي استمر يخوض في الجزيرة اذ كان سكانها يتحققون دون ادنى معارضة وفي بحر بضع اشهرانه يتولى على قسم كبير منها . وقد نظرنا الاميرال كريستوف لحد الان متصرفاً تصرف العقلاء في سائر افعاله انما هو عتيد ان يجريه بحق اولئك القوم المنكودي الحظ اعني بهم الهنود ما يدلنا ان الانسان ولو مهما كان حكيماً ورزيناً لابد له من ان يعثر عثرة قوية الشيء الذي يوضح لنا باجلى تبيان باننا ملتزمين بالمحافظة دائماً على سائر حركاتنا خوفاً من ان نتيه عن طريق الاستقامة ونبتعد عن مقاصدنا بعد ان نكون قربنا اليها فهذا ما جرى

لا يغبي عن نيرة الذين طالعوا كتابنا لحد الان ان بطرس مرغاريتا ويويال الفس توجها الاسبانيا في سفن اختلساها مدة غيبة كريستوف الاولى ليوشيا عليه الملك فرديناند وينزلانه عن مقامهِ ومن ثمه كان الاميرال يخنشي دايمًا منهما ومن انهما يحدثان موضوعًا لاقناع فرديناند بان سائر الاكتشافات لم تكن ذات اهمية ولا ذات فايده للملكة وان بذلك يصير اقناع الملك فينزله عن منصبه لا محالة فاستعمل من ثمه التحذرات المقتضية لمنع كذا تصديقات وعمد على ان يفي المملكة وعوداته لها بجمع اموال لا تحصى باية طريقة كانت وعليه فرض على الهنود اموالاً عديدة ربما لا يستعد لها البعض وهو انه حتم الحتم المطلق تقديم ثلاث وزنات (١) من رمل الذهب كل ثلاثة اشهر على النفر المتوطن في الاقاليم الموجودة فيها معادن الذهب وكان عمره ما فوق الاربع عشر سنة وفي بقية الاقاليم ترتب على النفر تقديم خمسة وعشرين ليبرة قطن في بحر الثلاثة اشهر ايضًا. الشيء الذي كان فوق طاقة اولئك القوم المنكودي الحظ لانهم كانوا

---

(١) قد عدّل المؤرخ روبرستون وزنة الذهب قيمة خمس فرنكات وربع

معتادين على العيشة المرتاحة . ومع ذلك صار اجبارهم بصرامة زايدة وكل من كان هدم ما عليه فكان يتوقع له في عنقه العلاقة الدالة على ابقاء المتوجب عليه فكانوا يوقفونه وتودعه الحكومة السجن المظلم عرضة للجوع وللضرب

قال المؤرخ كامب الانكليزي في كتابه المترجم الى الافرنسية يعذر الناس الاميرال كريستوف بهذا العمل اذ يقولون بان الضرورة احوجته الى ذلك . فاندد معترضًا . فاية ضرورة ياترى تكون عظيمة بهذا المقدار حتى تجعل الانسان يخرج عن دايرة مواضيع روح الانسانية والرافة وحب القريب فهل ننال مديحًا عندما نسلك في طريق غير مستقيمة ومن شان تلك الطريق ان تبلغنا الى قمة صوالحنا . لا لعمري فالفضيلة الحقيقة هي التي تجعلنا ان نضحي من صوالحنا لمنفعة القريب . هي تلك التي تحتم علينا بالسلوك في طرقاتها المستقيمة ولو منها صادفنا فيها من اختلاس فوايدنا وراحتنا وما لنا وشرفنا وحيوتنا معًا . فاني وائن ارتعش في ان ابرر كريستوف الذي لا لا ينكر فضله الا اني لم اجد لذلك عذورات مصوبة فصوت الحق هو الشهود وعليه لم اتمكن الّا واقر بان تصرفه بحق الهنود

باثناء الظروف المحكى عنها كان غير عادل

نرجع بكلا منا الى ما جرى عقيب ذلك فالهنود عندما نظروا ذواتهم عرضة للقساوة وللبربرية وغير متمكنين من احتمال نير ثقيل كذاك وغير قادرين على القيام بتقديم الذهب والقطن المفروض عليهم والمجبورين كانوا لتقديمه فعمدوا على عمل لم يجره الا من كان مايوسًا لانهم اضحوا معتقدين ان وجود الاوروباويين في اراضيهم لم يكن موقتا كما كانوا يظنونه وظروف الحال والحوادث اطلعتهم ان لاطالع لهم بمصادمة اعدائهم بالقوة فما هي ياترى الواسطة المودية لانقاذهم . فاختاروا لهم طريقة حازمة وهي انهم باتفاق الاراء صمموا على عدم تبدير الارض بالذره وحلشوا ما كان منها وعروا الاشجار من اثمارها وانهزموا بعد ذلك الى الجبال الوعرة والغير مسلكة حيثما كانوا يقتاتون شروشا واعشابا برية . لكنهم لم يلبثوا فيها مدة قليلة الا وداهمتهم رزايا المجاعة فجفت تلك الشروش والاعشاب التي كانوا يقتاتونها فتقهقروا ومات اكثر شملهم منه عقيب الجوع ومنه عقيب الامراض الوبائية فمن بقي منهم خضع الخضوع التام وايقن ان لامناص له بالانعتاق من اولياء الجور اعني بهم الاسبانيول الذين لم يؤلم

بهم شيء من ما كان اكمنه عليهم الهنود اذ انهم اوقفوا الضربة حالاً
بزراعة الارض وبصاد الذخاير التي كانت حضرت لهم من اسبانيا
وكانوا يجولون في الجزيرة بمزيد الامان . ففي غضون ذلك توفي
الملك غواناغاري حليفهم وكانت ميتته مرعبة جدًّا لانه بعد ان ضمّ
جيوشه الى الجيوش الكولومبية في المعركة التي ذكرناها اخيرًا عاد
لمملكته وغدا مبغوضا من جيرته وغير محترما ولا مطاعا من رعاياه
ومن جرائه انهزم لاحد الجبال ليوقي نفسه من القتل وهناك مات
جوعا وعريا دون ان يعلم به احد فحزن عليه الاميرال وعموم
الاسبانيول وكرموا دفنه وجابروا رعاياه فكان ذاك الملك محبا
للخيرات وللضيافة وقادراً ان يحكم الرعايا في زمن السلم وليس في
اثناء البلابل التي حدثت بعد حلول الاوروباويين في الجزيرة

هذا وبينما كان الاميرال يعتني في نهاية تطويع الجزيرة كانت
زوبعة قوية تتهدد سلطته في اسبانيا لان بطرس مرغاريتا وبويال
الفس نجحا بعملهما ازاء البلاط الملوكي

الفصل الثامن

يتضمن رجوع كريستوف الى اسبانيا وايابه ثانية الى اميركا

ولاكتشافه فيها اراضي جديدة ثم اجرات اخيه برنولماوس بمدة غيابه

وذلك من سنة ١٤٩٥ الى سنة ١٤٩٨

فانهما اي بطرس مرغاريتا ويوبال الفس اخذا يشرحان الى الملك فرديناند عن تصرف كولومب بحق رجاله وبحق اهل البلاد لاسيما بحق الاشراف الذين كانوا معه ثم عن عدم ادارته بالاشغال الناتجة تلك الارادة عن عدم الفايدة للمملكة ولما كانا ذوي باعٍ فنالا مرغوبهما وصار اعتبار تشكياتهما بمحل الصدق وعليه صدر امر عمومي لسائر رعايا اسبانيا الاصليين حاويا ان لكل منهم الحق بخوض البحار وبالتوطن في جزيرة اسبانيولا وبمعاطاة الارباح فيها كيف ما شاء بشرط ان يدفع قسماً من ارباحه لخزينة المملكة وثمنها الى كريستوف نظير لقبه حاكماً عليها وجرى ذلك دون مشورة كريستوف الذي عندما بلغه ذلك بطريقة غير رسمية انكظم جداً وتيقن نجاح وشايات عدويه ومن جرايه سقوط مقامه معاً لكنه بدلاً من ان يعتني تدبير الولاية فكان يعتني بزيادة الراحة فيها

وفي اثناء تلك الظروف وصل انطيوزي طوديس الى

اسبانيا راجعا من اسبانيولا وحاملاً كمية وافرة من الذهب والمساطر الدالة على غنا تلك البلاد . فعندها يزوق بال فرديناند لجهة الاميرال انما ايفاء لفروض وظيفته السامية صمم على ارسال معتمد من قبله لكي يفحص عن تشكيات مارغاريتا و يو يال بحق الاميرال و يعرض له عن حالة تلك الديار وعن الكلي والجزئي فيها

قال كامب المؤرخ انه لما كان الملك يعزّ كولومب فاختار جوان اغوادو احد معتبري دائرته وارسله الى الهند الغربى لتتميم ما قد سبق ملاحظًا بذلك ان اغوادو المذكور لكونه كان تقدم فى المحكمة بواسطة كريستوف فلا بد له من ان يذكر الوداد ويضعف اهمية التشكيات لو وجدت . ثم قال واشنكتون ارفنك ان اضداد كريستوف هم الذين قدموا اغوادو واقنعوا الملك والملكة بكفائته للمورية كذلك والحاصل كيف ما اتفق الامر لم يكن اغوادو اهلاً لذلك لانه عندما نظر ذاته متقدمًا هكذا فنفخته الكبرياء وضمر على ضرورة الاميرال

فسافر من اسبانيا في اواخر شهر اب وكان معه اربع سفن شاحنة ذخائر كلية لسكان ولاية اسبانيولا . فبوصوله الى مدينة

ايزابيلا استلم زمام الاحكام اذ ان الاميرال كان غائبا وامر بتلاوة الاوامر التي كانت بيده على رؤوس الجميع . ثم وقف عدة متوظفين وطلب حساب الداخلات ولم يعد مبالٍ بشيء وحرر اشعارًا معلنا استعداده بالاصغاء لمن كان يريد يتشكى على كولومب وغب استماع بعضها صرّح علانية ان كولومب مذنبا ومن ثمه حرّر له ليحضر حالاً الى المدينة ويعطي جوابا عن نفسه وان تاخر يصير استحضاره بطريقة مهينة

فلما بلغته تلك التحارير المشددة تسلح بالصبر الجميل كجاري عوايده وتوجه حالاً الى ايزابيلا فزاره اغوادو في داره واعطاه امر فرديناند وايزابال فتلاه الاميرال وامر باشهاره رسميا وقال له انه مستعد على الامتثال لكل ما فيه خاطر اولياه . وغب ذلك اقام له مادبة فاخرة وقدم له غاية ما يكون من الاعتبار فاعجب الاسبانيول بذاك التصرف ونظرًا لظروف الحال احتسبوا ذلك عن ضعف زايد وطمعا باجتذاب اغوادو اليه بالملح وعليه اخذ المذنبون والمبغضون يصدرون عليه الدعاوي الجزئية ويعظمونها ككلية وكان اغوادو جاحد الجميل يعمل لتشكياتهم مزيد الاهمية مع انها كانت طفيفة جدًا واربما بعضها

لا اصل لها وعندما تيقن ان كلما تصدر على الاميرال من التشكيات اضحى كافيا لسقوطه ولسقوط اخوانه اعتمد على الاياب لاسبانيا مطمئنا بال مبغضينهم

اما كريستوف التي كانت امتحنته الشدايد منذ ابتداء حياته كان قد اعتاد على الصبر الجميل فلم يبالِ بما كان ينظره بل انه غب ان تمعن بالظروف والحال صمم على التوجه لمادريد حيثما يبرّر ذاته مشافهة ويعرض لعظمة اوليائه عن سبب مصاب الولاية وعن المواقع التي اخرت امال المداخيل الموعودة . انما بغضون ذلك حدثت انواء قوية وغرقت سفينتين وتعطلت وبسببه التزم ان يأجل سفره لبينما يكون صار التمكن من ترميم المتعطلة ومن تعمير خلاف التي غرقت . ففي بحر المدة المذكورة اتفق ان رجلاً من الاسبانيول يدعى ميشال دياز كان عقيب حكم صدر عليه من مجلس الولاية بدعوى جنائية منهزما مع ستة من رفاقه كانوا مطابقين معه بتلك الجناية فاوصلتهم التقادير الى قرية بعيدة عن ايزابيلا بقرب المحل الذي بنيت فيه في ما بعد مدينة سان دومنك وصادفوا بتلك القرية غاية ما يكون من الاكرام وباثناء اقامتهم تحقق لهم من الهنود ان بجوار المحل توجد

معادن ذهبية فاخذوا بالتفتيش فوجدوا القول صحيحا فمن ثمه
رجع ميشال حالاً الى ايزابيلا قاصداً تخبير الاميرال وان بذلك
ينال منه العفو له ولرفاقه عن ذنوبهم المحكوم عليهم بها و بالحقيقة
هكذا جرى لان الاميرال فرح فرحـا لا يوصف و بالحال رجع
برتولماوس ودياز الى ان بلغا شاطيء نهيرة تدعى الهيانا وهناك وجدا
كمية وافرة من الذهب فرجعا الى الاميرال و بلغه اخوه كل
ما كان رأه ولما كان لوحظ ان تلك المعادن كانت منكشفة بالقديم
لوجود حفرات كثيرة فيها ولما كان الهنود يجهلون ايضا صنعة حفر
المعادن والارض وما كانوا يلتقطونه منه انما كان ما يوجدونه
صدفة على الارض او في مجاري الميـاه فتوطد حينئذٍ ببال
الاميرال كريستوف ان تلك البلاد هي اوفير القديمة المذكورة
في الكتاب المقدس وان تلك المعادن هي التى اكتشفهـا سليمان
الملك عند ما بنى الهيكل في اورشليم. وحالاً اقام قلعة بالقرب
من المعادن المذكورة وحفر كمية وافرة من الذهب الخاص خلا
الذي استحضره برتولماوس واضحى بغاية الاطمنان ان فرديناند
وايزابال يستقبلانه بجزيل الالتفات عند ما ينظران الخيرات
المستحضرها ولا يصغيان الى تشكي اعدايه. فعجل بسفره وسلم زمام

الاحكام الى برتولماوس اخيه وامور القضائية الى رجل يدعى دولدان الذي سوف ننظره في ما بعد خاينا حقوق العهد والمروة ومناقضا امل مخدومه به

ولما كان نجز ترميم وتعمير السفن فركب كولومب سفينة تدعى النينيا وجوان اغوادو سفينة ثانية تدعى السنتاكروز وما بقي من السفن اودعه بوغاز ايزابيلا وكان بالسفينتين المسافرتين مايتين وخمسة وعشرين راكب منهم ثلاثون هندي ومن جملة هولاء كاولنابو الفريبي واحد اخوته وابن اخيها كان اوعدهم كريستوف انه يردهم الى اسبانيولا ويرد على كاولنابو امتيازاته وحقوقه غب ان يعرّفه بالملك والملكة . فملحوظاته بذلك كانت مصوبة لانه اعتمد فيها على موضوع واحد وهو انه عندما ينظر كاولنابو عوايد اسبانيا واوروبا وتمدن اهاليها وعظمة اولياها فلا بد له ان يقلع عن اطباعه الوحشية ويضحى عضدًا له بتلك الديار البعيدة انما لما كان كاولنابو على جانب قوي من الجسارة والشهامة فلم يبلغ نصف الطريق الا وتوفاه العدل الالهى وقبل موته بزمن يسير طلب كريستوف اليه وقال له ايها الرجل اني لعتيدٌ ان ابارح هذه الدنيا وانقال من جسراتها وسوف اني

اصادفك بمحل اخر معد لجميعنا فهناك اقوم باخذ ثاري ملك .
ولم يلبث بعد ذلك الاَّ القليل واسلم الروح فتلك كانت نهاية
حياة كاوانابو الذي ارعب الاسبانيول مرارًا

فاقلعت السفن بالمسافرين في النهار العاشر من شهر اذار
موجهة على الجهة الشرقية ليس على الشمالية لان الاميرال استحسن
ذلك ليسرع بالوصول الى محل قصده لكنها اي تلك الطريق
اسقته كاسات موانع كثيرة من كثرة الارياح المكافحة ولحد الان
نتيجتها حتى المراكب التجارية بداعي الهوا الشرقي الغير منقطع
فيها . فكانت السفن تسير سيرًا بطيا وفي النهار السادس من
شهر نيسان اي بعد ان اقلعت عن ايزابيلا بستة وعشرين يومًا
وجدت في جوار الجزائر القريبة فعندما نظر الاميرال العوايق
المحكى عنها رسى بها في جزيرة الفواد الومسب حيثما زاد الذخائر واقلع
عن الجزيرة المرقومة في العشرين من نيسان واستمر عدة ايام
يسري بين سماء وماء والريح على ما هي فجفت الذخائر وقل صبر
الملاحين وطفقوا يتذمرون ويتشكون وفي اخر الامر عمدوا على
قتل الهنود الذين كانوا معهم اقالة من مونتهم فاخذ كريستوف
يجاري عوائده تارة يتهددهم واحيانا بوعده وعودات فارغة فلا

يزالوا على تلك الحالة المكربة الى ان بلغوا مينا مدينة كاديكس في اسبانيا في النهار الحادي عشر من شهر حزيران فخرجوا الى البر مصفرّي اللون وعلايم المنية على وجوههم فاستقبلهم سكان المدينة بمزيد الفرح والابتهاج وكنت تري اذ ذاك تلك الوالدة تهجم على ولدها الغايب عنها منذ سنين عديدة وتحتضنه وتقبله وذاك يعانق اخيه وهذا صديقه وهلم جرّا

فالاميرال كان وقتئذٍ متوشحا بثوب راهب لانهُ بوجه النذر والامانة فبقي بضع ايام في كاديكس وتوجه الى البلاط الملوكي وبرفقه الهنود وفي عنق كل منهم سلسلة ثمينة من الذهب الخاص فاستقبله فرديناند وايزابال بوفور الاعتبار وابدا بتبرئة حاله لديها ويدحض كل ما اوشي عليه من قبل مبغضيهِ ثم قدم لها الذهب المستحضر واسهب لها عن كل ما كان اجراه وسأل اليها بتحضير المتشاكيين ليحاكمهم امامها فوجداه بريئا من مجرد حديثه واعماله والتفتنا اليه التفاتا زايدا وسلياه على المصائب التي المت بهِ واعتذرا له بنوع ما على ما ابدياه بحقهِ

فهذا ما يحدث غالب الاوقات لان البار ولو مهما ثلب ونزّل عن مقامه بواسطة لسان ذوي النميمة والنفاق فلابد له من

الانتصار يوما ما. فكما ان الغيوم تحجب اشعة الشمس ثم تزول عنها ويرجع البدر المنير الى بهائه الاصلي فهكذا من ثلم وكان بريئا فالحق سبحانه يكشف الستر النفاقي المغطى خبرانه ويرجعه الى مقامه واكرامه

وبعد ذلك لما كانت ايزابال الملكة تعضد كولومب عضداً مبينا ولما كانت المصاريف المفروقة منه تنتقص عن المداخيل المستحصلة فصار عقابه من رفع ثمن المصارفات العمومية كما اوضحنا ذلك بالاتفاق المبرم ما بينه وبين البلاط ووهب له عشر المداخيل على ثلاث سنوات متوالية علاوة على مرتبه الخصوصي. ثم انعم عليه بحق خلافة التولي لاكبر اولاده الذكور في الاراضي المكتشفة والغيت الاوامر المعطاة لعموم الاسبانيول بحق التوطن فى جزيرة اسبانيولا ومعاطاتهم الارباح والاكتشافات كما ذكرنا في بداية هذا الفصل وبالوقت ذاته صار تعيين عدد الذين يتوطنون في الجزيرة المذكورة وتقرر ان يعطى لكل منهم مسافة معلومة من الحقل ليذرعه ويستغله كيف ما شاء لاجل القيام بمعيشته. وامرت ايزابال الاميرال كريستوف لكي يكون حليماً في توزيع الاموال الاميرية ومعتنيا في تثقيف الشبان الهنود

بالقراءة وبمبادي الديانة المسيحية وغب تقرير ذلك كله استحضره فرديناند والملكة وخيراه بما يتمناه منهما ويكون عايدًا لمنفوع المملكة فالتمس ان يعطياه إذناً ليكتشف على اراضي جديدة واعدًا انه يفيهما منها مالاً لا يحصى واتساعًا لمملكتهما ثم ثمانية مراكب منها اثنين تشحن مهمات للولاية والستة يتوجه بهـا قاصدًا الاكتشافات المحكي عنها وطلب ارسال المجرمين الى الهند الغربي حيثما يصير تشغيلهم في حفر المعادن فبناء على ذلك صدر الامر لكافة المملكة بتسليم المجرمين الحاليين وبارسال الذين يحكم عليهم في ما بعد الى مدينة ايزابيلا فعند اطمئن كولومب وانشرح جدًا لكنه التزم ان ينتظر مدة طويلة في البلاط لاجل الشروع في تحضير المراكب المطلوبة حال كون خزائن المملكة كانت فارغة من تراكم الحروب المتوالية فمن ثمه لم يحصل الاهتمام بالشان المذكور الّا لاوايل الربيع ١٤٩٧ ومن عكس الحال تسلم الزمام لاناس لا يحوزون الى صالح الاميرال فاخذوا يراغون الحال من شهر الى التاني رغماً عن تحريج الاوامر المعطاة ويعتذرون بعذورات يصوبونها فبقوا كذلك الى اوايل سنة ١٤٩٨ فنجزوا تحضير المركبين الحاملين ذخاير الى الولاية ابتدائيًا فاقلعا تحت

امرة بطرس هرمند كورونال واستمر الاميرال بعد ذلك الى ٣٠ من شهر ايار ١٤٩٨ لاستلام مراكبه الستة الباقية له فركبها وكان ناسه المجرمون ذووا الجنايات فكان الاولى له التوجه دونهم لاننا قد نظرنا كم سبب له من المتاعب المجرمون الذين اخذهم معه في اثناء السفرة الاولى وسوف تنظر ايضاً ان هولاء يعرقلون له مساعيه فعلى كل يقع الغلط من الصواب وكيف ما كان الامر قد جرى ما جرى ويحدث ما يحدث بتدابير ربانية

فسار بمراكبه من مينا سان لوكاد اخذاً طرقة خلاف طرقته الماضية ــ وما زال يشق عباب المياه حتى بلغ جزاير الكابفر اي الراس الاخضر المكتشفها رجال البرتوغال فمن هناك ارسل ثلاثة من مراكبه الى ايزابيلا وحرض قباطينها بالوصول حالاً لكي تكون الذخاير وافية كافية

فاخذ يخوض بالثلاثة الباقية امام تلك الجزائر الى ان بلغ احدها واستمر مدة فيها ثم اقلع عنها وبقي ماشياً في الجهة الجنوبية حتى بلغ الدرجه الخامسة من خط الاستوا الشمالى فعنده جمد الريح وتعاظم الحار وبهتت السفن وكان الهوى كالنار الهايلة ومن جرايه انتنت الذخاير حتى المملحة وتمزقت القلوع وغليت الماء في

اوعيتها واحترق الطحين وكادت تهب المراكب نارًا من تعاظم
الحار هذا وارفاق كريستوف يتذمرون وهو يصبرهم وباثناء
ذلك اصيب بحمة قوية غير منتظمة ثم بداء النقطة . فكنت
ترى ذاك الرجل مع هذا كله متصبرًا بحاله ومصبرًا ملاحيه ولا
يكل عن السهر ومراقبة حركات الفلك مجالدًا على مرضه وعلى
المصائب المؤلمة به فبقي الحال كذلك عدة ايام وكادت تتعطل
ساير الذخاير وتشعل السفن والملاحون معاً الى ان ذات ليلة
تغير الطقس بديهاً وامطرت مطرًا غزيرًا وهبت الريح فانقلب
الحال من جهة الى اخرى في قلوب اولئك الاسبانيول واخذوا
يلحون على الاميرال لكي يسير في الجهة الغربية ويبتعد عن
الجنوبية فلم يصغ اليهم ووعدهم بقرب النوال على غاية اتعابهم
وما زالت تلك المراكب تسير سيرًا بطياً في الجهة الجنوبية لعدم
انتظام الريح فيها الى ان ذات يوم قبل بزوغ صبحه صرخ المترصدون
قد بانت الارض قد بانت الارض . ففرحوا وانتعشت قلوبهم
من مجرد نظرهم تلك الارض لانها كانت جزيرة من ثلاثة جبال
شامخة فاطلق عليها كريستوف اسم جزيرة الثالوث ولم تزل لحد
ايامنا هذه بهذا الاسم معروفة عند الاوروباويين بجزيرة

الترينيته

فتقدم كريستوف الى برّها من الجهة الشمالية وهناك يصب بقرب الجزيرة نهر الاورنيوك ويعسر اجتيازه على المسافرين لمزيد اشتداد ماوه التي تشابه دائمًا بحرًا عجاجاً قد داهمته انواء قوية فكادت المراكب الثلاثة تغرق فيه لولا الاحتياطات الكافية التي اتخذها مدوّرها اعني به كولومب الذي بعد اتعاب وافرة تمكن من الخروج الى الراس المدعو راس الباريا . فعنده اخذ يلاحظ ويترصد ويؤكد له ان تلك الاراضي انما هي التي كان يقصد اكتشافها ومن ثمه اخذ يرسي تارة في شطوط الجزيرة وتارة يسير فيها بمراكبه حتى في ذات الايام وجد كمية وافرة من اللوءلوء النفي فالنفط كمية غزيرة منه يفيض ثمنه اضعافا عن ما تكبدته المملكة من المصاريف في سبيل سفرته الثالثة . ثم نظر سكان الجزيرة وكانوا يشابهون هنود اسبانيولا الاَّ انهم كانوا بلون افتح من لون اوليك وشجاعتهم تفوق شجاعة اوليك ايضا وكانت على رووسهم قطع من الذهب الرملي وحجارة من اللولوء الثمين كان الاسبانيول يتبادلونها بمرآت واشيا مرهجة كما جرى لدى اكتشاف اول جزيرة في مدة السفرة الاولى . وقيل بذات يوم لما كان الاميرال نزل الى

البر مسافة بعيدة وقاية لصحته لانه كان اخنبر ان تغيير الهوى مفيداً له فحضر اليه رجل من الهنود وتقدم اليه بكل دالة واخذ عن راسه عرقية من المخمل الاحمر ووضع عوضها تاجا من ذهب فحسبه الاميرال من الملوك المحليين وامر حشمه بتادية الاكرام اللايق بمقامه وصرفه مسروراً . ثم كان سكان تلك البلاد يلبسون ثيابا من نسيج قطن ملوّن وشعورهم كانت مرخية على اكتافهم. وسلاحهم كان الدرع والقوص والنشاب . فرغب كريستوف في تطويل اقامته بتلك الديار ليطلع على الكلي والجزي فيها اما كانت صحته لا تمكنه من ان يستمر زمانا طويلاً . لان الحمى كانت اخذت فيه اعظم مفعول وكاد يفقد بصره من وجع الم بعيونه عواقبه السهر طول الليالي منصبا على الكتابة لرقم كل ما كان ينظره وزد على ذلك كانت جفت زخايره وما كان باقيا منها او شك ان يتعطل من قبل الحار . فبناء على كل هذا اهتم بالرجوع الى اسبانيولا ليفتقد احوالها ويرتاح مدة . ثم يعود ويتمم عمله وعليه خرج بمراكبه من الجون التي كانت فيه في ١٤ من شهر اب وفي اثنا الطريق اكتشف عدة جزاير ملاصقة بعضها ذات بحر هايج بسبب التصاقها لبعضها فاوشك ان يغرق مرارا . ثم جزيرة مرغاريتا التي في ما بعد اضحت

شهيرة باللوءلوء الذي وجد فيها . وغب ان قاسى اتعابا كلية واخطارا وفية . بلغ شطوط جزيرة اسبانيولا المقصودة ضعيفا مصفر اللون وبنصف بصر . و رست مراكبه حيث كان برتولماوس .

فيرجع كلامنا الان الى اجراوات اخيه برتولماوس المذكور بمدة غيبته لقد سبقنا وقلنا ان الاميرال توجه الى اوربا في شهر اذار سنة ١٤٩٦ فمن حينه اهتم برتولماوس في تتميم الافادات المعطاة له من قبل اخيه بشان معادن هبانا الذهبية المدلول عليها من ميشال دياز فاقام ببادي الامر قلعة بالقرب منها وسماها قلعة كريستوفال باسم اخيه ثم اقام قلعة ثانية بجوار القرية التي اقام فيها دياز ورفاقه عند ما اوحى لهم وجود المعادن الذهبية . وسماها سان دومنك باسم والده دومنيك اي عبد الاحد كما اوضحنا في بداية كتابنا هذا وقلعة سان دومنك هي اصل مدينة سان دومنك الموجودة لحد الان ولدى اتمام قيام القلعتين المذكورتين وضع فيهما حامية و بدى الشغل في حفر المعادن ثم توجه الى الملك بيهاشيو الذي كان لحد ذلك الوقت ما انضم بعد الى طاعة الاسبانيول فبيهاشيو المذكور كان يملك على اقليم الكساراغا في جهة الجزيرة القريبة وكانت بلاده اكثر جيشا والطف عوايد واحسن لغة واخصب ارض وتحت حمايته كانت

شقيقته اناكوبا قرينة كاوانابو فهذه بعد ان اسر الاسبانيول زوجها
حضرت الى مملكة اخيها واحتمت عنده لكنها من دلايل الحال
لم يكن بقلبها اذني بغضة الاروباويين بل انها كانت تعتبرهم وتعدهم
من ذوي السيادة على الهنود ولما كان اخوها ينتبه الى رايها فحرضته
بان يعتبر ماصار بزوجها ويتقرب اليهم ولا يتعارضهم مطلقا . وفي
اثناء ذلك دخل برتولماوس الى مملكته بقليل من الفرسان
والعساكر فلاقاه بعسكر وافر ولما تاكد ان نوايا برتولماوس بالحضور
اليه ليست على سبيل الحرب بل على سبيل الزيارة فصرف رجاله
واخذه الى القرية عاصمته التي كانت بقرب الجون المعروف الان
بجون لوغان وهناك بقي برتولماوس عدة ايام محفوفا بالاكرام الزايد
له ولمن كان معه ودخل بيهاشيو وشقيقته في طاعة فرديناند
وايزابال وعين عليهما رسما على القطن وساير حاصلات الاقليم
وتوجه ايضا الى مدينة ايزابيلا حيثما وجد الامراض كثيرة والضيقة
كلية بنقصان ذخائر اوروبا فوقاية لذلك ارسل المرضى الى
البلاد الداخلية ملاحظا بذلك ان تغيير الهوى يشفيهم ثم اقام
عدة قلع توصل مدينة ايزابيلا بسان دومنك لتتسهل المخابرات
وبينما كان بتلك الحالة الضيقة اذ بلغه ان هنود الفاغا قد تمنعوا

عن تقديم المترتب عليهم مدعين ان لا طاقة لهم على تقديمه وباثناء
ذلك اتهم البعض منهم بسرقة كنيسة فقاصصهم قصاصا مرعبا ومن
جرى ذلك جميعه هاج ملوك الجزيرة وهيجوا غواديوتكس معهم
وقصدوا محي الاسبانيول من ديارهم وحملوا ابتدائيا على القلعة
المبينة في سهول الماغا فاعتلم بعض رجال حاميها بما كان
مزمعا ان يحدث وبالحال حرروا الى برتولماوس ليخبروه بما كان
انما كانت الصعوبة بتيسار التحرير اليه لان سائر الطرقات كانت
مربطة ومع كرور الايام غدا من اعتقاد الهنود ان تلك التحارير
كانت ذات لسان تنطق به وتخبر عن كل شيء ففضل الاسبانيول
عدة ايام محتارون بكيفية ارسال التحرير الى ان تكفل لهم احد الهنود
بايصاله على شرط اعفائه من الرسم المفروض وسوف يفرض ما
دام حيًّا فقبل طلبه وعندها وضع التحرير في عصا مثقوب وسافر
الا انه بينما كان في وسط الطريق مسكه المتمردون فزعم انه
اصم واعرج وقال لهم بالاشارة ان عصاه انما هو للاعانة له في الطريق
فاعتقوا سبيله وما زال يمشي اعرجا حتى غاب عنهم واسرع في
طريقه حتى وصل الى ايزابيلا حيثما سلم الكتاب الى صاحبه فنهض
برتولماوس حالاً بعسكر كافي وتوجه الى المتمردين حيث تمكن

من القاء القبض على زعمائهم اذ كانوا مجتمعين بذات ليلة في احدى القرايا ومسك غواديوتكس بيده . ثم اخذ يبحث ويدقق عن نبع تلك الثورة ولما اطلع على حقيقة امرها امات اثنين من الملوك البادئين بها وصفح عن الباقين اما غواديوتكس فاخبره ان سبب دخوله بالهيجان كان من مجرد اهانة اجراها بحقه احد الاسبانيول فاستحضره برتولماوس واهانه اهانة قوية ورام قتله فسر ذلك غواديوتكس وتشفع به ثم القى خطابا على شعبه موضحا فيه حسن سلوك الاسبانيول ووجوب الالتفات بكل خضوع الى اوامرهم وهكذا خمدت تلك الثورة ولو موقتا

وبعد هذا ارسل اليه بيهاشيو من يبلغه ان الاشيا المفروضة عليه تحضرت وان يرسل من يستلمها او انه يحضر بنفسه فاسرع حالاً بالتوجه اليه وصحبته العساكر بكاملها واذ وجده مجمعا كمية وافرة من القطن والحاصلات فطلب مركبا ليشحنها فيه وبقي بانتظاره عند بيهاشيو مكرما منه ومن شعبه بكل ما يقتضي وبعد مضي ايام قليلة حضر المركب المطلوب وياله كان من اندهاش عظيم عندما اقبلت تلك السفينة التي لم ينظرها بعد بيهاشيو واناكونا وشعبها فعزمهما برتولماوس للتفرج وركب بيهاشيو

زورقا من الزوارق المحلية ومعه شقيقته واغنى عليهم جميعهم عندما اطلقت المدافع دلالة على التحية لهم وغب ذلك شحنوا السفينة قطنا وذهبا وافرًا

هذا وبينما كان برتولماوس مهتما بكذا اشغال عائدة منفعتها للولاية كان حاصلاً في ايزابيلا ثورة قوية وزعيمها كان رولدان المستلم مهام القضائية بغياب كريستوف فابتدا يحرب الناس اليه ظانًا ان الاميرال قد نزل عن مقامه فنودي به زعيم الحزب واعتمد وحزبه على قتل برتولماوس واخيه دياكو وعلى الاستيلاء على قلعة سان دومنك انما لم تمكنه التقادير باتمام عمله المقصود لان محافظ تلك القلعة كان امينا شجاعا فصادمه والزمه بالانهزام الى الوراء فاقام وحزبه في نحاء الجزيرة حيثما كانوا يهيجون الهنود ويوعدونهم بالانعتاق من الرسم ومن حكومة كولومب واخوته البربرية فنجح عملهم بذلك وفي مدة يسيرة اضحت اكثرية الجزيرة ثايرة اذ لم نقل بكاملها فحرر برتولماوس الى رولدان لكي يرتجع عن مساعيه المبنية على الفساد ويستمر كما كان في وظيفته فاجابه ان لا سلطة له عليه وان اجراواته مفيدة هي للمملكة وانه لا يعرف لا حكومته ولا حكومة اخيه . فاغتاظ برتولماوس من جوابه

انما لم يكن بيده ان يصادمه حالاً اذ نظر ميل اكثرية القوم اليـه وانضمام اكثر اهل البلاد الى حزبه وفي اثناء ذلك اخبره ميشال باليستر محافظ قلعة سهول الماغا بان الثايرين يتهددونه فتوجه حالاً لانجاده واخذ معه ما تمكن باخذه من العساكر ثم تمنع الهنود عن تقديم الرسم المسنون عليهم وغدت حالة الجزيرة مكربة جدا ورجال رولدان يمتدون فيها لزرع الفساد ومحافظو القلاع لم يعد لهم طريقة بالخروج من مستحكماتهم بداعي كماين الهنود . وفي ما هو الحال كذلك وقد بطرس هرمند كوروتـال ومعه السفينتين الآتيين له بالذخاير من اسبانيا كما قدمنا ورسى بهما في مينا سان دومنك فعنده تحسنت احوال برتولماوس وقومه لاسيما انه كان مـع تلك المراكب اناس جملة وذخائر وافية ثم امر سامي من فرديناند الى برتولماوس يحرضه به بالحاق الاجراوات على داب الاميرال وانتشر الخبر في الجزيرة بكاملها ان كريستوف لم يزل بخاطر الملك والملكة اكثر من الماضي وانه حاضر باقرب وقت ومعه عـدة مراكب ورجال فانقض ذلك الخبر على رولدان كالصاعقة فحرر له برتولماوس بالارتجاع عن عمله صافحاً له ذنوبه بالماضي فبقي مصراً وتوجه الى اقليم الكسارانغا حيثما سكن مع قومه . فالبكاد ارتاحت

الجزيرة من تحزيات روالدان اذظهرت ثورة قوية نتجها من قبل
الهنود وهي ان غواديوتكس دخل مع بقية الملوك بكمين مقصود
فيه انقراض الاسبانيول وهدم قلعهم وبناياتهم بكاملها فتوجه اليه
برتولماوس حالاً لكنه لم يقف بطريقه وانهزم الى جبال سيفواى
المجاورة ومعه اولاده وقليلاً من خدمه ولما كان برتولماوس مغتاظاً
منه فجدّ باثره الى الجبال التي كان انهزم اليها الى ان بلغ راس قابرون
حيث كان مقيماً ملك تلك الجبال المدعو مانويوتكس فارسل
له سفيراً يبلغه ان يسلمه غواديكويوتكس ام يستعد الى النزال فاجابه
مع سفيره قائلاً ان غواديوتكس قد وقع نزيلاً عندي وعلى ذلك
لا اسلمه مطلقا ولو مهما كابدت انا وشعبي وبلادي من الاهوال
والدمار فابتدا حينئذٍ برتولماوس ينهب ويحرق ويقتل والزم
مانويوتكس الى الانهزام المغر فراسله ثانية فاجابه اني لا اخون
قط بحقوق الضيافة فبقي يطاردهما مدة ثلاثة اشهر متألما هو وعسكره
بالمدة المذكورة تارة من الجوع وتارة من الاهوال المتتابعة فبتالي
الامر تيسر لاثنى عشر من الاسبانيول بالقبض على مانويوتكس
وهو انهم لبسوا من ثياب اهل البلاد واخفوا سيوفهم وما زالوا
يجسون الاراضي والجبال والمغر الى ان بلغوا المغارة التي كان مختبئ

عمنها ذاك المنكود الخطر فالقوا من ثمه القبض عليه وعلى اولاده
وامراته واستحضر وسّم لدى برتولماوس فرجع بهم الى قلعة الفاغـا
وهناك اطلق سبيل اولاده وامراته اما غواديوتكس فضل متخفياً
في المغر والجبال حتى داهمه الجوع وضاقت الدنيا عليه فكان
يحضر خفيةً الى سهول الفاغا ليقتات ثم يرجع لمغره فبتالي الامر
اعتلم به الاسبانيول فاكمنوا له ومسكوه وحضروه للقلعـة حيثما
اودعوه السجن . وبغضرنه رجع برتولماوس الى سان دومنك وهناك
وجد اخيه كريستوف فصافحه وبلغه كل ما كان فشكره على عملـه
واصدر اشعاراً عمومياً بسائر الولاية متضمناً تثبيت سائر اجراوات
برتولماوس وضحض عمليه رولدان ومن لاذ اليه وغـدى يهتم
بالطريقة الموصلة لاخضاع رولدان المذكور الذي كان
يعدُّ لديه كخاين حقوق العهود والمروة والانسانية ومعرفة الجميل
الا ان فكره كان مشغولاً بعدم وصول الثلاثة مراكب التى كان
ارسلها امامه من جزاير كاناريس عندما كان حاضراً فكان يظن
ان البحار قد ابتلعتها وانه لم يعد اصل لها ولا لرجالها انما ياليتها تكون
اضحت فريسة المياه لكان خير له بذلك فهاك واقع حالها
فانها بعد ان قلبتها انواء الاوقيانوس عدة اشهر تمكنت من

الوصول الى شطوط اسبانيولا ورسيت في جهة اقليم الكسار اغا حيثما كان متوطن رولدان محفوفا بالاكرام من قبل بيهاشيو واناكونا فارتعب وحزبه وخال لهم ان تلك المراكب انما هي حاضرة لالحاقهم. لكن لما كان رولدان من ذوي الدراية والفن فتيسر له ان يطلع على حقيقة الامر فذهب الى المراكب قايلاً لروسائها انه متوكجا بامر الاميرال على مهام تلك الجهة لانها كانت متمردة فصدقوه وبموجب طلبه اعطوه بعض الانفار بسلاحهم وقسم من الذخاير وابتدى يتردد يوميا اليهم ويجذب الملاحين الذين كانوا اكثرهم من المجرمين كما قدمنا ولاجله لم يعسر عليه نجاح مقاصده فبتالي الحال اعتلم بذلك احد القبابطين واخبر رفيقيه فحزنوا جميعا وعمدوا على الانقلاع عن تلك الناحية فلم يوافقهم الريح ومن ثم بت رايهم بتوجيه احدهم برا وبرفقة اكثرية الناس ليخبر واكريستوف بكل ما كان ووقع الاعتماد على جوان انطونيو كواومب من اقارب الاميرال فنزل الى البر ومعه اربعين نفر بسلاحهم الكامل قاصدا مدينة سان دومنك فلم يسير واياهم بعض الطريق الا وتركوه وانضموا الى رولدان ولم يبقا منهم معه الا ثمانية انفار لا غير فعاد بهم الى المركب واخبر بما كان فحالا ذهب

الى الثايرين الجدد قبطان اخر وبذل جده ومجهوده لارجاعهم ولم يكن له نتيجة بذلك فحينئذٍ اقلعوا بالسفن وتوجهوا الى سان دومنك حيثما بلغوا بعد وصول الاميرال اليها بايام قليلة فاعلموه بما كان فتضاعف غمه واحتار بامره لانه لو قصد مطاردة تلك الخاين لكانت حالة الولاية مكدرة جدا لان اكثرية الناس الذين كان بعدهم بسان دومنك كان لهم اقارب اواصدقا مع رولدان وذد على هذا فكان يصعب لديه قيام حرب اهلية. فغب التمعن مع اخيه اطدر اشعارا حاويا الصفح عن الثايرين وعن ذنوبهم ولو مهما كانت بشرط انهم يرجعوا الى الطاعة . ثم حرر رقيما خصوصي الى رولدان به يوبخه على خيانته وافعاله الممقوتة وينصحه بان الاولى له الدخول في سلك الطاعة وانه مستعد على ترجيعه لوظيفته الاولى بشرط انه يفحص افعاله ومقاصده ويخضع له كما كان فبقي رولدان مصرا في العصيان فحينئذ عجل الاميرال بارسال خمسة من مراكبه الى اسبانيا وارسل فيها كل من لم يكن اعتماد عليه او من دابه القلاقل وحرر باسهاب الى فرديناند وايزابال موضحا عن كيفية سفرته الاخيرة وعن الاراضي التي كان اكتشفها جديدا وعن هيجان رولدان وسال اليهما معا لكي يرسلا له رجلا عالما

بالشرايع ليتبوأ عرش القضائية بدلاعن رولدان . ثم ارسل مع المراكب ذاتها ساير اللوءلوء والذهب الذي كان التقطه . وعقب ذلك انصب على اخماد الثورة الاهلية فلدي مراجعات طويلة ومخابرات جملة مابينه و بين رولوان مكنته الظروف باخمادها دون ان يهرق نقطة واحدة من الدم فعنده اعتمد على الرجوع لمادريد غير ان لم يمكنه الحال بسبب الامراض التى كانت ملمة بالولاية فارسل مركبا سادسا وحرر عن كيفية تصرفه مع رولدان وحزبه والحاله التى كان توصل اليها معه والتمس ارسال معتمد مخصوص للفحص عن كل ما كان اعترضه ثم ارسل ولده دياكو ليساعده بالاشغال .

هذا اما رولدان وحزبه وان يكن كانوا دخلوا بخاطر الاميرال لكنهم لم يطمأنوا غاية التطمين وتحقق لهم من الدلايل ومن استقامة كريستوف ان لابد له من انه يخبر البلاط الملوكي عن هيجانهم فمن ثم قدموا عرضا الى الملك برفق المركب ذاته يبررون ذواتهم به ويوشون على الاميرال بتصرفه السيء الذي كان اوجبهم ان يسلكوا سلوكا غير قويما

الفصل التاسع

يتضمن اكتشافات مملكة البورتوغال في افريقية ثم ارسال معتمد من مادريد الى اسبانيولا وتصرفه بحق الاميرال . وارسال كولومب محفوظا الى اسبانيا

من سنة ١٤٩٩ الى سنة ١٥٠٢

تحوجنا الضرورة بترك الحال على ماتقدم موقتنا لاجل ايضاح الحوادث المهمة التي جرت في اوروبا لكونها اي تلك الحوادث هي ذات تعلق في تاريخنا هذا : قدكان ملك البورتوغال اعقبه الندم الزايد بداعي رفضه كريستوف كولومب لما كان يسال اليه . الاسعافات المقتضيه لاكتشاف العالم الجديد فمن طالع تاريخنا هذا قد وجد تفاصيل ذالك فيها . قلنا لقد كان اعقبه الندم لاسيما عندما كان يسمع بما يفعله الاميرال وعن ما يورده من الاموال لمملكة اسبانيا جارته فعنده كان يتعاظم الحسد بقلبه و بقلب رجاله ومن ثمة باتفاق اراء لجنه علمية اقامها لهذا الخصوص تم الاعتماد على اكتشاف الطريق المودي بحرًا من البورتوغال الى الهند الشرقي

تجهز مراكبا وسلم رياستها لرجل يدعى فاسكودي غاما من اكبر المشهورين بعصره بفن النوتية فاقلع فاسكو المذكور بمراكبه وما زال يخوض البحار ويكايد الاهوال الشديدة تارة من تراكم الانواء وتارة من شدة الحار في جهات افريقيا الى ان وصل الى جهاتها الشمالية ومنها الى راس الرجا الصالح وكان له اذ ذاك اربعة اشهر خارجا من بلاده . ففي ٢٠ من شهر تشرين الاول سنة ١٤٩٧ اجتاز الراس المذكور وبوصوله الى جهته الثانية اخذ طريقه شمالا مغربا حتى وصل الى مدينة ميلند في شطوط الزنجبار واذ هي بمدينة عظيمة كان سكانها على جانب قوي من التهذيب لا كالذين كان نظرهم لحد ذلك الوقت في افريقيا . يتعاطون التجارة عالمون بعدة صنايع وفنون وايمانهم المذهب الاسلامي فقوي كان سروره بذلك الا انه لما كان يكد على ايجاد الطريق المودي الى الهند فاقلع عن المدينة المذكورة وفضل عرضة لشر البحار عدة ايام وما زال يتحمل مصاعبه الى ان بلغ محل قصده في ٢٢ ايار سنة ١٤٩٨ اي الى شطوط الهند لمدينة كالكوتا حيثما وجد مالم يكن يظن بوجوده اولا من تثقيف ذلك الشعب بالتهذيب في ما بينهم وطاعتهم للاحكام واعتبار الغريب ثم بكثرة حاصلات تلك الديار ومعادنها نظير

الذهب والفضة والالماس واللوءلوء والفخار الهندي والمنسوجات الحرايرية والكهربا والعود ذي الرايحة الطيبة واشيا كثيرة شبيه هذه فلدي تحقيقه على الكلي والجزئي اسرع بالرجوع الى مولاه واخبره عن نتيجة سفره واكتشافاته وتوفيقه وشرع البرتوغاليون يتقاطرون لتلك الديار ويتعاطون التجارة والارباح واتفق ان احدهم المدعو بطرس الفارز كابرال اذ كان مسافراً الى الهند المذكور سنة ١٥٠٠ قذفته الانواء واوصلته التقادير الى حدود اماريكا وهناك اكتشف البرازيل .

وهكذا صار اي انه بينما كان كريستوف كولومب يكتشف البلدان الجديدة كان رجال البورتوغال يتورطون في خوض البحار جهات الهند الشرقي ويتعاطون فيه التجارة ويربحون ارباحا وافرة ورجال الاسبانيول ينظرون اليهم بعين الحسد الزايد وكانت اذ ذاك بوجه الغيرة قد انصبت ساير اوربا بملوكها وسلاطينها واشرافها وتجارها على الاكتشافات وكنت ترى ذوي المال والثروة يجهزون مراكب ويركبونها هم ام يسلمون زمامها لمن عليه الاعتماد قاصدين بذلك الارباح والمال والشرف فلما كان الحال كذلك اخذ الونزو دي اوجيدا الذي ذكرناه بهذا الكتاب بعدة مواقع

يقنع بعض التجار الاسبانيول في مدينة سافيليا لكي يجهزوا له مراكب ليتوجه بها زاعماً انه ذا معرفة بتلك البلاد البعيدة فنجح سعيه وتحضر له اربعة مراكب واعطي الاذن له بالسفر اينما شاء مع ان ذلك كان ضد الاتفاق المبرم في ما بين البلاط الملوكي والاميرال كريستوف وكان وقتيذٍ متولج الاسقف بوجادوز مهام خارجية المملكة فهذا كان عدواً مبيناً للاميرال وعليه اعطى الونزو دي اوجيدا اوراقه المتعلقة بالسفرة الاخيرة حيث كان ارسلها برفق المراكب كما ذكرنا بنهاية الفصل الماضي مع التخطيطات البحرية التي كان ارسلها ايضا فتسهل عنده لالونزو المذكور ان يخوض في مراكبه دون ادني مشقة وكان بمعيته وقتيذٍ احد اشراف مدينة فلورنسه يدعى اماريك فسبوس من ذوي العقول الثاقبة والسلوك الحسن فابتدى دي اوجيدا يسير بمراكبه في الطريق التي اجتازها الاميرال بالسفرة الاخيرة وبلغ مثله شطوط الباريا ونزل مراراً الى البر ثم جزيرة مرغاريتا ومنها جزاير القريبية وهناك حصلت معه موقعة بينه وبين تلك القبيلة .

ففي ذات يوم تخبر الاميرال بان اربعة مراكب راسية في جهة الجزيرة الغربية وان قصدها على ما لوحظ قطع اشجار للصبغه

ومشتري جوار من الهنود فاكتئب لذلك جدا وصمم على ان يرسل
معتمد الى ريس تلك المراكب ليعرف من هو ومن اين وما هو
مقصوده ولما كان رولدان من ذوي التدبير فاختاره لذلك ملاحظا
معا ان بتلك الواسطة يزيد تقربه اليه و يرجع عن افكاره ان
كان لم يزل عليها فانسر رولدان وتوجه من سان دومنك بسفينتين
وفي ٢٦ ايلول سنة ١٤٩٩ وصل بمراكبه لقرب المحل الذي كانت
فيه المراكب الاربعة تجرها وطلب رئيسها فاخبروه انـه توجه الى
البر فنزل اليه بخمسة وعشرين نفر من رفاقه وما زال يفتش حتى
وجده فساله من انت وما غرضك بهذه الديار فاجابه انا الونزو
دي اوجيدا من جملة الذين قد غمرهم مخدومك بفضله وقد تسلمت
هذه المراكب في اسبانيا من قبل بعض تجار مدينة سافيليا لاكتشف
لهم على معادن ذهبية جهات الهند الشرقي فضربتني الانواء
وشتتني و وصلتني المقادير لهذه الاراضي فمستعد بعد ترميم مراكبي
ان اتوجه وافتقد الاميرال واقدم له اعتباري واحترامي. فاستنطقه
رولدان مرارا ولم يلوح له الا افكار سلمية فتركه و رجع الى سان
دومنك واخبر مخدومه بكل ما كان راه لكن لم يكن ببال اوجيدا
المذكور زيارة كريستوف مطلقا وغب ان رمم مراكبه اقلع بها الى

جهة اقليم الكسار اغا وهناك قابل جملة من الاسبانيول اكثرهم
من حزب رولدان لانهم لم يكونوا دخلوا بعد بالطاعة نظير زعيمهم
واخذوا يتدمرون من تصرف كريستوف بحقهم ومن عدم دفعه لهم
معاشاتهم الماضية وهلم جرا فوعدهم بتبليغ تشكياتهم لمحل الاقتضى
وبقي مدة في تلك الانحا وعاد الى اسبانيا واخــذ يشرح باسهاب
عن تلك البلاد وما فيها من الخيرات مخصصا لذاته تلك
الاكتشافات مع انها كانت ثمرة اسفار كريستوف كولومب .

ان داب ذوي الامتياز والتهذيب لا يفتخرون بما يفعلون بل
انهم يصنعون الخير ولا يبالون بتبليغه للغير فهكذا كان كولومب اذ انه
اكتشف ما اكتشفه وقاسى بسببه ما قاساه ولم يخطر له ببال اشهاره
على العموم بل انه كان يخبر اولياء عمه ايفاء لفروض واجباتــه .
فاما ريك فسبوس الفلورنتيني بعد ايابه لاسبانيا اهتم حالا بطبع
كتاب حاو جميع التفصيلات كلية كانت ام جزئية عن العالم الجديد
المكتشفه كولومب ووزع كتابه في ساير اوربا فانصب الناس
على مطالعته ومن ثم خال لهم ان مولفه اماريك المذكور انما هو
المكتشف على تلك الديار وبناء عليه لقبت الهيئة الاجتماعية ذاك
العالم بامريكا نسبة لاماريك فسبوس الذي بنوع ما قد نسخ كتابه

عن اوراق كولومب واختلس منه بذلك حقا شرعيا له وليس لخلاه حيث من العدل كان واجب تسمية تلك الديار كولومبيا نسبة لكريستوف كولومب لا اماريكا .

فاقول عن ذلك ان من كان ذو امتياز بهذه الدنيا هو معرضا دايما لى حسد الناس وبغضهم ومن المسلم كل مازاد الانسان منصبا وكل ما فعل خيراً ترى الاكثر لا يردونه وان ودوه يكون ذلك او مداراةً لصوالحهم التي يكون له الفضل فيها او من باب التمليق لينالون منه بعض غايات يطلبونها . وعليه باطلة هي تعابك ياذك الخير العمومي لو قصدت مرضاة الناس فانهم لا يكافوك على فعلك الخير خيراً بل انهم يجازوك عنه شراً لا سيما اذا حط مقامك . فممدوح هو عمل الخير لكن لمرضاة الله فقط الذي يجازي كلٍ حسب استحقاقه وما قد اوردناه بهذا التاريخ وما سوف نورده فيه هو من البراهين العظيمة لاثبات ماقد قلناه هنا والملاحظ ايضا ان فاعل الخير العمومي ولو نهما بغضه معاصروه ونكروا فضله فلا بد له من ان تظهر افعاله فبالحقيقة ما الفضل الان عندنا لاماريك الذي اختلست له الهيئة الاجتماعية حقا كان لكريستوف . هل ان مطالعي التواريخ لا يعلمون ان لا فضل له البتة باكتشاف العالم

الجديد . هل اننا لم نرى انهم يعتبرون كولومب وحده بذلك ويلومون معاصريه على ما اجروه بحقه من نسيان الجميل وعدم الوداد

فلنرجعن الان الى ما كنا عليه في اسبانيولا فقلنا اذ ذاك ان الاميرال كريستوف تمكن من اخماد الثورة وترجيع رولدان عن غيه وانه حرر الى الملك والملكة بواقع الحال وارسل لهما اللؤلؤ والذهب الذي كان وجده مع الايضاحات المقتضية بشان الاراضي التي كان قد اكتشفها وقلنا ايضا ان رولدان وحزبه خشية من تكدير خاطر فرديناند عليهم حرروا عرضا له يعترضون فيه على تصرف كولومب بحقهم والتزمنا بعد ذلك لايضاح ما قد ذكرناه منذ بداية هذا الفصل الحاضر . فنقول من ثم الان ان رولدان المشتكي غناه رغما عن انعامات الاميرال له لم يكن يترك فرصة واحدة لتسويد بخته باذاء البلاط الملوكي بواسطة اصدقاه هنالك واكثرهم كانوا مبغضين لكولومب وزد على ذلك بسبب ضعفه اي كريستوف ماديا وادبيا كنت ترى دائما القلاقل والاختلافات الذاتية تنتشب تارةً في ايزابيلا وتوراً في سان دومنك واحيانا في معادن الذهب فكل ذلك اشغل له فكره بهذا المقدار حتى لم يعد له ببال فحص الوشايات المتراكمة عليه الملك مع انه كان عالما فيها بل كان اجل

اهتمامهُ في تخميد الثورة وتوطيد سعادة رجال الولاية وايفا المملكة مالا غزيراً كان اوعدها بهِ من الديار البعيدة وبهذه الغاية كان دائمًا مع اخويهِ تحت السلاح رغماً عن ضعف جسمهِ . وبينما كان الحال كذلك كان بتدبير سوء البخت ينزح جملة اسبانيول من امريكا ويتوجهوا لاسبانيا وطنهم بحالةٍ يرثى لها من الفقر فاعرضوا واقعة حالهم لمحلات الاقتضي وطفقوا يتدمرون من كريستوف ويشتمونهُ ويشتمون اخويه واولاده وعموم عائلتهُ فسر ذلك مبغضوه وجرّعوهم على ان يعرضوا ذلك الى الملك والملكة ففي ذات يوم اذ كان فرديناند وايزابال قاصدان التنزه خارج القصر فتبعوهما بثيابهم الرثة وعلائم الضنك والفقر على وجوههم واخذوا يطلبون اظهار العدل بداعي ما قاسوه في البلدان البعيدة ويلتمسون معًا دفع مرتباتهم المعينة لهم قائلين ان كولومب لم يدفعها لهم وما زالوا يلحون عليهما مرارًا حتى رقعت لديهما شبهة قوية بان تصرف كريستوف مستبدًا كان وعلى ذلك تقرر ارسال معتمد اخر للفحص عن تشكيات ذلك القوم ووقع الانتخاب على فرنسيس بوفاديليا من رهبان الكالاترافا فتفوض برفت الاميرال واخويه اذا كان التشكى عليهم صحيحًا وباستلام زمام الاحكام. ثم بارسالهم الى اسبانيا واعطي لهُ خلاف اوامر مسوطة كلها بهذا الخصوص

وسوف ياتي الكلام عنها · فعنده تطمن بال مبغضي الاميرال بسقوطهِ
لا محالة لان بوفاديليا كان من جملتهم فهذا بلغ سان دومنك في ٢٣
من شهر اب سنة ١٥٠٠ وكان الاميرال اذ ذاك خارج المدينة لانهُ
كان اخمد الثورة فيها وكان توجه مع اخيه برتولماوس لاحد الاقاليم
المجاورة حيث كان آخذ دلائل معادن ذهبية · وقد قال واشنكتون
ارفنك ان بوفاديليا بوصولهِ الى سان دومنك تخبر بان الاميرال قد
كان قاصص بالشنق ثمانية اسبانيول وانهُ لم يزل بالسجن ثمانية
خلافهم كان متقرر اعدامهم بعد رجوعه من داخل الجزيرة بسبب
جنايات قد ارتكبوها باثنا الحوادث الماضية · فعنده نزل حالاً الى
البر وصارت تلاوة الاوامر التي كانت بيده بالفحص عن تصرفات
كريستوف وطلب الى دياكو كولومب اخ الاميرال ان يسلمهُ المحبوسين
ليطلع على واقعة حالهم فتمنع دياكو عن ذلك مدعياً انهُ لا يجرى
هكذا دون امر خصوصي من قبل اخيه وسال اليه ان يعطيه نسخة
عن الاوامر التي بيده ليرسلها لهُ فتمنع بوفاديليا وفي الغد امر بتلاوة
امر ثاني ملوكي متفوضاً بهِ باستلام حكم الجزيرة وتوجيه رام ثانية ان يتسلم
المسجونين ودياكو كان مصراً في جوابهِ كالاول ففي اليوم الثالث امر
بتلاوة امر ثالث مضمونهُ وجوب تسليم دائرة الاحكام وكل شي مختص

بالمملكة الى عهدتهِ ثم امرا رابعًا بالحتم على كريستوف واخويه لدفع المتاخر قبلهم من مرتبات المتوظفين مع دفع ديونهم الشخصية حالاً.

وبموجبها طلب تسليم المسجونين ولما بقي دياكو كولومب متمنعًا عن تسليمهم فنده بملاحيهِ وبمن كان اجتذبهُ اليهِ وهجم على القلعة وكسر ابواب السجن واطلق المحظور عليهم فيهِ ثم وضع يده على دار الاميرال وعلى ما فيها لهُ من مال واوراق وامتعة وافراس وقال بفصيح العبارة على رؤوس الجميع ان هذه الدار وما فيها قد اضحت من الان وصاعدا داري وكريستوف وعائلتهُ لا امل لهم بعد بالتولي على هذه البلاد وبامر الملك من كان لهُ دعوى عليهم كلية كانت ام جزئية فليصدّرها حالاً امامي. ولما كانت اكثر رجال الولاية من رعاع الشعب تلقوا بوفاديليا بالترحاب لان اجراءاته كانت على مشربهم. وعقب ذلك ارسل نسخة عن جميع الاوامر التي كانت معهُ الى كريستوف الذي كان وقتئذٍ في سهول الفاغا وحرر لهُ بالحضور حالاً لديه ليعطي جوابًا عن التشكيات المتصدرة ضده فاسرع بالحال الى سان دومنك ولما اعلم بوفاديليا بوصولهِ ارسل لهُ امرا ناطقًا باسمهِ من الملك يامره فيهِ بالامتثال الى افادات المعتمد بوفاديليا فتلاه الاميرال وصاح: واه واسفاه قد نزل مقامي. فيالي من بخت سيءٍ وبالضعف

املي بعدالة الملك الذي قد خدمتهُ عمراً كاملا واية خدامة خدمتهُ واية فائدة حصلتها لمملكتهِ واى مجدٍ نولتهُ . تباً لكِ من دنيا فانية غير عادلة ومع ذلك اقد اجريت ما اجريتهُ لمجد الله الاعظم ولمنفعة العموم فمن ثم لا اطلب مجازاتي من سلاطين هذه الدنيا وناسها بل اطلبها من ذاك الذي قد كون الكل والكل بيده والذي هو نبع العدالة السامية . فغب ان استفاق من تلك الحركة المؤلمة امتثل امام بوفاديليا وقال لهُ بقلبٍ غير مرتعب ان جلالة والي نعمتي يامرني لكي اعتمد ما تقولهُ لي فان شئت تفحص عن تصرفي امر باحضار المدعيين وان لا ها انا بقبضة يدك وفقاً لامر من لهُ الامر عليَّ فالتفت بوفاديليا بحرسهِ وقال لهم اوضعوا لهُ الحديد بيديهِ ورجليهِ واودعوه السجن المظلم وهكذا افعلوا باخويه برتولماوس ودياكو . ولكن من هو ياترى قد غللهُ بالقيود . هل اعداوه : لا لعمري بل ان هولاء قد لاموا بوفاديليا علانيةً بذلك بقولهم انهُ لقد تصرف بذلك تصرفاً غير عادل . فمن هو اذاً اوثقهُ بالقيود . فلم يتجرأ احد ان يلمس ذاك الشخص الموقر الاَّ خادمهُ الخصوصي . فعنده كنت ترى ذاك الاميرال بسجنهِ المظلم مكتئباً ذليلا حزيناً وفي ذات ليلة دخل اليهِ خفيةً احد اصدقاوه واخذ يسليه على مصابه فاجابهُ ان سمحت لي العناية ونظرت الملك

فاوضح لهُ بري ولا غرو بانهُ يرثى لي ويوبخهُ ضميره لنحوي ويعقبهُ الندم على ما ابداه بحقي

اما بوفاديليا فاخذ يبحث ويفحص عن سلوك كريستوف واخويه ولما وجد ان الحال قد تم على اقصى مرامهِ حكم عليهم بالاعدام لكنهُ لم يتجراء لذلك من عواقب حكم مشوم نظير ذاك الحكم الغير عادل وعليهِ اعتمد على ان يرسلهم لاسبانيا وان يبين ما يجب تبيينهُ بوجوب اعدامهم وبالحال جهز سفينة مخصوصة وسلم حراستهم في البحر الى رجلٍ يدعى الونزو دي فيليجيو كان من ذوي المروة والذوق والعدل · ففي اليوم المعين للسفر دخل على الاميرال وتقدم اليهِ بمزيد الاحترام فظنهُ حاضراً ليستاقهُ الى المحل المعد لاعدامه فسالهُ قائلاً وماذا تريد مني يا فيليجيو والى اين تستاقني فاجابهُ اني حاضرٌ الكي اتوجه بخدمة مهابتك الى السفينة ومنها الى اسبانيا فصرخ الاميرال فرحاناً · وهل ان كلامك اكيدًا هو يا فيليجيو فاجابهُ ثانيةً قسماً براس مهابتك فما كلامي الا با الواقع · فنهض عند ذلك مسرورا وجارًّا رجليهِ من ثقل قيودها واحنى راسهُ خجلاً عندما دخل المدينة التي كان تعب وشقي في بنائها اعني بها سان دومنك وكانت افواج الاسبانيول اعدائه واقفة ويهزأُون بهِ ويشتمونهُ ويشتمون اخوانهُ ·

قصاري الكلام فاقلعت السفينة الحاملة اولئك الابرياء اعني بهم الاميرال واخويه ولما غابت عن سان دومنك تقدم الى الاميرال فيليجيو ورئيس السفينة الذي كان اسمهُ اندراوس مرتين وسالا اليه ان يسمح لهما بفك القيود من يديهِ ورجليهِ فاجابهما قائلا بنفس عاتية اني لقد عودت نفسي على الطاعة الكاملة لامر من لهُ الامر عليَّ وقد امرني موخرا جلالة مولاي الملك بان اطيع بوفاديلبا معتمدهُ وبناء عليهِ قد وضعت لي هذه القيود بامره فلا انزعها الا بامره وغب ذلك سوف احفظها عندي كحاجة ثمينة وكمثل تذكرة لي بفضل الملك عليَّ مجازاةً لاتعابي. فبالحقيقة على ماروي في تاريخ حيوته بقلم ولده فرديناند بانهُ لقد حفظ تلك القيود عنده ولدى مماته طلب ان تدفن معهُ باللحد

فوافق الريح تلك السفينة الحاملة كريستوف مع اخويه وبلغت مينا كاديكس باقرب وقت فانزلوه الى البر مغللا فضاجت المدينة من جرا ذلك واشمأز الجميع وانتشر الخبر في سائر المملكة عن ما كان وحدثت هيزعة قوية . ولما كان بوفاديلبا ما امر رئيس السفينة بان لا يدع الاميرال واخويه يتوصلون الى الملك والملكة بل يسلمهم الى الاسقف بوجادوز متولج المهام الخارجية انتصر لهم احد ملاحي السفينة واخذ كتابا من كولومب الى الملكة كان موضحًا فيهِ حالته ووصولهُ

مغللاً الى اسبانيا من ذلك العالم الجديد الذي كان اكتشفهُ فاضطرب الملك والملكة معًا ولام الجميع حتى ومبغضو كولومب بوفاديليا واجراواتهُ فبالحال صدر الامر الى رئيس السفينة لكي يفك قيودهم وارسل فرديناند وايزابال بالوقت ذاته مبلغًا من الدراهم الى كريستوف ليبتاع لهُ ولاخوانهِ ملبوسًا لايقًا بمقامهم وحررا لهُ ان يحضر لديهما الى غرينادو وظهرا لهُ تاسفهما على المعاملة البطلية التي جرت بحقه على غير ارادتهما. فبوصول التحرير المذكور اليهِ ذهب قاصدًا غريناد وفي اثنا سفره كانت تغص الطرقات من ازدحام الناس المتقاطرين من كافة جهات المملكة لينظروا ذاك الرجل المشهور فبوصوله الى القصر الملوكي دخل حالاً على اوليائه فهطلت اعينهما بالدموع فخر راكعًا امامهما ولم يعد باستطاعته التلفظ بكلمة واحدة فنهضاه واخذا بملاطفتهِ ومجابرتهِ فحينئذٍ شرع بتبرئة ذاتهُ قائلاً اني لقد نسيت كل ما تكبدتهُ من مجرد منازلة اولياي ليمي والتفاتهما اليَّ بهذا المقدار مع اني اعلم حالي باني لم اسلك الاَّ بحسب ارادتهما ولم اجرِ شيئًا مما لم يكن ذات فائدة للمملكة. قد خاطرت بحيوتي. قد قلبتني الانواء. قد تهددني الاوقيانوس مرارًا ليدفني في عمقهِ. قد ارتشكت ان اذبح من رفاقي. قد تحملت الجوع والبرد والحار. قد ذقت امر الاهوال. وانا مع

ذلك لم اخرج عن دائرة واجباتي بحق جلالة اولياي فبحسن نواياهما قد حصلت لهما مالا لا يحصى وشرفاً لن يمحى ذكره. ولمَ رفضاني من اعينهما وسلماني لايدي القساة والحسودين. تبًّا لك يا بختي لاني ارى ذاتي بريًا من كل ما اوشي عليَّ وظروف الحال هي التي اوجبتني ان انصرف بقساوة بعض الاحيان ولولا ذلك لما تمكنت من الثبوت بتلك الاراضي البعيدة محاطاً بالاخطار والاهوال. فاين هو بوفاديليا واين هم الذين اشكوني لهُ ولمَ يحكم عليَّ بالعدم ولمَ لم يحاكمني فالتمس العدل وان كنت استحقيت الموت فاقبلهُ بكل طوع واختيار.

فابتدى فرديناند وايزابال يعتذران لهُ وبالحال امرا بتنزيل بوفاديليا عن منصبهِ وكرّما الاميرال ومنحاه انعامات غزيرة واوعدا بتعويض ما قد كان فقده ماديًا وادبيًا وانصرف من لدنهما محبورًا ولذلك خال بفكره ان لا بد لهُ ان يرجع الى سان دومنك كما كان بالماضي

ولكن لم يكن الامر كما كان يظنهُ لان فرديناند لم يعد قابلا بارجاعه الى اماريكا بعد ان قاسا ما قاساهُ من الاهانات خوفًا من وقوع الخيانة ولما كان يلح دائمًا عليهِ باعادتهِ الى منصبهِ وهو يحادفهُ من وقت لآخر فاستحضر لديهِ بتالي الامر وقال لهُ. مملكة اسبانيا مديونة لك دوامًا والعالم باسرهِ ايضًا غير ان رجوعك الان الى اسبانيولا لا

يوافق لأنهُ يسبب هيجانًا كلي فالاولى ان نرسل حاكمًا لها خلافك وفي ما بعد تتناسى الامور وتعود الى رتبتك وحال كون قد انضنى جسمك عقيب الاتعاب والمشقات فمفيد لك من ثم ان تتنازل عن الاشغال بضع سنين . فهذا ما قد لاحظتهُ بهذا الخصوص وثم اعتمادي على ارسال نقولا اوفاندو حاكمًا على اسبانيولا وسلمتهُ الاوامر وامرتهُ لسانًا لكي يسرع بتوجههِ فعليك اذًا ان تنزع الان موقتًا امل رجوعك اليها وقد تعين لك مرتبًا يندفع لك عند الاقتضى واللزوم

فحزن كريستوف وانما ما الفائدة بحزنهِ فان يده غدت قصيرة فلازم الصمت لكن مع اصدقائهِ الخصوصيين كان يتذمر من معاملة فرديناند بحقهِ

اما بوفاديليا بعد ان اجرى ما اجراه بحق الاميرال كما قدمنا اخذ يتصرف تصرفًا مستبدًا فتكاثرت التشكيات عليهِ وعند ذلك صار تعجيل سفر اوفاندو حاكم اسبانيولا الجديد فتجهز لهُ اثنين وثلاثين مركبًا بذخائرها والفين وخمسمائة نفر وسافر معهُ جملة من اشراف اسبانيا ليتوطنوا في تلك الديار البعيدة مع عيالهم ونرخص لهُ ايضًا ان يلبس الحرير والحجارة الكريمة لان ذلك كان ممنوع وقتئذٍ وفي ١٣ من شهر شباط سنة ١٥٠٢ اقلع بسفنهِ بذلك الموكب الحافل الذي لم يكن توجه مثلهُ الى امريكا كانت اعين كريستوف تنظر الى ذلك بالدموع والغيظ

الفصل العاشر

يتضمن سفر كريستوف مرة رابعة وما نابهُ من المصاب في جزيرة الجامايك

فبقي كريستوف تسعة اشهر في مدينة غرنباد متروكًا مع انهُ كان يلح مرارًا على البلاط الملوكي ويطلب حقوقهُ منهُ بمقتضى الاتفاقية المتحررة في سنتافه حين سفرتهِ الاولى المانحة لهُ ولمن يخلفهُ حق التولي دوامًا على البحار والاراضي التي يكتشفها مع لقب اميرال ونائب ملك . فلم يصغَ لهُ احدٌ وكان اعداؤهُ يهزأُون بهِ . فتسلح بالصبر الجميل كجاري عوائدهِ واخذ يترقب الفرص بطلب ذلك وعند ما قطع الامل من رجوعهِ الى اسبانيولا لم يفتر عن احترام فرديناند وايزابال لان نظرًا لما باديا بهِ وعدم قيامهما لهُ بالوعودات كان من اللازم الضرورة ان يتركهما ويتعلق بخدمة خلافهما لكن كبر مزاياه وعظم عقلهُ منعاهُ عن ذلك ولربما كان عرف بالاختبار ان ملوك اوربا ليسهم باحسن مزايا من فرديناند فهذا لا يعنينا البحث بهِ

فاخذ يداول فكره بفكرهِ قائلًا ان الاراضي التي اكتشفتها بالمرة الاخيرة لا بد لها من بحرٍ يفصلها عن الهند الشرقي ولا بد ايضًا من وجود خليج بين جزيرة كوبا وبين تلك الاراضي نفسها وهذا الخليج لو وجدناه يوصلنا لا محالة الى بحر الهند بمدة وجيزة ونتمكن من

الوصول الى مدينة كالكوتا قبل رجال البورتوغال الذين اكتشفوها ونقصر طريقنا عن طريقهم اضعافين وبذلك نتوصل الى مزاحمتهم بالتجارة في تلك البلاد ونأتي المملكة بفوائد كبرى

وبالحال اعرض تلك الافكار على ديوان فرديناند وطلب اليهِ ان يرخص لهُ بالتوجه للاكتشاف على تلك الطريق التي كان يزعم بوجودها وباعطائهِ مقتضيات السفر معًا . فمنح لهُ فرديناند حالاً ذلك لوجهين اولهما لاكتشاف الطريق المذكورة وثانيهما لربما هو الاصح لكي ينعتق من ترداداته المتداومة التي غدت مزعجة لديهِ ولدى الجميع ايضًا فصدر الامر بتجهيز اربعة مراكب وبتسليمها لهُ لكن يا لها كانت من مراكب حقيرة تشابه تلك التي اعطيت لهُ حين السفرة الاولى فمع ذلك لم يعترض بطلب خلافها بل انهُ لما كان معتادًا على مقاساة الاهوال ركبها ولئن دنية وخسعة وذلك في اوائل شهر ايار سنة ١٥٠٢ واقلع بها من مينا كاديكس وما زال سائرًا بموافقة الريح الى ان بلغ جزائر الكاناريس ومنها الى الجزائر القريبية ففي اواسط حزيران دخل الى مينا الماتينيو الان تدعى المرتينيك وكان اجل قصده ان يتوجه الى جزيرة الجامايك انما تعطل معهُ احد المراكب ونظر ذاتهُ ملزومًا ان يتوجه الى اسبانيولا ويبدلهُ ثم يأخذ طريقهُ قاصدًا ما كان قاصدهُ مع

انهُ كان تنبه عليهِ رسمياً ان لا يدخل الجزيرة المذكورة خوفاً من حدوث القلقلة فقصدها رغماً عن ذلك زاعماً بفكره ان الضرورة التي كان فيها تعذره بعدم الامتثال للامر المحكى عنهُ فبوصولهِ الى شطوط الجزيرة المذكورة ارسل معتمداً الى اوفاندو حاكمها واخبرهُ عن ما كان بهِ وطلب منهُ مركباً بدلاً عن مركبهِ المتعطل والتمس منهُ الاذن لكي يتدرى من الانواء المزمعة لانهُ بواسطة كبر اختباره في فن البحار كان تاكد لهُ وجود انواء قوية مستقبلة ولما كان اوفاندو مزمعاً ايضاً على تسفير بعض السفن لاسبانيا حذرهُ معاً ان ينتظر عبور الارياح القادمة. فرفض اوفاندو طلبهُ واوصى لهُ بلسان معتمده لكي يرحل حالاً عن تلك الديار ثم اخذ يهزأ بهِ واحسبه كفاقد العقل من جرا نبوتهِ لان الطقس لم يكن لهُ بمثيل

فالتزم كريستوف بالمسير نادباً سوء حالهِ اذ نظر حالهُ بنوع ما مطروداً من بيتهِ وكان الملاحون يتدمرون منهُ ويشتمونهُ قائلين بعضهم وما الفائدة بمرافقة رجل كهذا لانهُ لو لم يكن مرز ولاً لما كنا طُردنا حتى ولو كنا اجانب هذا والاميرال لم يصغي اليهم ولما كان معتقداً بحدوث الانواء تدرى بمراكبهِ في شطوط تلك الانحاء. اما مراكب اوفاندو اقلعت من ميناسان دومنك وكان فيها بوفاديليا ور ولدان مرسولان

تحت الحفظ الى اسبانيا وكانت شاحنة ايضاً كمية وافرة من الذهب ومن حاصلات البلاد معاً ثم امتعة كريستوف بكاملها فلم يمضِ يومان على مسيرها الا وهبت ارياح عاصفة جداً شتتتها بكاملها ودزتها في عمق الاوقيانوس الى الابد هي ومن فيها فمن الغرقا كان بوفاديليا وروالدان وجم من اعدا الاميرال ولم يبلغ اسبانيا الامركب واحد وكان اصغر السفائن وفيهِ امتعة الحاكم الاسبق اعني بهِ كولومب فغم ذلك اوفاندو جداً والذي كان يزيدهُ كدراً هو عدم اصغائهِ الى نصيحة من كان نصحه انما ما الفائدة بندمهِ لقد كان جرى ما جرى

فلنرجعن الى ما كنا عليهِ . فالاميرال كريستوف لما كان اوقى الضربة قبل حدوثها لم تاتِ بمراكبهِ الاّ اضرار جزئية فرمها بعد زوال الريح وخاض بها جهة الغرب وغب ان قاسى عدة اهوال تارة من تراكم الانواء وتارة من شدة الحار بلغ بالسلامة جزيرة غواناجا المجاورة شطوط الهونديريس في الهند وكان ذلك في ٣٠ من شهر تموز فارسل برتولماوس ومعهُ بعض الانفار الى البر ليطلع على حالة البلاد فقبل ان يبلغ برتولماوس الى البر نظر زورقاً كبيراً على خلاف هيئة الزوارق التي كانوا نظروها لحد الان في تلك البلاد الغربية

لان طولهُ كان واهياً وفي وسطهِ كانت خيمة من ورق الاشجار مستظل تحتها نساء وصبيان ومعهم خمسة وعشرين نفر من الهنود فجد باثرهم حتى استاسر الزورق ومافيهِ دون ان تبدي حاميته بادنى معارضة مع ان الانفار كانوا مسلحين فاخذ رجالهِ يفتشونهُ فوجدوا فرشاً وقمصاناً دون كمام ثم ملايات كبيرة ورماحاً طويلة من خشب وفاسات من نحاس وعدة ادوات منهُ فاستحضر اولئك الاسرى لدى اخيهِ كريستوف الذي بعد ان عاملهم بكل رقة وبادلهم بامتعتهم واخذ منهم الايضاحات المقتضية اطلق سبيلهم وامرهم ان يتوجهوا محلما شاؤوا . لكنهُ ابقى عندهُ واحداً منهم وكان شيخ عليهِ سمة الذكا فهذا اخبرهُ بالاشارة ان لجهة الغرب يوجد بلاد متسعة فيها الذهب بكثرة كلية وسكانها يلبسون على رؤوسهم اكاليلاً من ذهب ويوضعون بايديهم وفخاذهم خواتماً من ذهب وان سائر ادوات بيوتهم ملبسة من الذهب ايضاً . فلا غرو كانت تلك البلاد بلاد المكسيك . فلح عليهِ رجالهِ لياخذهم اليهِ فرفض طلبهم قائلاً لهم ان قصده بتلك السفرة انما هو لاكتشاف الطريق المودي الى الهند لا لاكتشاف خلافه فخاض من ثم تلك البحار بمراكبهِ في الجهة الشرقية رافضاً تلك البلاد المدلول عليها وعلى غناها لكي لا ينسب الى ترك واجباتهِ وما زال سائراً في شطوط تلك

الديار الى ان وجد باحد الايام رجالاً متوحشين للغاية اذ انهم كانوا
عرايا واكلهم كان السمك الحيّ واللحم النيّ وكان على اجسام بعضهم صورة
سبع وبعضهم صورة نمر وبعضهم كانوا صابغين وجوههم بلون احمر
ومنهم بلون اسود وغيرهم بجملة الوان وبعضهم كانوا صابغين شفتيهم
واعينهم فقط وفي اذانهم كانت حلقة معدنية · فاستمر سائراً سيراً بطيئاً
بسبب الانواء التي كانت تتهدد دائمًا وتتهدد قومه على سطح تالك البحار
الوعرة الى ان وصل لراس بحر كانت بجهتهِ الجنوبية بلدان شاسعة
فهناك وافقهُ الريح وسمى ذلك الراس راس الحمد لله نسبةً لتوفيقهِ من
قبل العناية الصمدانية اذ اننا قد ذكرنا اكثر من مرة بانهُ كان منغرماً
بتقوى الله تعالى فبقي سائراً حتى بلغ محلاً اخر وهناك وجد زوارقاً
عديدة فيها رجال مسلحين كانهم كانوا يقصدون منعهُ عن الدخول الى
ميناهم فوانسهم الاسبانيول وقالوا لهم بلسان حال الاشارة ان مقاصدهم
سلمية فعند ذلك تقدموا اليهم اولئك الهنود بكل دالة وقدموا لهم ما كان
معهم من الامتعة التي كانت اكثرها سلاح وسبائك من الذهب الاصفر
وكانت تلك السبائك معلقة باعناقهم · فلاطفهم الاميرال واعطاهم امتعة
اورباوية ورفض هداياهم فاساهم ذلك وانصرفوا محزونين لا سيما بعد
ان كرروا عليهِ مراراً الدعوة لكي يمكث عندهم بعض ايام وهو يرفض ايضاً

وغب مضي بعض الاوقات ارسلوا اليهِ شيخًا ومعهُ صبيتين حاملتين
بيارقًا من القطن الابيض فطلبنا مع الشيخ مواجهة الاميرال فحياهم
بكل بشاشة واقام لهم مادبة فاخرة وصرفهم مسرورين بعد ان اوعدهم
بانهُ يرسل اليهم رجلاً من قبلهِ ليفتقدهم وفي الغد ارسل اخيهِ
برتولماوس وبوصولهِ الى البر وجد الامتعة المعطاة لهم موضوعة كلها
على حدةٍ فسالهم عن سبب ذلك فاجابوهُ من كونكم لم تقبلوا منا
بدلها فلا يسوغ لنا التصرف فيها. ثم تقدم اليهِ اثنان من روساء
ذلك القوم وصافحاهُ واوعزا اليهِ ان يجلس معهما على العشب فاخذ
يسالهما بلسان الترجمان عن جملة اشيا وكانا يجيبان عليها بكل هدو وسكينة
وقد كان امر كاتم اسراره ان يرقم معهُ سائر الاسئلة والاجوبة فعند ما
نظروا المحبرة والقلم والقرطاس انهزما مع رجالهما حالاً الى الورى حيث
خال لهم ان ذلك الرجل كان سحارًا ويقصد ضررتهم وكان برتولماوس
يطمنهم فعضلوا على زعمهم فبنا الي الامر حرقوا عودًا بالنار وعند ما ثارت
دخنته فوجهوها صوب ذالك الذي كانت بيده ادوات الكتابة
وما ذلك كان الا انها عملية تضاد السحر وان الضرورة نفضل
مستمرة على قاصدها وحينئذٍ رجعوا لجانب برتولماوس وكلفوهُ
بالذهاب الى مدينتهم فتوجه معهم اليها واذا هي بمدينة شاسعة منقرنة

البنا وفيها بناية كبيرة من خشب كانت لهم مقبرة فزار كافة الانحاء
ورجع الى المراكب واخبر اخيهِ الاميرال عن كل ما كان نظرهُ فمن
بعد ذلك سافرت المراكب من تلك الجهات وبلغت مصب نهرٍ
فتقدم بعض الاسبانيول ليملأوا الآنية ماء فتعارضهم قوم من الهنود
وكانوا مدججين بالاسلحة الخشبية واخذوا يتهددونهم ويشتمونهم وهم
لا يجاوبونهم بشيء لان الاميرال كان قد امرهم بذلك فاخيراً تقدموا
بعد ان تركوا سلاحهم وقدموا لهم ذهباً بقيمة الف فرنك وساعدوهم
بشغلهم وتواروا عنهم ففي الغد وفد الهنديون ثانيةً الى بعض الاسبانيول
الذين كانوا نزلوا الى البر وابتدوا يعاملونهم كما كانوا عاملوا ارفاقهم
في اليوم الماضي واوصلهم الحال حتى لاشهار سلاحهم الخشبية عليهم
فعندها اطلق الملاحون بنادقهم ثم اطلق الاميرال مدفعاً من مركبه
ففزعوا وانهزموا ثم رجعوا دون سلاح وقدموا لهم كمية وافرة من اللؤلؤ
والذهب فاستمر كريستوف بعض ايام في ذلك المحل واخذ الملحوظات
المقتضية بشان تلك البلاد واقلع بمراكبهِ قاصداً البوغاز المطلوب وفي
اثنا سفرهِ وجد خليجاً متسعاً كانت بجانبهِ مدينة كبيرة وذات سكان
عديدة وحولها اراضي ذات اتقان فسماها مدينة البورتوبللو اي المينا
الحسن فحضر بعض اهاليها الى المراكب وكان معهم منسوجات قطنية

ومواكيل مختلفة فبذلوها بمسامير ودبابيس وابر وخلافها ومن هناك خاض كولومب في البحر مسافة ثمانية فراسخ في الجهة الموجود فيها الان راس النومبردي ديوس واضطر به الحال ان يرسي بذلك الراس عدة ايام بداعي مخالفة الريح فرمم مراكبهِ بمدة مكوثه هناك. ثم التجا بهم الى محلٍ سماه مينا الحماية لانهُ كان عرف بانواء مزمعة وهناك تعدى بعض ارفاقه على اهالي تلك الديار فقاوموهم وهجموا عليهم هجمة الاسود ولم يرتجعوا عنهم الا بعد ان اطلقوا عليهم المدافع وقد حدثت لهُ اشيا نظير هذه نقتصر عن ايرادها

لكن لما كان الاميرال كريستوف يشق بمراكبهِ البحار ولم تبان لهُ دلائل البوغاز المقصود اكتشافه تغيرت افكاره وعمد على الاياب الى الورى قاصدًا بلاد تدعى الفيراغا قد كان الهنديون اعنوا عنها مرارًا وانهُ موجود فيها معادن ذهبية وفي اثناء طريقهِ لاطمتهُ الانواء ثم المجاعة لان ذخائره كانت جفت ومع ذلك كنت ترى اولئك الملاحين المنكودي الحظ ياكلونهُ ويغمضون اعينهم حتى لا ينظرون ما كانت الضرورة تحوجهم الى اكلهِ. فكل ذلك كان من الاسباب المعجلة على رجوعه فعاد من ثم الى الورى قاصدًا بلاد الفيراغا وكان تارةً الريح تخالفهُ بمدة مسيرهِ وتورًا كانت ترعبهُ الانواء وهو

مع كل هذا مصبرًا حتى بلغ بذات يوم لتجاه بلد كان اهلوها يسكنون
الجولان بيوتهم كانت خيام في وسط الاشجار الشامخة وكانوا
يصعدون اليها على سلم كانوا يسحبونهُ حالاً بعد صعودهم الى خيامهم
فلدى الفحص المدقق عن ذلك وجدان سببهُ انما هو ليحتموا من
الطوفانات التي كانت تحدث ومن وحوش البرية ايضاً. ومن هناك
لم يزل سائرًا حتى بلغ الفيراغا في النهار السادس من شهر كانون
الثاني فرسي بمراكبهِ في مصب نهيرة سماها نهيرة بيت لحم تذكاراً العيد
ذلك اليوم واعتمد على الاقامة مدة طويلة في تلك الديار ولاجله
كان يلاطف اهاليها و يستدل منهم على معادن الذهب و يستنير
عن عوائدهم وعن سلوكهم وكيفية احكامهم فاخبروهُ ان الذهب
كثيرًا وان ملكهم مقيماً بقرية مجاورة واسمهُ كيبيان فارسل برتولماوس
اليهِ ومعهُ سبعين نفر ليفتقدهُ ويقدم لهُ مواجب الاحترام فاعتلم
كيبيان بذلك ولاقاه للطريق بجم غفير دون اسلحة وابدى لهمُ غاية
ما يكون من الاكرام وصرفهُ مسرورا وفي الغد توجه بموكب حافل
الى المراكب حيثما قدم لهُ كريستوف كل ما يقتضي من اللائق
المستوجب لهُ فشكرهُ وصادقه

ثم عاد برتولماوس الى عندهُ وطلب منهُ ان يهديهِ على المحلات

الموجود فيها الذهب فارسل معهُ نفرين وامرهما ان ياخذاهُ الى سائر
المعادن فرجع برتولماوس عند اخيهِ واخبرهُ بكل ما كان راه ففرح
فرحًا لا يوصف ولدى المداولة مع من كان يعتمد على رايهم تم القرار
على بنيان اكواخ من خشب تكون فيما بعد مستعمرة جديدة نظير
اسبانيولا وتقرر معًا ان برتولماوس يبقى فيها للمحافظة وكريستوف
يعود الى اسبانيا ويرجع اليهِ بالاسعافات اللازمة وبالحال حصلت
المبادرة بالعمل فلم تبرح مدة قريبة الا وبنى الاسبانيول ثمانين كوخًا
ومخزنًا كبيرًا من حجر لوضع الذخائر والمهمات الحربية وبعد ذلك بُنيَ
الراي بان برتولماوس يترك تحت امرتهِ ثمانين نفر وسفينة واحدة
وكريستوف يرجع حالًا الى اسبانيا ثم لم يتم الحال على طبق المرام
فهاك ما حدث . فلما اعلم كيبان بما كان صنعهُ الاسبانيول ساءهُ عملهم
لا سيما انهم اجروا ذلك دون اخذ رضاه فاغتاظ غيظًا شديدًا وجمع
قومهِ ليحرق تلك الاكواخ فاعلم بذلك ابتدائيًا احد الاسبانيول
المدعو دياكومندز لانهُ كان يتردد بامر الاميرال الى القرايا المجاورة
ليطلع على بعض اشيا فيها فلم يستوثق الاميرال بكلامهِ ببادي الامر
فرجّعهُ وارسل معهُ اسبانيوليًا اخر يفهم لغة الهنود فتوجها سوية
وحققا على ما كان ارتواه مندز وعلى ان عوائق صير دورة الكمين

المقصود لم تكن الا من جرح طفيف بفخذ كيبيان وانهُ في الليلة الثانية يحضر بعسكره ليلاً ويباغت الاسبانيول ويمحي اثارهم واثار مراكبهم فحينئذٍ شمر برتولماوس عن ساعد الهمة والنخوة والعزم واخذ معهُ اربعة وسبعين من رجالهِ بالسلاح الكامل وبقلبٍ لا يهاب الموت توجه بهم ليلاً دون ان يعرف بهم احد من الهنود فبوصولهِ لقرب القريـة الموجود فيها الملك ترك الاربعة وسبعين واوصاهم ان يسرعوا حالاً اليهِ عند ما يسمعون طلقة بندقيـة وتوجه هو ومعهُ دياكو مندز والاسبانيولي العارف باللغة المحلية واربعة خلافهما ولما دنى من بيت كيبيان سال ان يدخل عليهِ ليفتقدهُ فلاقاهُ لحد الباب وطلبهُ وحده فدخل وابتدى يسالهُ عن جرحه وبينما كان يفحص الجرح مسكه بكتفهِ ونده رجالهِ الستة فاطلقوا البندقية واتوهُ فربطوا كيبيان بيديه ورجليه وغب مضي فرصة قليلة حضر الاربعة وسبعون واحاطوا البيت وما حولهُ والقوا القبض على عائلة الملك بكاملها مع من وجدوه من رجاله ورجعوا كاسبين غانمين فارسل برتولماوس الاسرى الى اخيه للمراكب واوصى رئيس الزورق الذي كان يعتمد عليه بالقدرة الطبيعية ان لا يبارحهم مطلقًا حتى يبلغ بهم المراكب وجد طالبًا باثار بقية الهنود لحد انتصاف الليل ثم رجع مع ارفاقه الى الاكواخ الجديدة

أما عن الزورق فانهُ لم يبعد مسافة قليلة عن البر الا واخذ كيبيان يتوجع من تشديد رباطات يديهِ ورجليهِ وتدخل للملاحين تدخلاً محتناً فحللوا رباطاتهُ نوعاً ولما كان ليل دامس انتهز فرصة موافقة والقا نفسهُ بالماء فضاج رجال الزورق وتبعوه ولم يوجدونهُ فظنوهُ غرق كونهُ كان لم يزل مربوطاً واسناقوا اولاده وحرمهِ الى المراكب. فعند ما اصبح الصباح ارتجع برتولماوس ورجاله الى بيت كيبيان وتقاسموا امتعتهُ ببعضهم وكانت اكثرها ذهبية

فاقول عن ذلك ان الاميرال كان من الواجب عليهِ ان يستاذن صاحب تلك الديار اعني به كيبيان قبل ان يبني اكواخه فلو كان استاذنهُ لما كان رفض طلبه وما كان توصل الى ما توصل وسوف يتوصل اليهِ بل كان نجح نجاحاً تاماً في عملهِ لا محالة لانهُ من المسلم في النواميس الدينية والطبيعية والدنياوية ايضاً ان لا يحق لاحدٍ التعدي على ما هو لقريبهِ وقد علمنا بالاخبار ان المتعدي لا ينجح ولو مهما كان نشيطاً وكفواً الا بل ان تعديهُ يكون لهُ سبباً لفقدان ما هو لهُ شخصياً ويسلط عليهِ الرزايا من كل جانبٍ فاثباتاً لما ذكر. علينا بان ننظر ما قد حل بالاميرال كريستوف من المصائب

فانهُ بعد ان تم الحال على ما شرحنا اطمأن بالهُ وتيقن ان لم

يعد للهنود عزماً يقيهم بعد على محاربة برتولماوس وارفاقهِ وصم على
التوجه لاسبانيا بثلاث من سفنهِ وبابقاء الرابعة لخدمة من كانوا
باقيين فحرص اخيه بالمقتضي وودعه وودع قومـهُ وسار بسفنهِ
الثلاث الى الجهة الثانية ورسي فيها مستنظراً موافقة الريح . انما لم تكن
النهاية سهلة كما اعدّت فكيبيان لم يغرق كما تخمن عليهِ بل انهُ تمكن
من الوصول الى البرسالماً وابتدى بجمع شعبهِ و يهيجه لاخذ الثار
والذي كان يزيده حقداً وعدواناً كان وجود اولاده وحرمهِ وبعض
اتباعه بيد الاسبانيول . فباغت برتولماوس ليلاً بجم غفير وكانت اسهام
عسكره الشاعلة تتطاير على تلك الاكواخ لتحرقها وتحرق من فيها
فنهض الاسبانيول مرتعبون وحمل عليهم برتولماوس بثمانية انفار لا
غير ثم تبعهُ بقيــة قومه واخذوا باطلاق بنادقهم على العدو فشتتوهم
وقتلوا منهم جملة ولم يفقدوا الا نفر واحد وجرح ثمانية ومن جملتهم
برتولماوس فانهُ أُصيب بسهمٍ في صدرهِ فجرحه جرحاً طفيفاً . وفي
اثناء المعركة كان ديا كو تريستان احد قباطين السفن الثلاث تقدم
بزورق الى البر ليملي اوعيته ماء فنظره الهنود بينما كانوا متقهقرين
ومنهزمين فضجوا ضجيجاً قوياً وركبوا زوارقهم ورشقوهُ بالاسهام الشاعلة
فوقع مجندلاً بدمائه فارتعب ارفاقه الاسبانيول ولم يعد لهم دربــة

بالانهزام فبلغ اليهم الهنود وذبحوهم واكلوا لحمانهم ولم ينجُ سوى نفر واحد تمكن من الانهزام لانهُ غطس بالمياه ووصل الى اكواخ ارفاقه واخبرهم بذلك الخبر المشوم فحزنوا على ديا كوا وارفاقهُ وداهمتهم الرعبة الزائدة اذ كان يتكاثر ضجيج الهنود يوماً عن يوم فاختار برتولماوس بامره لانهُ غدا غير قادراً على التوجه للمراكب · حيث امياه النهيرة كانت قد حطت جداً لقلة المطر وما الحيلة فلم يكن لهُ الا واحدة وهي اخذ الاحتياطات اللازمة بمركزه ومن ثم عمر متاريساً من حجر ومن خشب وتربص مع عسكره القليل مستنظراً النهاية وقدوم العدو

فتلك كانت حالة برتولماوس وقومه اما كريستوف عندما لم يعد اليهِ تريستان بعد فوات الترم بمدة طويلة · انشغل بالهُ جداً ليمه لاسيما لانهُ ما كان متمكناً بارسال احد الزوارق ليفتقده بداعي انحطاط النهيرة كما قدمنا وبغضون تلك الحيرة انهزم بعض اولاد كيبيان وبعضهم اماتوا ذواتهم فزاد بهِ الضنك ولم يعد لهُ ادراك بشيء وفيما هو حائر الآن وبيطرس ليدسما احد نوتيته طلب اليه ان يرسلهُ بالزورق لحد المحل الحاطة بهِ المياه ومن هناك يسبح الى البر ويكتشف الخبر فتوجه ووجد برتولماوس وارفاقهُ بالحالة المحكي عنها فرجع الى الاميرال واخبرهُ فحزن وانغم واعتمد على التوجه لاسبانيا بكافة قومه

بناءً انهُ يرجع الى المحل ذاته بعد ذلك بقوة عظيمة تمكنهُ من نوال
المطلوب. وكانت وقتئذٍ انواءٌ قوية و بسببها اجل السفر تسعة ايام
فغب مضيها ارسل الزوارق لاخيه ولقومه فركبوها وحضروا اليه
واقلع عن تلك الشطوط بسفنه الثلاث فقط لان واحدة منها قد
كانت تعطلت اصالة ولما كان دياكومندز اظهر من الشجاعة اعظمها
ريسهُ على السفينة التي كان مترأس عليها دياكوتريستان المفقود

وكان ذلك في اواخر شهر نيسان فركب الاسبانيول سفنهم
الثلاث ولكن الى اين يتوجهون هل لاسبانيا فكيف يخاطرون
بانفسهم وسفنهم الثلاث متعطلة وخسعة والبحر عجاجاً بلا انقطاع
وذخائرهم قليلة. حزينة كانت اوقاتهم والاميرال كان يسليهم ويصبرهم
فاعتمد على التوجه الى اسبانيولا ليطلب من اوفاندو المراكب الكافية
لهُ ولهم ويعود الى اسبانيا فوجه السفن على طريق الجزيرة المذكورة
وكان الاوقيانوس يقلبها بموجه كانهُ يريد يفترسها فارتعب الملاحون
وطفقوا يتدمرون ويلعنون ذواتهم بمرافقتهم كريستوف ولم يكن من
يلومهم حتى الاميرال لان الشدة قوية كانت. من كون خلا الانواء
المتراكمة ظهرت المجاعة بداعي نقصان الذخائر ومن جهة ثانية كانت
الاتعاب متوالية لان السفن من قبل هيجان البحر غدت مفتحة

وتدخلها المياه وفي ما هم بتلك الحالة المشومة تسقطت احدى السفن
الثلاث فتركوها ولم يبقَ معهم الاّ سفينتين وباية حالة كانتا . باعكس
حالة . فاخذوا يودعون بعضهم البعض ويحسبون ساعات حيوتهم
والاميرال بكل ذلك متصبرًا وجائلاً بين قومه وينشطهم . فبقيوا على
هذه الحالة عدة ايام متوالية الى ان بلغوا قرب جزيرة كربا وفيما هم
داخلون اليها الاّ وبارياح قوية شتتت السفينتين المسكينتين فاوشكوا
ان يغرقوا انما غوامض الحكمة الالهية لن تدرك لانها كانت معدة
صبر ذاك الاميرال الى الامتحان بعد

فسكتت الارياح واخذ كريستوف يقذف سفينته حتى
بلغ بها شطوط جزيرة الجامايك ورسى بقرب البرّ مختارًا بامره
لان سفينتيه لم تكن بعد قابلتين الترميم فكيف العمل فيا لها
كانت من شدة قوية فركز رايه اخيرًا ان يربط المركبين قرب
البرّ حتى اذا تعبت امياه وغرقت لا ينتج ضرورة فضرب على سطحيها
خيامًا من ورق الشجر وعين اثنين للمداخلة مع الهنود لكي يبادلوا
بامتعة او رباوية على مواكيل مهما كانت ومنع بقية قومه عن
النزول للبر خوفًا من الاسباب . فهجع الحال نوعًا انما الاميرال لم
يكن له سكينة وغدى امله مقطوعًا بالرجوع الى اسبانيا فاستحضر

الضباط واستشارهم على الطريقة المودية لانقاذهم من تلك الحالة
المخطرة وكانت اراء الجميع وجوب توجيه معتمد الى اوفاندو في اسبانيولا
ليستغيث برحمتهِ ولكي يبلغهُ وجودهم في الجامابيك عرضةً للجوع
والاخطار من كل جانب. فمن هو الذي يقبل تلك المامورية المخطرة
يا ترى فجمعهم الاميرال اليهِ وقال لهم ايها الرفاق ليس لنا من نشكي
امرنا اليهِ فانكم ترون الحالة ولدى المداولة مع ضباطكم صار الاعتماد على
توجه احدكم لاسبانيولا ليرسل لنا مركبًا من قبل اوفاندو حاكمها فمن هو
منكم يفادي بنفسهِ عن الجمهور ويتوجه بزورق وينقذنا جميعًا. فلازم
الجميع السكوت فاخذ يتخيهم عمومًا وافرادًا وكان كل منهم يعتذر
عذورات مصوبة. فبتالي الامر تقدم اليهِ دياكو مندز ومعهُ رجل
اخر يدعى برتولماوس فياسكي وقال لهُ اصالةً ووكالةً سيدي الاميرال
لي حيوة واحدة ولا بد من ان اموت فيها انا وفياسكي اثنانا مستعدان
على ان نفدي ذواتنا بخدمتك وبدلًا عن ارفاقنا ايضًا فعليك بان تعطينا
الاوامر المقتضية لنتوجه حالًا الى محل ما تريد ونحمل على عاتقنا الاخطار
والاهوال. فعانقهما كريستوف وبالحال اسرع وحرر تحريرين احدهما
لاوفاندو ليرسل لهُ مركبًا يوصلهُ الى اسبانيولا وثانيهما الى الملك
فردیناند ليرسل لهُ مركبًا يوصلهُ الى اسبانيا مع رجالهِ فركب عند

ذلك مندز وفياسكي زورقًا ومعهما ستة من الهنود وكانت المفارقة بان
بوصولهما لاسبانيولا يرجع احدهما ليطمن الاميرال يبلغوهما سالمين
ويذهب ثانيهما الى سان دومنك حيث هو اوفاندو فلم يزالا سائرين
ليلين ونهارين واسبانيولا لم تزل بعيدة عنهما فتشتتنا عن الطريق
واخذت الارياح تتلاعب بزورقهما ولزيادة البلايا نجزت الماء والم
بهما وبهنودهما العطش القتّال . ففي الليلة الثالثة نظرا علوةً عن بعد
فخالاها جزيرة فتقدما اليها واذا هي بصخر مرتفع فخرجا مع هنودهما لسطح
تلك الصخرة قائلين الاحرى ان نموت هنا ولا ان تبتلعنا البحور
وتفترسنا اسماكه . انما لا ريب ولا غرو بمعالي العناية الالهية لان تلك
الصخرة وجد على سطحها ماء عذب فشربوا جميعًا واستراحوا ثم اخذوا
طريقهم وما زالوا سائرين ليلتين ونهار كامل الى ان بلغوا جزيرة اسبانيولا

الفصل الحادي عشر

يتضمن حوادث حيوة كريستوف الاخيرة ثم توفيه

بعد توجه مندز وفياسكي الى اسبانيولا قد حدثت لهُ متاعب كثيرة لان ارفاقهُ قاوموه وكانوا يلعنونهُ ويشتمونهُ جهرًا وزعيمهم كان يدعى فرنسيس بوراس من اقارب وزير مالية المملكة فانهُ قرب اليه الجميع واستولى على الزوارق وركبها مع من كان حزبهم ونزل الى برّ تلك البلاد واخذ يفعل الفحشا هذا وكريستوف كولومب يتالم من المرض ومن الافكار لاسيما من قبل مندز وفياسكي بداعي عدم رجوع احدهما حسبما كانت المفارقة واستمر على تلك الحالة حكم سنة كاملة فاخيرًا اتاه السعد من كل جانب اولاً رجع الثائرون الى طاعتهِ ثم حضر مركب من قبل اوفاندو الاَّ انهُ رجع حالاً وقد اختلف المورخون بتفسير كيفية حضور المركب الى الاميرال ورجوعه حالا فمنهم من قال ان اوفاندو لما كان يختشي من ان كولومب ينزلهُ يومًا ماء عن مقامهِ ويخلفهُ فيهِ كان يرغب ويشتهي ان يصيبهُ بلية نظير تلك ويموت في الديار الغريبة لينقال منهُ وان ارسالهُ لذلك المركب انما كان ليتحقق هل ان حالتهُ كانت تعيسة بقدر ما بلغاها لهُ مندز وفياسكي وهل انهُ ينال مرغوبه المحكي عنهُ اذا اجلّ الى مدةً ثانية ارسال

المراكب التي كان يطلبها · اما بعضهم قد قال ان اوفاندو قد اختشى من ان كريستوف لا يكون بتلك الحالة الشديدة وانهُ لو فرض ذلك وارسل لهُ المراكب فيكون اجرى خلافاً لاوامر الملك الصادرة لهُ بعدم قبول الاميرال عنده ولو نزيلاً · فالاصح انما هو التفسير الاخير حال كون من واجباتنا ان تظن حسناً بالناس حتى ولو كان فكرهم بخلاف

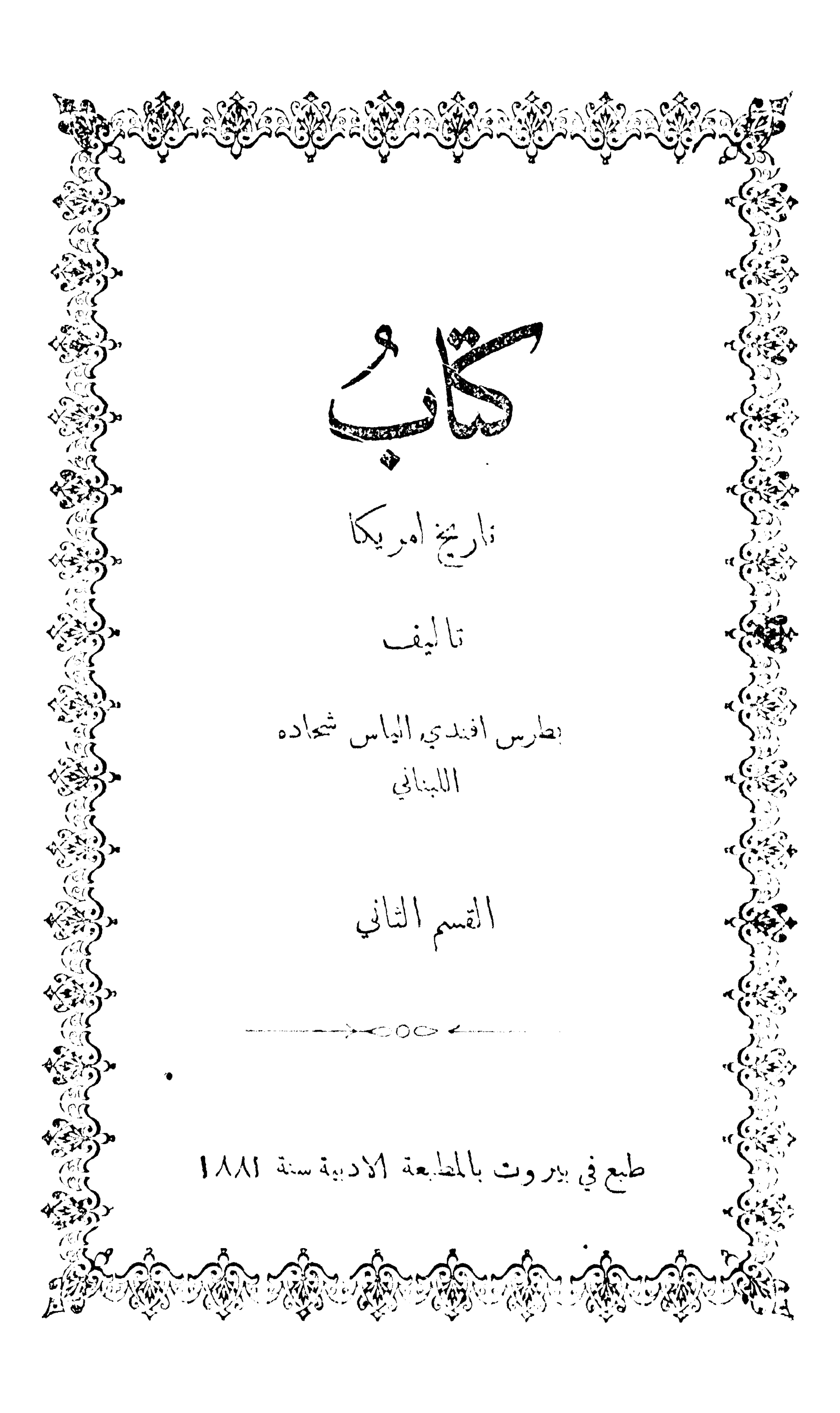
نرجع بكلامنا الى مندز وفياسكي فبوصولهما الى اسبانيا نيولا عمدا على رجوع احدهما ثم توقفا وبقيا تسعة اشهر حتى سمح لهما اوفاندو بمركبين تحت رياسة دياكودي سلشاره الذي كان وكيل كولومب في سان دومنك فاقلعت السفينتان المذكورتان وبعد مضي مدة قريبة بلغتا الجاميك وكان ذلك بعد ارتجاع العصاة الى الطاعة بامد وجيز · فتلقاها كريستوف ورجالهِ بمزيد الفرح والاشتياق وفي النهار الثامن والعشرين من شهر حزيران دخل الاميرال ورجالهُ وامتعتهم الباقية لهم الى المركبين واقلعوا بها عن تلك الجزيرة التي كانوا لبثوا فيها سنة كاملة عرضةً للمصائب وللاهوال كما سبقنا ولم يبلغوا سان دومنك الا في ١٣ من شهر آب بداعي الانواء · فعندما اقبلت المراكب الى الميناء كان الجميع آخذتهم الشفقة على رزايا ذلك الشخص الفريد اعني بهِ كريستوف وانحدر اوفاندو وعموم سكان المدينة من اسبانيول

وغيرهم الى المينا وحيوا الاميرال بمزيد الاكرام والبشاشة وانزلهُ اوفاندو في داره وغب وصوله ببضع ايام اخذ يلومهُ بتصرفه مع الثائرين واطلق بوراس زعيمهم من السجن فاشمأز كريستوف من ذلك انما ما العمل كانت يده قصيرة فتعارضهُ قائلاً قد سلطني فرديناند على الذين هم معي فلمَ تتعدى على حقوقي فاجابهُ اوفاندو من كون الحادثة قد جرت في ادارتي فاضحت محلية وبمقتضى النظام يحق لي ان اتعاطاها . فسكت رغماً عنهُ ولما نظر ان الحال آخذاً غير مسراه القانوني عمد على الرحيل عن ديارٍ كان اكتشفها لشقاوته وركب سفينتين هو وقومهِ في ١٢ ايلول سنة ١٥٠٤ فلم يبلغ من الطريق الاَّ قليلها الاَّ وتعطلت احدى السفن فردها الى سان دومنك ومازال سائراً بالسفينة الباقية الى ان بلغ سان لوكار مينا الاندلوس في ٧ تشرين الاول سنة ١٥٠٤ بعد ان قاسى مشقات كثيرة من تراكم الانواء وتعاظم المرض . فبوصولهِ الى اسبانيا بلغهُ توفي ايزابال الملكة ولما كانت وحدها تعضده بسائر اشغالهِ قطع الامل من توفيقه بعد لان فرديناند بالمدات الاخيرة لم يكن يلتفت اليهِ الاَّ بواسطتها

ومن جرى تعاظم مرضه بقي في مدينة سافيليا وارسل اخيه برتولماوس للمحافظة على حقوقهِ امام البلاط ثم وعندما مكنته صحتهُ

توجه بنفسهِ لنادي فرديناند فقبلهُ على غير العادة ولم يضغَ لهُ ولا
لطلبهِ . فحينئذٍ من زيادة ضنكه تعاظم مرضهُ ورسي بفراش
موته وفي ليلة نهار العشرين من شهر ايار سنة ١٥٠٦ عمل وصيتهُ
وتوفاه الله في غدّها الى رحمتهِ بسن السبعين متمماً واجباته الدينية
فانتقل في مدينة فالادوليد ودفن في اسبانيا ثم نقلت عظامهُ الى سان
دومنك ومنها الى هافان احدى مدن جزيرة كوبا باماريكا وهي للان
بقبره الموجود في كنيسة تلك المدينة الشهيرة وكان كلامهُ الاخير
سلمت اليك نفسي يارب . فهكذا تمت حيوة هذا الرجل الفريد باشغالهِ
والعديم البخت من قبل معاصريه ايضاً تلك الحيوة المملوة رزايا واهوال





كتاب

تاريخ امريكا

تاليف

بطرس افندي الياس شحاده
اللبناني

القسم الثاني

طبع في بيروت بالمطبعة الادبية سنة ١٨٨١

القسم الثاني

قد اوردنا في القسم الاول من كتابنا هذا كيفية ابتدا اكتشاف امريكا واسهبنا فيهِ عن حيوة كريستوف كولومب الشي الذي لم تغنينا الحاجة عنهُ لوجهين اولهما من كون الاكتشافات الابتدائية منوطة هي بذلك الشخص الشهير ومن الضرورة ان نسهب في بداية العمل حتى يسهل على القاري فهم النهاية لو فرضًا قصدنا نختصر فيها. اما الوجه الثاني الذي اوجبنا لاطالة الشرح نوعًا بالنسبة الى ما سوف نحرره هو اننا قد لاحظنا بعدل ان كريستوف كولومب هو من جملة الذين يحق تعليق اسمهم ضمن اول مقام في صفحات التاريخ المتوسط بالنظر الى ما قد اتحف المسكونة بهِ باكتشافه ما كان باقيًا مجهولاً بالكرة الارضية لدى الاجيال السابقة لهُ وبناء عليهِ فلا يليق ان تعرف تفاصيل حيوته بالتدقيق قدر الامكان. وقد اتخذنا وكما سوف نتخذ دستورًا لعملنا تبيان حقيقة الواقع مقابلين الحوادث على عدة مولفات افرنسية

فها كذا بهذا القسم الثاني بيان ما حدث في ذلك العالم الجديد من حين توفي مكتشفه لحد ايامنا هذه وسوف نورد قولنا باختصار موضح لاننا لو قصدنا اطالة الشرح عن كلٍ من الذين امتازوا بتلك الديار البعيدة لضاق بنا المقام وما خلا ذلك اننا لواعدين نفسنا بنظم تاريخ الولايات المتحدة الامريكانية ان كنا نجاح بتاريخنا هذا فعلى الله الاتكال وعلى القاري غض النظر ان الكمال لله وحده

الفصل الاول

يتضمن اجراوات نقولا اوفاندو ودياكو بن كريستوف كولومب
في اسبانيولا مع ما اعقب ذلك من الاكتشافات
من سنة ١٥٠٢ الى سنة ١٥١٨

ان اوفاندو الذي تسمى حاكماً على اسبانيولا بدلاً عن كريستوف كولومب كما ذكرنا بنهاية القسم الاول قد تصرف ببادي الامر تصرف العقلا واخمد الثورات المحلية والاهلية التي كانت منتشبة وفتح المعادن التي كان ابتدى الاميرال بفتحها . ولكن لما كانت ايزابال الملكة قد منعته جزماً ان يراعي حقوق الهنود كحقوق الاسبانيول فكانت ابتدائياً ايرادات المعادن طفيفة نظراً لقلة عدد الفعلة لان الهنود المعتادين على العيشة المرتاحة لم يرتضوا ان يشتغلوا ومن ثم كان الاسبانيول الذين توطنوا اوليًا في تلك الديار نزحوا منها بداعي تراكم المصائب والاتعاب والذين استحضرهم اوفاندو معهُ فان اكثرهم وبعضهم لم يوافقهم المناخ فرجعوا ففقد منهم الف والذين عاشوا وبقيوا بعدهم لم يرتضوا بحفر المعادن لان خزينة المملكة كان لها النصف الناتج من الذهب ولا تحمل شيئًا من المصاريف فعند ذلك تصرّف اوفاندو بكل رزانة لاجل وقاية حالة ولايته وتحسينها

على القادم فاخذ يتملق الهنود وتمكن من تشغيلهم بالاجرة في تلك
المعادن ثم جعل ان يكون للمملكة خمس الناتج لا نصفهُ وبذلك
وقف الحال معهُ وكانت سنو حكمه الابتدائية ذات سكينة وسلام
وايراد واهي . انما قد نكل الهنود في ما بعد عن الشغل واوصلهم الحال
الى التمرد التام ومن جرائهِ نظر اوفاندو ذاتهُ مجبوراً لتطويعهم بالقوة
وفاز بالغلبة عليهم مراراً واضحى مقامهم لديه ولدى قومهِ كمقام الحوال
الرق ومن وقع اسيراً منهم بزمن الحروب كان قصاصهُ مرعباً فمن
جملة ذلك لا يسعنا الامران نضرب صفحاً عن الحادثة الاتية وهي
لا بد ببال القاري ما قد اوضحناهُ بالماضي عن انا كونا قرينة كاوانابو
الملك القريبي التي كانت متوطنة باقليم الكساراغا عند اخيها بيهاشيو
الملك وما قد فعلتهُ تلك الامرأة من الملح بحق برتولماوس وكريستوف
وارفاقها . فلما كان على ما اوردنا رولدان وحزبه توطنوا في ديارها
بزمن ثورتهم على الاميرال فكان لم يزل بعضهم متوطنين هنا الى
فخرجوا بذات الاوقات عن دائرة واجباتهم لانهم كانوا منطوين
على راي غير مستقيم فساءها ذلك وعاقبتهم . فحضروا الى اوفاندو
وتشكوا له ونسبوها لديهِ كرايدة في انقراض الاسبانيول فصغي
واخذ تشكياتهم دستوراً لما كان يكمن بقلبهِ من البغضة بحق تلك

الامرأة وحمل من ثم عليها بثلاثمائة نفر من المشاة وبسبعين من الفرسان معلنًا ان بقصده يزورها كحليفة لهُ فلاقتهُ باعظم ترحاب وكرمتهُ وكرمت قومهِ وبينما هو نزيلاً عندها ارسل زلمهِ[٢] وفرسانهِ فحاطوا قريتها وذبحوا رجالها ونهبوا امتعتها والقوا القبض عليها وعلى وزراها واستاقوهم مغللين بالقيود الى سان دومنك حيثما اماتوهم بعد ان ذوقوهم امرّ العذابات. وباثناء ذلك توفت الملكة ايزابال التي كانت تعضد الهنود عضداً مبيناً فاطلق اوفاندو عند ذلك عنان الاضطهاد على اولئك المنكودي الحظ وكان يوزعهم على الاسبانيول كالجوار الرق ويبيعهم منهم ويرسلهم الى اصدقائهِ في سبانيا. فبتلك الواسطة صار التقدم بحفر معادن الذهب اذ ان الاسبانيول كانوا يشغلونهم فيها رغماً وحينئذٍ عدلت قيمة المدخول السنوي للملكة من تلك المعادن بمليونين واربعمائة الف فرنك على خمس الناتج كما قدمنا

ثم شرع اوفاندو بتحسين حال ولايتهِ بالنظر الى المزروعات وسن[١] قوانيناً منشطة لذلك وعليهِ انصب الاسبانيول على حرّاثة الاراضي التي كانت بذاتها موضوعاً قابلاً للايراد ومن المزروعات التي نميت فيها ونجحت هو القصب السكر الذي استحضرهُ اوفاندو

ابتدائياً من جزائر الكاناريس فنجح مع كرور الايام الى درجة عظيمة
بهذا المقدار حتى في ما بعد لحد الان قد اضحى اكبر صنف في تجارة
امريكا اذ ان الاسبانيول استقطفوا منهُ السكر بكمية وافرة واغنى كثير
منهم بتجارتهِ ومنهم من ريع القصب نفسهُ

فكثرت من ثمةَ مداخيل المملكة في تلك البلاد الحديثة
الاكتشاف فانصب الملك فرديناند على تحسين الحال فيها ولهذه
الغاية اقام مجلساً مخصوصاً سماهُ مجلس شوري الهند الغربي وفوض
اليهِ سائر متعلقات امريكا . انما رغماً عن توجيه انظار الملك كما قلنا
ورغماً عن ازدياد توطن الاسبانيول الذين كانوا يتركون وطنهم
ويحضرون اليها طمعاً بالارباح فاوشكت الولاية ان تدمر لان
الهنود من جرا الاثقال التي تحملوها فوق طاقتهم نقص عددهم جداً
بالموت . فيقال ان ببادي اكتشاف اسبانيولا كانوا يبلغون مليوناً
من الانفس وفي سنة ١٥٠٨ وجدوهم ستين الف لا غير فاحتال
اوفاندو على سكان جزائر لوقاييس وارسل لهم مراكباً كان قبابطونها
يقولون لهم ان اقاربكم ومعارفكم المتوفايين هم الان متوطنين بديرة
قريبة فان شئتم تذهبوا تعالوا لناخذكم اليهم . ولما كان اولئك الهنود
من السدج وذوي سلامة الضمير فاعتقدوا بكلامهم وتوجهوا معهم

وبتلك الحيلة استاقوا منهم اربعين الفًا والقوهم في اسبانيولا عرضةً للاتعاب ولحفر المعادن وصابهم ما صاب من كان قبلهم وذلك سنة ١٥٠٨

فمن جرى تناقص عدد الهنود في اسبانيولا ومن تراكم ازدحام الاسبانيول للتوطن فيها غدى امل النجاح قليلاً فعمد البعض على الرحيل منها والتوجه لبقية الجزائر المجاورة فاول من تذكروه جان بونس دي لاون فذهب الى جزيرة البورتوريكو التي كان اكتشفها الاميرال بسفرتهِ الثانية ولما وجد ان اراضيها مخصبة فاقام فيها بيوتًا ومنازلاً واهتم بزراعة الاراضي وتحسينها لكنهُ من سوء الادارة عامل هنودها معاملة بغوية بهذا المقدار حتى في بحر سنين قليلة انقطع جنسهم من مجرد المشقات التي تكبدوها فوق استطاعتهم وبغضون ذلك اكتشف جان دباز دي سوليس ومنصور بينذون اقليم اليوكاتان وكان اقليم ذو اتساع وخصب

دياكو كولومب بن الاميرال منذ توفي ابيهِ لم يبرح عن طلب حقوقه بموجب الاتفاقية التي ذكرناها بفصول كتابنا الاولى وباطلة كانت اتعابه لان الملك فرديناند لم ينتبه اليهِ مع ان طلبهُ حقًا كان فلدى تعيين مجلس شوري الهند الغربي اعرض واقعة حالهُ اليهِ

فحكم لهُ بثبوت مطاليبهِ بكاملها ومن جرى ذلك نال مقامًا عاليًا باعين الهيئة الاجتماعية وتزوج بكريمة دون فرديناند دي طولاد من اكبر اعيال اسبانيا شرفًا وكان اعظم صديقًا للملك فرديناند. فعند ذلك نال الالتفات وصار تنزيل اوفاندو عن مقامهِ وتسمي دبا كوكولومب بدلهِ ومنحت لهُ الامتيازات التي كانت لوالدهِ برمتها ما خلا لقب نائب ملك فتوجه مع قرينته واعمامه واخيهِ فرديناند الى اسبانيولا واخذ يحكم بالعدل ويسهل وسائط نجاح الولاية اما الهنود المنكودي الحظ لم تاتيهم تلك التغييرات الا لزيادة مصابهم لان الذين كانوا معتوقين استيسرهم ووزعهم على عائلتهِ وعلى الاشراف الاسبانيول الذين كانوا حضروا معهُ. واخص اجراواتهُ في مدة حكمهِ هي انهُ اقام منازلاً في جزيرة الكوباغا وارسل اليها ناسًا من قبلهِ واستورد منها كمية وافرة من اللؤلؤ الخاص

وفي سنة ١٥٠٩ ارسل الملك فرديناند الونزو دي اوجيدا ودبا كونيكواسا الى امريكا وامرهما بقيام ولايات في تلك الانحاء. فلم يعطهما دراهمًا بل منحهما انعامات كبيرة وعين الحدود لكل منهما بالاراضي التي ارسلهما اليها فاوجيدا اعطي لهُ من راس الفيلا الى جون داريان ونيكواسا من اواخر الجون المذكور الى راس الحمد

لله . و باثنائهِ جمع البارعين في علم الشرائع واللاهوت ضمن المملكة وطلب اليهم ان يتداولوا بالطريقة التي بموجبها يصير التولي على تلك الارض . فانبغوا بالطريقة الاتية وها كهي : بوصول الاسبانيول الى محلٍ ما في تلك البلاد يبشرون هنودها باخص حقائق الايمان المسيحي ويامرونهم باعتناقه وبالخضوع الى ملك اسبانيا فان تمنعوا عن ذلك يصير الحاقهم وسبيهم وسبي نساهم واولادهم وضبط مشتملاتهم فعنده توجه اوجيدا ورفيقه بالانعامات والاوامر المحكى عنها وبوصولهم اشهرا ما كانا مامورين باجرائهِ فتمنع الهنود عن طلبٍ لم يكونوا سمعونهُ بعد قط ولا يفهمون معناهُ فراما سبيهم انما لم يكن الامر سهلاً بهذا المقدار لان ذلك القوم كان دموياً فدافع القوة بالقوة وقتل سبعين من الاسبانيول باسهامهم المسمة ثم شتتت الانواء مراكب الافرنج وداهمتهم الامراض الوبائية وظهر الانشقاق في ما بينهم ومن جرى ذلك في بحر سنة واحدة لم يفضل منهم الا القليل فشيدوا ولاية بالقرب من جون داريان وسموها السنتاماريا وتسلمت ادارتها لرجلٍ يدعى نونياس دى بلباوا

فتلك المصايب التي كانت المت باوجيدا ورفاقه كان من شانها ان تمنع جميع الاسبانيول عن كل حركةٍ لكن بداعي نقصان عدد

الهنود في جزيرة اسبانيولا وعدم الارباح فيها ايضاً فلم يكلوا عن هجرها وهجر اسبانيا معاً وعن الخوض بسائر جهات امريكا قاصدين المكاسب . ففي سنة ١٥١٠ عمد دياكو كولومب على تطويع جزيرة كوبا المتسعة المساحة فانضم جملة منهم تحت راياتهِ وعلى ذلك ارسل دياكو فيلسكاس وبمعيتهِ ثلاثمائة نفر لا غير وفوض اليهِ زمام تطويعها . فارتعب الهنود منهم ببادي الامر وما من منهم تجرأ على مصادمتهم الا هاطواي احد ملوك الجزيرة المذكورة نهذا كان نزح هزيمة من اسبانيولا وتوطن في جهة كوبا الشرقية فصادم الاسبانيول لدى وصولهم الا انهُ تشتت مع زملهِ ووقع اسيراً فامتثالاً لعوائد ذلك الوقت امر فيلسكاس بحريقه حياً ولما اصعدوهُ الى المحل المعد لحريقه تقدم اليهِ احد الرهبان الفرنسيسكان واخذ يعظهُ ويقول لهُ ان يعتنق الدين المسيحي لكي يحظى بالسعادة الابدية في السماء فسالهُ هاطواي هل بالسعادة الابدية موجود قوم من الاسبانيول فقال لهُ نعم وهم الذين قد صنعوا الخير فقط فاجابهُ قائلاً وحيث الحال كذلك فلم اريد ان اذهب اليها لانهُ لم يكن اسبانيولي ذو رحمة ورافة فحينئذٍ احرقوهُ حياً فارعبت تلك الميتة القاسية سائر هنود الجزيرة ولم يعد منهم من يضاد وهكذا صار تطويع تلك

الجزيرة المتسعة في زمن حكم ديا كو كولومب ولألات رايات الملك فرديناند في جهاتها الاربع ولم يفقد من الاسبانيول حتى ولا نفر واحد فبونس دي لاون الذي توطن في جزيرة البورتوريكو كما قلنا منذ امدٍ وجيز عند ما اعلم بسهولة تطويع جزيرة كوبا جهز على نفقتهِ ثلاثة مراكب وتبعهُ جمٌ من الاسبانيول وخاض بمراكبهِ في تلك الديار واكتشف بلاداً جديدة فيها وسماها الفلوريداد سنة ١٥١٢ فدفعهُ هنودها عنهم بالقوة واجبروهُ على الرحيل من ديارهم فرجع الى البورتوريكو حيث كان ورسي بمراكبهِ في جونٍ دعي من ذلك الحين جون الفلوريداد

وبغضون ذلك كان نونياس دي بلباوا الذي ذكرناه انفاً خاض في جوار ولايتهِ السنتا ماريا واخضع بعض الملوك وتمكن من تجميع كمية وافرة من الذهب. ولما كان يتقاسمها مع رفاقهِ حدث نزاع قوي شاهده اذ ذاك احد ملوك الديرة فسال بلباوا قائلاً ولم تتخاصمون على شيء ليسهُ بشيء عندنا فان كان الذهب هو الذي اوجبكم ان تتركوا اوطانكم وتحضروا الينا وتسلبوا راحتنا فانا اريكم بلاداً موجوداً فيها كمية وافرة منهُ وسائر ادوات سكانهِ هي منهُ ايضاً. فعليكم ان تتوجهوا من هنا في الجهة الجنوبية وغب ان تسيروا ستة ايام توجدون بحراً

واسعًا وعلى حدوده هي تلك البلاد المنوه عنها · فسر ذلك بلباوا وخال له ان البحر المعني عنهُ انما هو البحر الذي قصد الاميرال اكتشافهُ بالسفرة الاخيرة ولم يتوصل اليهِ

لكن لما كان عدد رجالهِ قليل ارسل من ينوبهُ امام ديا كو كولومب في اسبانيولا ورفقهُ بقيمة من الذهب مع الايضاحات عن كل ما كان فبالحال وجه اليهِ دياكو نجدةً قوية ونشطهُ على اجراء مقاصدهِ ومن ثم هم بلباوا على التوجه للبلاد التي دُل عليها انما كانت طريقها صعبة جدًّا لان الخليج المدعو خليج داريان يبلغ وسعهُ ستين الف فرسخ وعلى شطوطهِ هي سلسلة جبال شامخة ومحرشة ويدفق منها عدة نهر مرعبة وفي بحر الثمانية اشهر لا ينقطع المطر في تلك الجهات ومن جرى ذلك ترى وديانها طائفة وعائمة بالمياه · وزد على ذلك كان سكانها قليلوا العدد والموجودون كانوا مشتتين في سائر الانحاء ومن ثمه كان صعبٌ العبور في تلك البلاد حيث لم يكن طريقًا الَّا ضمنها ·

غير انهُ لما كان بلباوا المذكور على جانب قوي من الشجاعة والرزانة معًا اعتمد على اجتيازها ولو مهما كان من المصاعب وبواسطة حسن سلوكه تمكن باقناع قومهِ واخذ طريقه في اول يوم من ايلول سنة ١٥١٣ مصحوبًا بمائة وتسعين من الذين يعتمد عليهم في وقت الشدة

وكان معهُ ايضاً عدة كلاب كبار من الجنس الذي ذكرناهُ قبلا والفٌ من الهنود يحملون الذخائر والمقتضيات . فقصد بمسيرهِ اولًا بموانع جملة ففاز بها بكل سهولة وبينما كان يتقدم في تلك الجبال كان سكانها بعضهم يرحلون من امامهِ وبعضهم يدافعونهُ بالقوة ففتك بهم اجمعين واذاقهم امرّ الاهوال وما زال سايراً الى انهُ اجتاز اكثرية تلك الجبال الصعبة المسلك فاعيي وارفاقهُ تعباً وحط ليرتاح فاخبره الهنود بانهُ يكشف البحر المقصود من قمة الجبل القريب اليهِ فصعد اليهِ وحده ونظر ذلك البحر الجنوبي فخرّ ساجداً وشكر من يحق لهُ الشكر وصاح بارفاقهِ وانحدر واياهم الى الشط حيثما استل سيفه وصاح علانيةً اتملكك يا ايتها البحار ويا ايتها الديار باسم مولاي فرديناند ملك اسبانيا المالك سعيداً على تخت اجداده . وبعد ذلك سمي البحر المذكور جون سان ميشال ولم يزل للان بهذا الاسم ثم اخذ يفتك بتلك الديار فطوع سكانها والزم ملوكها على تقديم الذخائر واللازم لهُ ولقومهِ . وبعضهم اخبروه انهُ على مسافة ليست بوجيزة موجود الذهب بكمية لا تحد وان سكان تلك البلاد يلبسونهُ ويتغاوون بهِ وعندهم جنس ماشية كبير القدّ فقصد الذهاب اليها انما لما كان رجالهُ تعبانون فلم يتجراء على ذلك فاقلع عن المحل الذي كان فيهِ ورجع

الى ولايتهِ السنتاماريا بعد ان غاب عنها اربعة اشهر قاصداً الرجوع في ما بعد لاجل تتميم اكتشافه الحديث · فبوصولهِ ارسل مراكبهُ حالاً الى اسبانيا وبلغ البلاط ما كان اكتشفهُ والتمس الاسعاف اللازم وارسل مبلغاً من الذهب واللؤلؤ · ففرحت سائر اسبانيا بذلك الخبر المنعش اكثر من فرحها باكتشافات الاميرال ابتدائياً وسبب ذلك لان رجال البورتوغال كانوا قد استحضروا اموالاً لا تحصى من الهند الشرقي على ما قدمنا وبوجه الحسد كان الاسبانيول يرغبون في مزاحمتهم كما هو داب الانسان على الاطلاق · اما فرديناند لموانع يجهلها ارسل بيدرارياس دافيليا الى تلك الديار واصحبهُ بخمسة عشر مركب وبالف ومايتين نفر وفوض اليه مهام تلك البلاد التي كانت غنيمة بلباوا ولما كان قد شاع في اسبانيا ان تلك البلاد هي غنية جداً اغرّت امال الارباح عموم سكانها واخذوا يتقاطرون على بيدرارياس ويسالون اليهِ ان ياخذهم معهُ فلم يقبل منهم سوى الف وخمسمائة نفر فقط وتوجه بموكبهِ الحافل وبوصولهِ الى خليج داريان ارسل معتمدين من قبلهِ الى بلباوا واخبره عن وصولهِ وعن الاوامر التي كانت بيده فوجده المعتمدون المذكورون يضرب خيمة لهُ من ورق الاشجار ولابساً ثوب من القماش السميج فاستقبلهم

بكل اعتبار واجابهم بانهُ على كل حال تحت امر الملك واليهِ فاعتلم ارفاقهُ بكيفية حضور بيدراریاس واغتاظوا وقالوا كيف يحضر الاجانب ويقطفون ثمرة اتعابنا فهاجوا وضجوا وعمدوا على طرده بالقوة فمنعهم بلباوا قائلاً لهم من الواجب علينا ان نخضع الخضوع التام لامر الملك . فسكتوا وابتدى بيدراریاس يخرق حقوق الانسانية مع سكان تلك الديار ويعاملهم اردا معاملة واقساها واوجبهم لتقديم كمية واهية من الذهب واللؤلؤ . وبغضون ذلك حدثت امراض وبائية في قومهِ ففقد منهم ستماية والذين بقيوا ارسلهم الى الجهات حيثما كانوا يفعلون القبائح فاغتاظ الهنديون ونزحوا الى الجبال تاركينهم عرضة للمجاعة وللمصايب . وكان بلباوا ينظر الى ذلك بعين الكدر ولم تكن يدهُ قصيرة لان اكثر الاسبانيول كانوا يلوذون اليهِ لا الى بيدراریاس ومن ثم كان قادرًا على تنزيلهِ عن مقامهِ ويستلم هو الاشغال لكنهُ لما كان عاقلاً حكيمًا فمنع عن اجراء شي سهلت كانت صيرورتهُ فارسل مركبًا الى اسبانيا واخبر عن تصرف بيدراریاس السيء لخلاف الاقتضا فندم فرديناند على ما فعل . وبالحال ارسل الى بلباوا مفوضةً بالكلي والجزئي والى بيدراریاس وامرهِ ان يكون مطيعًا الى بلباوا فتعاظم الخلاف بينهما ومن

جرايه انحطت احوال الولاية الجديدة فسالها بتـالي الامر اسقف الولاية وخنما لمثل ذلك زوّج بلباوا بابنة بيدراریاس . وعلى ذلك اضحت حالة الولاية تتحسن بمساعي بلباوا الذي لم يكل عن الافتكار بالرجوع الى تلك البلاد التي اكتشفها فاخذ من ثم يتجهز للرجوع وبعد ان عاندتهُ جملة موانع تيسر لهُ تجهيز اربعة مراكب وفي ما هو مهماً على السفر بثلاثمائة من الابطال طلبة حوه اليهِ لانهُ كان يكمن لهُ بقلبهِ وكان اذ ذاك في محل يدعى افلا فبوصولهِ قبض عليهِ وغللهُ بالقيود وحكم عليهِ بالموت وعدمهُ وهكذا تمت حيوة بلباوا الشهير اما بيدراریاس لما كان من ذوي الباع ازاء البلاط الملوكي بواسطة اصدقائهِ هنالك فتيسر لهُ ان يفضل بمنصبهِ وبموجب طلبهِ مُنح لهُ الاذن بنقل الولاية الى البناما الموجودة على جهة داريان الثانية

وفي اثنا حدوث ذلك كان فردیناند مهتماً بفتح طريق مخابرة في جهة المملكة البحرية حسب ما كان موضوع الاميرال كريستوف ولتلك الغاية جهز مركبين على نفقتهِ وسلم رياستها لعهدة جوان دياز دي سوليس فهذا خاض بها في شطوط امريكا واوصلتهُ التماديز في اول يوم من شهر كانون الاول سنة ١٥١٦ الى نهيرة فسماها الجانيرو ومن هناك لم يزل سايراً حتى بلغ نهيرة ثانية فرام النزول الى البر ليخوضهُ

ويعتلم ما فيهِ فتعارضهُ الهنود وقبضوا عليهِ وعلى بعض رجالهِ فذبحوهم وسلخوا لحمانهم واكلوها وعاد الذين نجوا على الاعقاب واخبروا فرديناند عن كل ما كان جرى وحدث هذا وديا كو كولومب يحكم في اسبانيولا بالعدل والسكينة واعداوه يطبخون لهُ السم في اسبانيا. ولما نزعت عنهُ عدة انعامات كانت ممنوحة لهُ توجه الى اسبانيا سنة ١٥١٧ لتشييد وترجيع حقوقهِ . وكان الملك قبل ذلك بناءً على الاشاعات التي كانت تورد لهُ في ما يخص الهنود ارسل رجلاً يدعى رودريغ اليوكرك وفوض اليهِ زمامهم فابتدى يفتك فيهم ويوزعهم ويبيعهم حتى تناقص عددهم بتلك السنة الى الاربعة عشر الف نفر لاغير فنشي عن ذلك محاورات دينية وهي ان رهبان مار عبد الاحد ورهبان مار فرنسيس أُرسلوا الى اسبانيولا لكي يبشروا هنودها بالديانة المسيحية وكان رهبان مار عبد الاحد يمنعون الاسبانيول عن استعباد الهنود واوصلهم الامر لمنع المناولة المقدسة عن الذين كان عندهم من اوليك المنكودي الحظ . اما الفرنسيسكان فكانوا مخالفي الراي عنهم اذ انهم زعموا بان لا يتيسر نجاح الولاية ما لم يكن للاسبانيول سلطة مادية وادبية على الهنود فتعاظم الجدال بذلك بين الفريقين بهذا المقدار حتى اقتضى اعراض واقع الحال الى فرديناند فاجمع مجلسهُ الشوري وكل

من كان بارعًا بعلم الشرائع واللاهوت وطرح امامهم المسئلة فبعد مداولات طويلة حكموا بوجوب حرية الهنود. ورغماً عن ذلك الحكم لم يحصل نكول عن اضطهادهم ومن ثم رجع رهبان مار عبد الاحد يتشكون الى الملك. فجمع ثانيةً الموتمر الاول واقام للاعتراض امامهُ رجلاً من قبل الرهبان واخرًا من قبل الذين كان رايهم بخلاف ذلك ففاز الاخرون ببراهينهم وحكم الموتمر بانهُ من كون لا يتوقع اهتدآء الهنود الى الديانة المسيحية ما لم يكن الاسبانيول متولجون عليهم وانهُ لم تنجح الولاية الاَّ بالظروف ذاتها فمن ثم سبيّ الهنود تحللهُ الشرايع الالهية والبشرية معًا وبالوقت ذاتهِ عين رجال الموتمر كيفية تشغيلهم وطريقة ملبوسهم واكلهم فاعترض ثانيةً رهبان مار عبد الاحد بقولهم انهُ لا يتسهل تبليغ حقايق الايمان العالية الى اناسٍ قد ثقل عليهم نير الاضطهاد وانهُ ما زال ممنوحًا للاسبانيول حق السيادة على الهنود فلا يتوقفوا عند التحديدات المعطاة لهم ولكن لم ينتبه فرديناند وموتمره لذلك. ولدى حضور رودريغ اليوكرك الى اسبانيولا غب ان اجرى ما اجراه كما قدمنا انتصر لرهبان مار عبد الاحد رجل من سافيليا يدعى برتولماوس ذي لاسكازاس فهذا رفض ما كان اعطي لهُ من الهنود واخذ يقنع من كان يلوذ الى رايهِ ليمتنع مثلهُ. لكن لما كانت اكثرية القوم مايلة الى

خلاف رأيهِ فحركتهُ عناصر الشفقة وتوجه الى اسبانيا ليقنع فرديناند
بما كان رايهُ بذلك . فكان ذو دالة عليهِ للغاية واخذ يوبخهُ على
الاوامر التي اصدرها ضدًّا لراي الرهبان الحايدة تلك الاوامر
عن ناموس الذمة والمروءة والانسانية فاوعده بتعويض ما كان
صنعهُ وقبل ان يقوم بوعده مرض مرضًا قويًّا وتوفاه الله الى رحمتهِ .
فتولّى مهام وكالة المملكة الكردينال كزيمانس فهذا ايجابًا لالحاح .
دي لاسكازاس المذكور ارسل ثلاثة معتمدين الى اسبانيولا ليفحصوا
المسئلة بكل ظروفها ويحكموا فيها جزمًا ثم ارسل احد البارعين
بعلم الشريعة وهو زوازو ليتبوأ عرش القضائيبيهِ هنالك ورخص
الى دي لاسكازاس بالتوجه معهم ولقبهُ باسم محامي عن حقوق الهنود .
فبوصول اللجنة الى محل ماموريتها صار اطلاق حرية بعض الرق
وغب الفحص والاستطلاعات والملاحظات المقتضية حكم جزمًا
بوجوب استعباد الهنود ملاحظةً لعدم نجاح الولاية دون ذلك
لانهم اي الهنود كان من دابهم العيشة المرتاحة كما ذكرنا مرارًا
فعنده خابت امال دي لاسكازاس ورجع حزينًا الى اسبانيا حيث
وجد ان كارلوس الخامس اخلف فرديناند في المملكة فاعرض
لهُ . فاجابهُ ان نجاح الولاية لانتوقع صيرورتهُ على الاطلاق

الّا باستعباد هنودها فسأل اليهِ ان يبتاع عبيدًا من شطوط افريقيا وينقلهم الى اماركا ليتعاطوا حفر المعادن فقوبل رايهُ وعندما اخبر الملك كارلوس ان قوة العبيد تفوق قوة الهنود اربعة اضعاف كاد يصغي الى دي لاسكازاس بانعتاق الهنود ولاجله اذن احد رجال بلاطه بالتوجه الى افريقيا لابتياع جمًا كبيرًا من العبيد فهذا تنازل عن حقوقهِ بذلك الى تجار جانوا بمبلغ من الدراهم وهم اي تجار جانوا كانوا اصل بداية مشترى العبيد. امادي لاسكازاس كانت اجلّ اماله بذلك انماهي انعتاق الهنود ولما لم يتحسن بختهم عن الاول ولم تات مساعيه بادنى نتيجة ترك العالم وترهب في رهبنة مار عبد الاحد

ديا كو فيلسكاس الذي طوّع جزيرة كوبا بقي حاكمًا فيها ونمت في زمن حكمهِ نموًّا تامًا وكان الاسبانيول يتقاطرون اليهِ من سائر جهات المملكة. لكن لما كانت مداخيل كوبا اكثرها من ايرادات الاراضي فلم يكن من داب جميعهم حراثة الارض بل كان بعضهم يرغبون التوجه الى البلدان الجديدة فوافقهم براهيم هرنندز دي كردوفا احد اغنيائهم في كوبا فجهز ثلاثة مراكب على نفقتهِ وسار بها في جهة الجزيرة البحرية في ٨ من شهر شباط سنة ١٥١٧ ومعهُ ماية وعشرة انفار فاكتشف الراس الذي يدعى الان راس اليوكاتان وبينما هو

متقدماً الى البرّ الاّ وبنحو خمسين زورقاً هندية تعارضهُ وكان نوتيتها لابسون ثياباً من نسيج القطن الابيض فادهشهُ ذلك لان لحد ذاك الحين لم ينظر الاسبانيول في اماركا اناساً يلبسون الثياب . قلنا انقد تعارضتهُ تلك الزوارق فقصدان يصادمها فرشقهُ رجالها باسهم مسمومة جرحت خمسة عشر من ارفاقهِ فانهزم وما زال سائراً حتى بلغ المحل الذي يسمى الان بونبوتشان حيث رسي بمراكبهِ جانب نهيرة وابتدى ان يملئ اوعيتهُ ماء وبينما هو باطمنان بال الاّ وباغتتهُ رجال تلك الديار وقتلوا من قومهِ خمسة عشر واصيب مع الباقين بالجروحات فعاد الى الورا وبوصولهِ الى جزيرة كوبا مات عقيب جراحهِ

فهاج الاسبانيول وعزموا على اخذ الثار بكل صرامة ليكون ذلك في ما بعد عبرةً للهنود ومن ثم جهز فيلسكاس ثلاثة مراكب ومايتين وخمسين نفراً وارسلهم تحت امرة جوان غريفالجا الذي كان على جانب قوي من العزم والحذق فتوجه بهم وبلغ جزيرة الكازوميل شرقي اليوكاتان في ٨ نيسان سنة ١٥١٨ ونزل الى البرّ في بونبوتشان لياخذ بثار كردوفا وجماعتهِ فدفعهُ الهنود عنهم بكل قوة واجبروه بالرجوع الى الورا ودخل الى سفنهِ وخاض بها في شطوط تلك البلاد ولما كانت تشبه شطوط بلاده سماها النوفال اسبانيا اسپ

اسبانيا الجديدة ومن هناك ما زال سائرًا حتى وصل الى اقليم
الكواكسا كاحيثما تلقوهُ الهنود بالاحترام واعطوهُ ذهبًا بقيمة ثمانين
الف فرنك ثم الى جزيرة سماها جزيرة الذبائح بداعي ان اهاليها
كانوا يذبحون بشرًا لالهتهم ومنها الى جزيرة حقيرة سماها سان جان
اوليوا وكانت بلاد شاسعة ومخصبة فسأل اليهِ قومهِ ان يبني مستعمرة
بتلك الديار فرفض طلبهم خوفًا من ان الهنود يتمردوا عليهم ويمحوا
اثرهم ومن ثم رجع الى جزيرة كوبا بعد ان غاب عنها ستة اشهر واخبر
فيلسكاس حاكمها عن كل ما كان راه ٠



الفصل الثاني

في فرناند كورتز واكتشاف المكسيك وافتتاحه

من سنة ١٥١٨ الى سنة ١٥٢٥

قد كان فيلسكاس قبل اياب غريفالجا من سفرتهِ المذكورة باخر الفصل الماضي ارسل معتمداً من قِبَلهِ الى اسبانيا ليخبر عن كل ما كان في جزيرة كوبا من التحسين ولطلب نجدةٍ قوية لاتمام مقاصده ولما طال رجوع المعتمد المذكور اخذ بالتجهيزات المقتضية على حسابهِ فبغضونهِ حضر غريفالجا وعند ما اخبرهُ عن كل ما كان نَظَرهُ اعتمد على توجيه تجهيزاتهِ لنحو تلك البلاد التي املتهُ آمالاً قوية ولذلك حضّر عساكراً كافية لمصادمة الاخطار التي لم يكن غرو بحدوثها . ولكن لمن يسلم رياسة تلك السفرة وقيادة العساكر فبنفسهِ لم يكن قادراً لوجهين اولاً لعدم معرفتهِ بفن البحار كما ينبغي وثانياً لم يتجراء على ترك جزيرة كوبا خوفاً من وقوع البلابل بمدة غيابهِ فاستشار الذين كان يعتمد عليهم وتم الاعتماد على تسليم تلك المهام لعهدة رجل يدعى فرناند كورتز الذي سوف ننظر ما فعلهُ وما قد اوجب تعليق اسمهُ في صفحات التاريخ المتوسط نظير اسم كريستوف كولومب وعلى ذلك علينا بالتفاصيل الاتية بخصوصه

قد نبغ هذا الرجل سنة ١٤٨٥ من عائلة اسبانيولية شريفة ومنذ نعومة اظفاره وضعهُ والدهُ في المدارس العلمية فكان كل ما تقدم سنًا كل ما تاق الى المهنة الجندية فترك المدارس العلمية دون ان يتم دروسهُ وشبانيةً لالحاحات والداهُ لكي يعود الى المدرسة توجه سنة ١٥٠٤ لاسبانيولا حيثما كان وقتئذٍ اوفاندو حاكمًا ولما كان من اقاربهِ قدمهُ بالوظائف وكان يمتاز فيها . ثم في سنة ١٥١١ تبع فيلسكاس الى جزيرة كوبا وهناك فُوِضَت اليهِ عدة مهمات وامتاز فيها ايضًا وما زال يتقدم سنًا ويزيد تقدمًا الى انهُ تسلم قيادة العساكر كما ذكرنا في بداية هذا الفصل . وكان فرناند كورتز رزينًا باشغالهِ سريعًا باجرائها عاليًا باجتذاب القوم اليهِ والى حبهِ فتلك هي الصفات التي يمتاز بها ذووا الاستحقاق

فتقدم الى ماموريتهِ الحديثة بكل نشاط وسرور وعند ما تمت التجهيزات اقلع بسفنهِ في ١٨ من شهر تشرين الاول سنة ١٥١٨ وكان عدد مراكبهِ سبعة عشر قطعة كبيرة مع صغيرة وعدد عساكرهِ كان ستمائة وسبعة عشر ثم ستة عشر فرس وعشرة مدافع صغار وباعلا الرايات كان صليبٌ كبير ومحررًا على الراية هذا الكلام: فلنتبعن الصليب لان بهِ نظفر على اعدائنا

فبلغ جزيرة الكازوميل وهناك افتدى اسبانيوليًّا كان اسره الهنود منذ ثمان سنوات واسمهُ جيروم داغيلار فسرهُ ذلك لا سيما انهُ اي جيروم كان اضحى بارعًا باللغة المحلية · فمن هناك توجه الى بلاد الطوباسكو وطوّع اهاليهُ فتقدموا لهُ ذهبًا وذخائرًا وعشرين امرأة وبعد ذلك سار قاصدًا جزيرة سان جان اوليواو بوصولهُ اليها رسى بمراكبهِ وعمد على النزول لبرها فتعارض مركبهُ الخصوصي اذ ذاك ذورق فيهِ هنود يتكلمون بلسانٍ لم يكن داغيلار يفهمهُ فلزيادة التقادير صودف ان احدى النساء المعطيات لهُ في الطوباسكو كانت تفهم لغتهم · فتلك الامرأة التي سوف نذكرها باسم مارينا الذي اتخذتهُ لدى اقتبالها سر العماد المقدس كانت مكسيكانية مولدًا واسيرةً عند رجال الطوباسكو منذ امدٍ طويل وسوف نذكر في ما بعد بعض حوادثها الشهيرة باثناء اكتشاف المكسيك · قد قلنا ان كورتز تعارضهُ الزورق ومستتا الحاجة الى عدم النهاية · فذاك الزورق لم يتمكن الذين كانوا فيهِ من مصادمة كورتزا الذي نزل الى البر برجالهِ وافراسهِ ومدافعهِ وشرع بتحصين معسكر عمومي في محلٍ استنسبهُ لذلك وسماه الفيرا كروز ولم يكن من يتعارضهُ بل كان اهل المحل يساعدون عسكرهِ بالاشغال اللازمة وقد كان تخبر ان ملك تلك الديار

يدعى مونتازوما وانهُ قديرًا غنيًّا جدًّا فبغضونهِ حضر اليهِ حاكم تلك الديار وقائد جيوشها وكان اسماوهما بيلبا تواي وتاتيلواي فقبلهما بالاكرام اللائق وسال اليهما ان ياخذاهُ الى ملكهما لانهُ كان متوصيًا ان يبلغهُ بعض اشياء مهمة شفاهًا فحاولاهُ وقدما لهُ هدايا ثمينة كلها من الذهب الخاص واعتجبا بطلبهِ اذانهما كانا بغاية ما يكون من التوكيد ان الملك لا يرتضي بذلك اعتبارًا لما كان عليهِ من العظمة والجبروت وفي وقت المقابلة نظر بين اتباعهما شخصين كانا يصوران كل ما في الخيمة والمعسكر بهيئتهِ فتحقق لهُ انما ذلك الا ليرسلاهُ الى الملك وعليهِ امر بتمرين العساكر امامهما بهيئة حربية وكان المصوران يخططان كل ذلك وبعد النهاية ارسل بيلبا تواي وتاتيلواي رسلاً من قبلهما الى الملك مع ما كان خططه المصورون واخبراهُ عن كل ما كان نُظر واحكي لهما فاعطاهما كورتز بعض امتعة اوربا وية ليرسلاهما لهُ ايضًا من قبله فرجع لهما الجواب غب مضي ايام قليلة برفق مائة نفر حاملين هدايا ثمينة منها صحفتين من ذهب عليهما صورة القمر والشمس ثم اساور وعقودة وخواتم ذهب وصناديق مملوة من اللؤلوء والحجارة الكريمـــة فقبلها كورتز بكل اندهاش وكاد وارفاقهُ يفقدون العقل عند ما نظروا تلك الهدايا وتيقن لهم ما كانوا لا

نحا لونهُ قطّ بغنى تلك الديار ففرح بيلباتواي ورفيقهُ وظنا بانهما حصلا على المرغوب وعليهِ بلغاهُ جواب الملك القائل بانهُ لا يرتضي ان يقترب الاجانب بعد الى عاصمتهِ فاجابهما لا بد لي من الذهاب اليهِ باية طريقة كانت وسوف اعطي الاوامر اللازمة لعسكري لكي يتاهب للسفر. فلحا عليهِ بتاجيل سفره لبعد مخابرة ثانية فقبل. فارسلا الى مونتازوما واخبراهُ فحالاً جمع وزراهُ واستشارهم وارسل الهدايا ثانية الى كورتز وبلغهُ بلسان معتمديهِ ان يكتفي بذلك ويرحل عن دياره فبقي مصرّاً فانصرف حينهِ المعتمدون وانقطعت المخابرات بينهُ وبينهم

هذا وباثناء المخابرات قد كان بعض رفاقه تعارضوهُ قائلين انّ نجاحنا بهذه الديار ليس بسهل فبدلاً من ان تحل فينا الرزايا والمصائب فلنكتفي بما اخذناهُ وعلينا بالرجوع الى كوبا وفي ما بعد يمكننا الرجوع بقوة تفوق هذه واذ لم يوافق كورتز هذه الاعتراضات اوشكت ان تنتشب ثورة قوية فاخمدها بحسن تدبيره واقنع الجميع على حسب فكره وبعد ذلك جمع ضباط العساكر واقام مجلساً بالاقتراع وسمى منهم قضاة ولقبهم بالامتيازات المخصوصة لوظائفهم كما في اسبانيا ثم ارمي القبض على من كان مسبباً القلاقل واودعهم السجن.

وهكذا حصلت السكينة واضحى كورتز مطاعًا ومحترمًا فاهتم بنقل معسكره لمحل اكثر مناسبة من الفيرا كروز . وباثناء ذلك حضر اليهِ معتمدون من قِبل الملك المدعو زمبوالا سائلين اليهِ ان يحمي مولاهم من تظلم مونتازوما فصرفهم مجبورين واوعدهم بانهُ سوف يقابل الملك ويتداول معهُ بالمقتضي وبعد مضي ايام قليلة قام بقومهِ قاصدًا محلًا يدعى كبابيسلان كان اختاره للمعسكر الجديد فقابل زمبوالا لان محل اقامتهِ كان بالطريق فوطده بافكاره واوعده بانهُ سوف يحمل واياه على مكسيكو العاصمة فصاحبهُ ذلك الملك وقال لهُ اني الى ملك اسبانيا انا وشعبي ومالي فانصرف من عنده وبوصولهِ الى كبابيسلان تقاطر اليهِ كافة ملوك الجيرة وتشكوا لهُ من تظلم مونتازوما وسالوا اليهِ ان يحمل معهم عليه فاوعدهم بذلك وانصب ابتدائيًا على تحصين المعسكر ورسم فيهِ مدينة وصونها تصوينًا كافيًا لردع قوة العدو عند ما تمس الحاجة وكان ملوك الجيرة يرسلون لهُ فعلة لمساعدتهِ بتلك الاشغال ولما كان اولئك الملوك جميعهم تحت سيادة مونتازوما المذكور قد حضر بتلك المدة مامورون لقبض الاموال الاميرية المترتبة عليهم لخزينة مكسيكو فابوا الدفع وقبضوا على المامورين واماتوهم وكل هذا جرى براي كورتز الذي كما لا يخفى كان لهُ ذلك

من احسن الفوائد

فحينئذٍ نظر فرناند ان الامر قد تم على طبق المرام واخذ ثم يعتني باتمام مقاصده مع رفاقهِ اولاً لانهُ من حين ظهور المخالفات كما اوردنا منذ امدٍ وان يكن قد كان اقنعهم الاَّ انهُ كان يفتكر دائماً بطريقة تمنع حدوث قلاقل محلية في معسكره لكي لا يعود يحصل هيجان بين قومهِ في ما بعد ويطلبوا الرجوع الى كوبا بل لكي يعلمون ذواتهم ان لا غنى لهم عن المدافعة ولو مهما حل فيهم من الرزايا ويقطعوا امل رحيلهم عن تلك الديار البعيدة ولذلك ابتدى يلاطف ويحسن ويجازي ويتهدد هذا وذاك وزيد وعمر حتى اضحى الجميع بيده وبوقت المناسب سحب المراكب الى البرّ بكاملها واضرم النار فيها دون ان يضاضدهُ احد بل من كان اعترضهُ بالماضي كان اول من شعل النار بهِ فبالحقيقة يا لها من جراءة قوية جراءة ذاك الرجل الشديد العزم فكيف انهُ تجرأ على مثل هذا العمل في بلادٍ بعيدة بين قوم وحشي هل ما خال بفكره الموت لانهُ لو كان على القليل ابقى مراكبهُ لكان تمكن من الانهزام فيها وقت الشدة والضنك . ولم يكتفي بذلك بل انهُ بعد ان اجرى ما اجراه انزل آلهة شعب زمبوالا عن مذابحها ووضع بدلها المصلوب وايقونة العذراء فاغتاظ الهنود من ذلك

وحركهم كهنة الالهة على الهيجان فلم يبالِ بهم بل كان يجادلهم ويظهر القوة من الضعف وتمكن من اخمادهم دون ان تسفك نقطة واحدة من الدم وعادت الاتصالية بينهُ وبينهم الى مجاريها الاولية

غب هذا جميعهُ صمّم على التوجه الى مكسيكو العاصمة فاعلم اوليًا زمباوالا بذلك فارسل لهُ بحسب طلبهِ مايتين نفر ليحملوا الذخائر ثم اربعماية خلافهم من فطاحلتهِ وفي النهار السادس عشر من شهر اب سنة ١٥١٩ زحف بعسكره وكان معهُ خمسمائة من رفاقهِ وخمسة عشر فارس وستة مدافع والهنود المذكورين. فكان يعبر في تلك البلاد بالسكينة التامة الى ان بلغ احد الاقاليم المسمى اقليم تلاسكالا فكان اهلهُ دمويون قادرون لا تفزّعهم شدة وخارجون عن مونتازوما الذي لم يكن تمكن لحذ ذلك الوقت من تطويعهم فارسل الى زعيمهم اثنين من رجال زمبوالا قائلاً لهُ معهما ان يدعه يجتاز ببلاده بالامان فبوصولهما اليهِ اماتهما وجمع رجالهِ وصادم كورتز وقومهِ واستمر النزال مدة اربعة عشر يوم متوالية فلم يفقد من الاسبانيول الا فرسين مع ان اعدائهم قد كان فقد منهم جملة وفي بحر تلك المدة علم التلاسكاليون ان الاسبانيول لم يعد عندهم ذخيرة فارسلوا لهم لحمًا واثمارًا. فقيل ان ذلك الشعب كان منطوي على مثل تلك الصفات الممدوحة

وعلى الكرم الزائد ومن المورخين من قال ايضاً بهذا الخصوص انهم لما كانوا على جانب قوى من البربرية والشهامة معاً كان لا يليق بهم ان يحاربوا عدواً جيعاناً الذي لو قتلوه فيكون لحمهُ مدق من الضعف ولا يوكل . الحاصل بعد ان حدثت محاربات كثيرة والحال على ما هو اي انهُ لم يفقد احد من الاسبانيول والتلاسكاليون يتكبدون خسائر جسيمة خال هولاء ان اعدائهم هم من الالهة فاستشاروا كهنتهم على ما يلزم فقالوا لهم ان اعدائكم هم من ابناء الشمس وعند ما تحاربونهم نهاراً فتعطيهم قوةً لا يُفتك بها انما متى غابت اشعتها فيضحون نظيركم . وعنده عمدوا على مباغتتهم ليلاً وفقاً لقيل كهنتهم فعرفت بذلك مارينا واخبرت فرديناند فاستحضر على المدافعة وصادمهم بقوةٍ تتفاوت باسهُ بالنهار فطلبوا اذ ذاك الصلح فسالمهم واطلق اسراهم واعطاهم امتعة اورباوية ودخل عاصمة تلك الاقليم بكل انتصارٍ واحتفال حيثما قدم لهُ ولرجالهِ مزيد الاكرام ايضاً واستقام فيها عشرين يوماً . فحصلت صداقة متبادلة بينهُ وبين ذلك الشعب وتحالف معهُ على مونتازوما . وفي اثناء المدة المنوه عنها كان كورتز ورجالهِ يبشروا التلاسكاليين بالديانة المسيحية" فصغيوا اليهم والى ارشاداتهم لكنهم لم يرتضوا برفض معتقداتهم المتصلة

اليهم بالتسليم من اجدادهم فساءَ ذلك فرناند وقصد ان يفعل
بالهتهم ماقد كان فعلهُ بالهة زمبوالا فتعارضهُ احد كهنتهِ قائلاً ان نتائج
ذلك مشومة علينا كما وان في ديانتنا ممنوع منعًا مقدسًا اجبار
كاين من كان على اعتناقها فرجع عن غيهِ وتوصل مع التلاسكالبين
بمنعهم عن تقديم ذبائح بشرية لالهتهم

فاقلع عن تلك المدينة ومعهُ ارفاقهُ الخمسمائة وما ينيف الخمسة
الاف وخمسمائة نفر من حلفائهِ الجدد اعني بهم جماعة زمبوالا
والتلاسكالا . وبقرب وصولهُ الى مدينة شولولا اعلم بقدومه مونتازوما
الملك وارتعبت فصائلهُ منهُ فارسل لهُ معتمدين يبلغونهُ بانهُ حاضرًا
لمواجهتهِ وللاقاتهِ انما لم يكن ذلك الاحيلة لكونهُ كان يكمن على اهلاكهِ
في مدينة شولولا قبل ان يدعهُ ان يبلغ العاصمة وقد كان اخضع شولولا
منذ مدة قصيرة فاخذ الاحتياطات الكافية فيها من كونها كانت
مدينة واهية الكبر . فيها معابد جملة للالهة ويتقاطر اليها رجال تلك
الديار لاجل الزيارة . واهاليها لم يكن من يفوقهم بالغش نتحذر
كورتز من كل ذلك وقبل ان يدخل اليها وفدا اليهِ رسل يقولون
لهُ من قبل الملك ان يعبر مع اسبانيوليه فقط . فبقلب لا يهاب
الموت دخل بهم ووضع حلفائهِ في محل يتمكن من مخابرتهم عند

الا اقتضى ولو بالاشارة وبينما هو يجتاز شوارع تلك البلدة لحظ على عدة ظروف قد اوقعت الشبهة لديهِ فكمنها وتوطن مع عسكره في قصرٍ اختاره وغدا ينتظر قدوم الملك اليهِ من يومٍ الى ثانيه وفي ذات يوم حضر اليهِ سرًّا اثنان من الثلاسكالين واخبراهُ ان نساء البلدة اخذن بالرحيل ليلاً منها وان مارينا عرفت من احد النساء ان قومًا مكسيكانيًا متربصًا في جوار المدينة ومترقبًا فرصة مناسبة لينقض على الاعداء الجدد ويقرضهم وانهُ لقد صار ذبيحة ثلاثة صبيان للالهة في الليل العابر فبالحال استحضر ثلاثة من كهنة الالهة وتوكد لهُ الواقع من تغيير استنطاقهم فاعطى من ثم الاوامر المقتضية لعساكره وغب ذلك طلب اليهِ الكهنة ثم رجال الحكومة واوجه المدينة فحضروا وغللهم بالقيود وصاح على رجالهِ فهجموا على المدينة اسبانيول وهنود كالسباع الكاسرة واستمروا على يومين دون انقطاع يفتكون بالاهالي ويسفكون الدما فذبحوا ستة الاف ونيف وحرقوا هياكل الالهة وكهنتها فيها ومنهم لم يفقد احد فانهزم الجميع تاركين كل ما كان لهم لاعدائهم ولم ينجُ سوى رجال الحكومة فاطلقهم كورتز وقال لهم اني لقد صفحت عنكم بشرط انكم تردوا الاهالي الى المدينة واعطيهم الامان التام عن الماضي اذ اني ارتضيت بهذا القصاص الان

على الخيانة التي كنتم تضمرونها لي ففزعوا ورجعوا الجميع الى محلاتهم فخرج من شولولا قاصدًا مكسيكو التي كانت لم تزل بعيدة مسافة اربعين فرسخ وعند اجتيازهِ البلدان كان روساقبايلها يخضعون لهُ ويقدمون لهُ الاكرام والذخائر ويوشون عن تظلمهم وهو يحتسب كل ذلك من الوسائط الفعالة لانتصاره وعليهِ كان يطمنهم ويهيجهم معًا. قصارى الكلام ما زال سائرًا الى ان اقبل على سهول مكسيكو عن راس جبل عالٍ فكانت سهول شاسعة مخصبة وبنصفها بحيرة كبيرة وحول تلك البحيرة مدن وقرى عديدة متقونة البنا وفي اواسط تلك البحيرة جزيرة وعلى تلك الجزيرة مكسيكو المقصودة فانحدر اليها بعسكره بمزيد الرزانة والهدو والانتظام وبقرب وصولهُ وجد نحو الفًا من الهنود مزينين بريش ناعم وبعدهم كان حكم مائتان نفر لابسين بكسم واحد ثم جمٌ اخر باكثر امتياز منهم ويليهم الملك الاعظم جالس بعرشٍ من ذهب يحملهُ اربعة من رجالهِ الخاص ويظللهُ بعضهم بخيمة ذات نسيج مفتخر. فعند ما اقبل الى كورتز نزل من عرشهِ والقى يديهِ على اثنين من اقاربهِ بينما كان رجال حرسه يفرشون امامهُ قماشًا حتى لا تلحق رجليهِ الى الارض وبالوقت ذاتهُ كان ثلاثة من ضباطهِ يرفعون من وقت الى اخر صوالحينًا من

ذهب وعند ذلك كان الهنود يحنون رؤوسهم دلالةً على انهم ليس باهل
ان يرمقونهُ . فنزل كورتز عن جوادهِ وتقدم اليهِ بكل احترام وحياه
على الطريقة الاورباوية فاحنى مونتاز وما ظهرهُ ولحق يدهُ للارض
ثم ردها الى فمه وقبلها . فاندهش الهنديون من تواضع زايد نظير
ذاك التواضع لان تلك الطريقة بالسلام كانت عندهم من الرفيع الى
الاعلى فاطلقوا من ثم على الاسبانيول اسم تولس اي الهة . فتفرس
كورتز بهِ هنيهةً وسار واياه الى قصر متسع ضمن المدينة كان أُعد لهُ
ولقومه فرتب عساكره فيه واخذ الاحتياطات المقتضية لمنع الخيانة
لو فرض انها مقصودة وعند المساء اتى الملك مقبلاً الى القصر وحاملاً
ومحملاً هدايا فاخرة فقدمها لكورتز واعطى بعض اشيا ثمينة الى ضباطه
وقال في جملة حديثه . اننا لعارفين بالتسليم ان اجدادنا قد اتوا
هذه الديار من بلاد بعيدة واستولوا على المكسيك وبعد ذلك غاب
زعيمهم واعداً ان سليلتهُ تحضر وتزورنا في ما بعد فالان لم يكن عندنا
ريب بانكم انتم عن سليلة اجدادنا ولاجله هالكم عندنا اول مقام ورتبة
وتروني مستعداً لاتمام كل ما تامرونهُ . فاجابهُ كورتز على ذلك قائلاً
ان ما عندكم من الاطلاع بالتسليم هو عندنا ايضاً ولنا ثلاثة اعوام .
خرجنا من بلادنا حتى وصلنا اليكم فنشكركم على ما ابديتموهُ لينا

وفي الغد اخذ الاسبانيول يجولون افواجاً بعد افواج في المدينة بقصد التفرج دون ان يهملوا شيئاً من الاحتياطات اللازم اتخاذها ولما جال كورتز في المدينة كان يلاحظ كل شيء فيها كلياً كان ام جزئياً وتوصل لمعرفة امرمهم جداً وهو ان المدينة كانت مبنية على جزيرة كما قدمنا وكانت جسورة من حجر في جهاتها الاربع توصلها بالسهول التي اي جسور لو قصد المكسيكانيون هدمها لاصبح هو ورجالهِ ضمن تلك المدينة الوعرة عرضة للاخطار وللاهوال دون ان يتمكن من الخروج وزد على ذلك قد لحظ جملة اشيا صيرت عنده شبهة قوية بكمين مقصود فعاد الى القصر مرتعباً ولدى المداولة مع اخص ضباطه توجه وخمسة منهم وبعض العساكر ووزع بضع شرذمات على مسافات قريبة لبعضها البعض ودخل على مونتازوما وقال لهُ انك عنيداً تعاملنا معاملة سئية وما القصد الا انقراضنا اذ اننا قد تاكدنا كل شيء فما انت الامرائي وبناء عليهِ يقتضي منك ان تسلم ذاتك لنا عربوناً لصدقك وتستمر كما انت في حكمك فاجابهُ من كان ذو عظمة مثلي لا يكون اسيراً الا بيوم الوغى الا انهُ لا موجب لانشغال بالكم لانكم عندي وعند شعبي بمقام ذوي السيادة علينا واستمر الجدال هكذا ما ينيف الثلاث ساعات فاخيرا نهض احد

الضباط الاسبانيول واستلّ سيفهُ وتقدم الى الملك وقال لهُ باحتداد تعال معنا وان بقيت متمنعاً ساطعنك بهذه الحربة واجندلك بدماك فحينئذٍ سلم حالهُ واستاقوهُ الى قصرهم فهاجت المدينة وضجت واخذ سكانها السلاح الا انهم لما عرفوا ان ادنى حركة منهم تكون سبباً لموتهِ ارتجعوا عن ما كانوا عليهِ مستنظرين تتمة الامر

فوضعهُ كورتز ضمن قاعة بالقصر حيثما كان يتعاطى مهام اشغاله كجاري العوائد وكان الاسبانيول يحترصون عليهِ ويقدمون لهُ مع ذلك الاحترام الزائد . فبعد الفحص والتدقيق الكلي ولدى الاستطلاعات المحلية التي حصلتها مارينا من بعض نساء المدينة وجد ان كواليوبوكا ابنهُ كان يطبخ كميناً مودياً لمحي اثار كورتز ومن معهُ عموماً وانهُ هو الذي كان متربصاً في جوار شولولا كما قدمنا فعند ذلك استحضرهُ كورتز مع خمسة من اخص قواد العساكر المكسيكانية وحاكمهُ امام مجلس حربي ترأسهُ هو وحكم عليهِ وعلى الخمسة بالحريق احيا فغللوهم بالقيود واودعوهم السجون المظلمة وفي النهار المعين لاعدامهم اقام الاسبانيول محطباً واهياً على جناح المدينة ثم دخل كورتز الى الملك وبيدهِ ورقة الحكم وقال لهُ ايها الملك ان ابنك كواليوبوكا وخمسة من قواد عساكرك قد أُتهموا بعملية ردية بحقنا وعليهِ صار

استحضارهم ومحاكمتهم امام مجلس حربي فقرروا حقيقة الامر لكنهم قد
اشكوك انك انت الذي امرتهم على مثل هذا العمل وبناءً عليهِ قد
حكم عليهم بالحريق احيا وعليك بالقيود وبمشاهدة عدمهم والتفت
الى حرسهِ فغللوهُ واستاقوهُ الى محل كاشف على المحطب المعدّ حيث
كانوا استاقوا المجرمين الستة ايضاً فحرقوهم امامهُ وامام سكان المدينة
وغب ان مضي على ذلك ستة اشهر طلب كورتز الى مونتازوما بان
يخضع الى ملك اسبانيا ويتعهد بتقديم دية سنوية لهُ فلم يتجاسر على
رفض الطلب وبالحال استحضر كورتز اكابر المملكة وادخلهم على
ملكهم وقرره امامهم بانهُ لخاضع الى كرلوس ومتعهد بتقديم دية سنوية
عليهِ فاشهدهم عليهِ وصرفهم غب ان اخذ منهُ من الذهب ما ينيف
الثلاثة ملايين فرنك امّا دية السنة الاولى خلا الاساور والخواتم
المشغولة فوزعهم على عساكره لكل حسب وظيفته بعد خصم الخمس
المملكة . وبعد ذلك بايام قليلة دخل عليهِ ثانيةً وقال لهُ ايها
الملك من كونك تطوعت الى ملك اسبانيا فيقتضي منك ان تجحد
الاصنام وتعتقد بالهنا نحن معشر المسيحيين وان تمنعت سانزل اصنامكم
بالقوة والقيها تحت الدوس واهدم هيا كلها وغب ذلك ساميتك
فنهض مونتازوما بالحال وقال لهُ باحتداد زائد . لن ارفض قط

معتقداتي ومعتقدات شعبي ولو مهما كان عليَّ فاكتفِ انت بما صنعتهُ من التعدي على النواميس البشرية. فاغتاظ كورتز من ذلك الجواب ونده بعسكره قاصدًا تنزيل الاصنام عن مذابحها لكنهُ لم يكن لهُ طائل فارتجع عن مقاصده واكتفى بتنزيل صنم واحد ووضع بدلهُ ايقونة العذراء

فساء ذلك كهنة الالهة وخابروا الشعب بكاملهِ ورؤسا القبائل المجاورة وطلبوا منهم اخذ ثار الالهة والانعتاق من العبودية فهاج المكسيك بكاملهِ ولسان حال سكانهِ كانهُ كان يقول لم يعد لنا اطاقة الاحتمال بعد فعلينا بمصادمة اعدائنا ولئن متنا اجمعين هذا وكورتز ورجالهِ ينظرون الى ذلك بالرعبة داخلاً. اما مونتازوما خوفًا من ان نتائج ذلك الهيجان تنقض عليهِ ويكون هو الفريسة الاولى استحضر كورتز وقال لهُ ان الشعب قد ضاجٍ بداعي ما اجريتموه بحق الالهة ولاجله يطلب اليك ان تخرج حالاً من هذه الديار وان تمنعت تاتيك متاعب كثيرة فاجابهُ قائلاً لم يكن يعيقني عن ذلك الَّا حضور مراكب منتظرها فمتى حضرت اخرج حالاً. هذا وفي ما هو وجماعتهُ بحالةٍ مكربة ومخوفة الَّا وبلغهُ بان مراكبًا راسية في الشطوط البحرية ففرحوا فرحًا لا يوصف لانهم منذ تسعة اشهر كانوا بانتظار

نجدة قوية تاتيهم من جزيرة كوبا فلم يطول فرحهم لان بغضونهِ توكد ما ياتي بانهُ لما كان لكورتز مبغضون اخبروا فيلسكاس بالتوكيد ان كورتز قد اكتشف المكسيك على اسمهِ وانهُ حرر الى اسبانيا طالبًا الاستقلال بتلك الديار فعنده ارسل فيلسكاس ثمانمائة جندي وثمانين فارس واثني عشر مدفع تحت امرة بانفيلو نرفس بثمانية عشر مركب وامرهم بالقاء القبض على كورتز وبالاستيلاء على ما كان لهُ واستحضار الجميع لديهِ فبوصول نرفس بموكبهِ الى كبابيسلان طلب الى سندوفال محافظ المعسكر العمومي ان يسلمهُ كل ما كان عندهُ فتمنع سندوفال واوثق الرسول وارسلهُ لكورتز الى مكسيكو مع كل هذه الايضاحات فانغم فرناند جدًا من جرى ذلك وتعاظمت شدتهُ لكنهُ عمد على مصادمة نرفس فابتدائيًا اطلق سبيل رسولهِ ودفعهُ اليهِ مع رسولٍ من قبلهِ موضحًا لهُ ان ليس من نيتهِ ان يسلم فالاولى لهُ اي لنرفس ان يحجب دم العباد ويرتجع الى الوراء ويخبر فيلسكاس بانهُ لقد تبلغ سوء فهما وبقي في مكسيكو منتظرًا الجواب وباثناء ذلك كان المكسيكانيون لا يزالوا هائجين بسبب ما قد كان فعلهُ بحق الالهة وتمكنوا من ان يضموا الى سلكهم كافة روساء القبائل الذين كانوا حالفوهُ حين اجتيازهِ بلدانهم . فضيقتهُ كانت

عظيمة لان الزومعة كانت تتهدده من سائر الجهات الا انهُ لم يبال لان عزمهُ كان قويًّا فبالحال خرج من المدينة وترك فيها مائة وخمسين نفراً تحت قيادة بطرس دالفارادو وتوجه راسًا الى المعسكر في كبابيسلان فبحال وصوله اخذ يخابر عساكر نرفس ويجذبهم اليهِ اذ انهم كانوا من معارفهِ فانضم اليهِ منهم ما ينيف عن المائتين نفر وباغت نرفس ليلاً واستاسرهُ مع من كان باقيًا معهُ وكانت معركة دموية مرعبة فاستولى على المراكب وضم عساكرها اليهِ وبعد ذلك بلغه ان دالفارادو قد باغته المكسيكانون وقتلوا اكثر ناسه فتوجه حالاً لانجاده وبرفقه عساكرهِ الجديدة وحاصر المدينة مدة خمسة وسبعين نهارًا متكبدًا امرّ الاهوال والخسائر وفي احدى المعارك وقت الحصار قتل مونتازوما من يد رجالهِ وتطوعت المدينة في ١٣ اب سنة ١٥٢١ ولولا مساعدة ملوك الحيرة ورؤساء القبائل لما كان تمكن كورتز من الاستيلاء عليها لانهم كانوا يكرهون المكسيكانيين وافتتاح مكسيكو كان في زمن حكم غواتيموزان خليف مونتازوما فبعد الاستيلاء عليها ابتدى يطوع بقية المملكة وكان ينهب ويقتل ويحرق دون ادنى شفقة حتى انهُ يقال ان سندوفال حرق ستين من الملوك ورؤساء القبائل واربعمائة من الاشراف

دفعة واحدة برأي كورتز وبذلك ارتعب الهنود وخضعوا الى اوليائهم الجدد ودلوهم على المعادن الذهبية والفضية التي هي اصل غنا العالم باسرهِ

وقد كان كرلوس الملك ظن بكورتز السوء لعدم تخبيره عن الاجراوات ومن جرايهِ ظن ان مقاصده انما هي ليحرر ذاتهِ بتلك الديار البعيدة فارسل كريستوفال نائبًا اليهِ ليستحضر الى البلاط ولمعاملتهِ فيهِ كمجرم فالمعتمد المذكور اخبر كورتز عن الامر الذي بيده ولما كان من اصدقائهِ اقنعهُ فرناند وارضاه وارسل مركبًا الى اسبانيا وضمنهُ ذهب وفضة وحجارة كريمة واخبر البلاط الملوكي عن كل ما كان اجراه فانسر كرلوس جدًّا ورد اليهِ مراكبًا جملة ونشطهُ في تتميم عملهِ واطلق عليهِ اسم حاكم اسبانيا الجديدة · فعنده اطمأن بال كورتز وابتدى بترميم بنايات مكسيكو المحروقة باثناء الحصار وبفتح معادن الذهب والفضة وبتطويع القبائل المتمردة في المكسيك · وفي احدى السنين ارسل الملك معتمدين الى المكسيك ليتولوا على قسم الخزينة من المعادن فشكوه أي كورتز حسدًا وانسبوه الى التمرد فقبل كرلوس تشكيهم وارسل بونس دي لاون الى المكسيك وفوضهُ بالفحص عن سلوك فرناند وبالقا القبض عليهِ وارسالهُ محفوظًا الى اسبانيا اذا

وجدت التشكيات حقيقية فلزيادة سعده توفي بونس المذكور قبل ان يبارح اسبانيا فبالحال عرفهُ اصدقاؤه فيها بما كان مزمعًا ان يحدث فتوجه بالسرعة الى البلاط الملوكي لاجل تبرئة حالهِ . فبوصولهِ لاقاه القوم عمومًا وتوجه الى البلاط حاملاً ومحملاً اموالاً لاتحصى ولا يدركها عقل فاستقبلهُ كرلوس بمزيد الاكرام ولدي المباشرة عن فحص سلوكه وجد بعض الاشتباه بما كان تصدر ضده من التشكيات فحينئذٍ نزع عنهُ اسم حاكم اسبانيا الجديدة وسما خلافهُ فيها لكنهُ لما كان اي كورتز ذو استحقاق واتعاب اوهبهُ الملك حق التولي على اراضي متسعة ضمن اسبانيا الجديدة وفوض اليهِ معًا مهام اكتشافات جديدة

فرجع الى مكسيكو سنة ١٥٣٢ واكتشف الكاليفورنيا ثم الجون الذي يدعى للان باسمهِ جون كورتز ولما كانت احوالهُ قد حطت في مكسيكو رجع ثانيةً الى اسبانيا طالبًا المجازاه على اتعابهِ فهناك قبلهُ كرلوس بهيئة ناشفة وكمثل كريستوف كولومب تمت حيوتهِ بالحاجات باطلة وتوفاه الله الى رحمتهِ في ٢ كانون اول سنة ١٥٤٧ بسن الاثنين وسبعين سنة مبغوضًا من معاصريهِ ومكرمًا باياما هذه.

فهكذا كان اكتشاف المكسيك تلك الديار الغنية . فبقي في دائرة حكومة اسبانيا لحد سنة ١٨١٠ باسم اسبانيا الجديدة الى ان ثار

اهلوهُ وفي سنة ١٨٢٤ حرروا ذواتهم واقاموا لهم حكومة مستقلة فاخذت منهم الولايات المتحدة بعد الاستقلال قسماً من اراضيهم وسمتهُ المكسيك الجديد فعاصمتهُ هي للان مكسيكو وموجودة فيها كنيسة اكثر فخراً بكنائس المسكونة بالنظر الى ما فيها من الغنا المفرط



الفصل الثالث

يتضمن اكتشاف البيرو

من سنة ١٥٢٤ الى سنة ١٥٥٠

قد ذكرنا في اواسط الفصل الاول من هذا القسم الثاني كيفية سفرة نونياس دي بلباوا واكتشافهُ البحر الجنوبي وعودتهُ الى السنتاماريا قاصدًا الرجوع في ما بعد لاكتشاف البلدان المجاورة لذاك البحر. ثم ما صار بينهُ وبين بيدرارياس المعتمد المبعوث من قبل ملك اسبانيا وما اعتقب ذلك الى النهاية والنتيجة كانت ان بيدرارياس امات بلباوا ونقل ولاية السنتاماريا الى البانااما فعلى من شاء الاسهاب دونهُ ومراجعة ذلك وعلينا بان نقول انهُ منذ ذاك الحين كان سكان كل من ولايتي الداريان والبانااما متجهي الافكار لنحو تلك الجهات فجهز بعضهم مراكبًا وسافروا مرارًا ولم يحصلوا ولا على نتيجة البتة اذ انهم لم يكونوا بالصفات المقتضية للخوض في تلك البحار المجهولة

الى انهُ لما كان الحال كذلك كان في ولاية البانااما ثلاثة رجال من ذوي العزم الشديد والفطن الزائدة واسماؤهم فرنسيس بيذار ودياكو دالماغرو وفرناند دي لوك وهذه ترجمة كل منهم باختصار. ففرنسيس بيذار يقول المورخون عنهُ باتفاق انهُ كان ابن

الزنا من احد الاسبانيول الاشراف وكانت والدتهُ سليلة عائلة اسبانيولية دنية فقيرة ففي صبائهِ كان يرعى الخنازير للقيام بمعيشتهِ ولما كبر تعين جنديًّا في مملكة ايطاليا ومنها توجه الى اماريكا حينما اشتهر اسمهُ حالاً نظرًا لما كان عليهِ من عظم الهمة وكبر الحذق والقدرة الطبيعية . اما دياكو دالماغرو وكان من ابنا السبيل ومثل بيذاركان شجاعا باسلاً لا ترعبهُ الشدة ولا تخوفهُ الاهوال . وفرناندري لوك ثالثهم كان كاهنًا واذ ذاك استاذًا في مدرسة الباناما

ولما كان كل منهم يعزم لوحده على سفرة في تلك البحار وفقًا للميل العمومي حينئذٍ ولم يكن من استطاعتهِ لوحده بالقيام بما تطلبهُ من المصارفات عقدوا شراكة ثلاثتهم ووضع كل منهم ما كان يملك وبالاتفاق الثلاثي تسمى بيذار رئيس السفرة ودالماغرو معجل النجدات والذخائر لهُ عند الاقتضى ودي لوك الكاهن كانت وظيفتهُ ان يبقى في البانامـا وينوبهما امام حكومتها فابرموا العقد على تلك الصورة وصادق عليهِ بيدراریاس الحاكم وفي اليوم المعين للسفر قدّم دي لوك الذبيحة الالهية لاجل توفيق مساعيهم وبعد ذلك اقلع بيذار بمركب واحد ومعهُ ماية واثني عشر نفر لا غير سنة ١٥٢٢ لكن لما كان فن البحار مجهولاً بذلك الوقت بالنسبة الى ايامنا هذه استمر

يخوض بمركبهِ سبعين يوماً بالطريق التي تجتازها الان البواخر في بحر ثلاثة ايام فقط الا انهُ كان يرسي احياناً في الشطوط للاطلاع على ما في بلدانها والهنود لم تدعهُ ان يتمكن من شيء اذ انهم كانوا يدفعونهُ بكل عزم ونشاط فرجع مرتداً عنهم وما زال سائراً حتى بلغ محلاً يدعى شوشاما بحالةٍ يرثى لها من الجوع والاخطار المتتابعة عليهِ وعلى رفاقهِ فمكث فيها عدة ايام منتظراً وفود شريكهُ دالماغرو اليهِ بالنجدة والذخائر حسب ما تفارقا لدى مبارحتهما بعضهما

هذا وبينما كان بيذار يحتمل امرّ المشقات على ما ذكرنا كان دالماغرو يتقلَّب ايضاً على سرير البلايا لانهُ اذ كان توجه الى بيذار بسبعين نفر وبذخائر كلية بلغ المحلات التي اجتازها شريكهُ وفي ما هو نازلاً الى البر في ذات يومٍ صادمهُ الهنود وجرت معركة قوية بينهُ وبينهم فقتل بعض رجالهِ واصيب هو بسهم في كريمتهِ الواحدة ففقدت ومن جرائهِ ارتجع عنهم وما زال سائراً حتى وصلتهُ التقادير الى شوشاما حيثما قابل بيذار فتصافحا وعزيا بعضهما البعض على مصابهما وتنشطا بوجه المبادلة على اتمام مقاصدهما الاشتراكية ومن ثم رجع دالماغرو الى الباناما واستحضر ذخائراً كافية وعين ثمانين رجلاً وعاد الى شوشاما محلما كان باقياً بيذار بانتظاره فاقلعا سوية الى ان بلغا

البوغاز المدعو بوغازسان ماتيا في بلاد الكيتو فهذه البلاد كانت شاسعة ومخصبة واملتهما اعظم الامال الا انهما لم يتجاسرا بالدخول اليها نظراً لقلة رجالهما ولوجود حروب اهلية فيها كما سوف تذكر عنها ولاجل ذلك توجها من هناك الى ان بلغا جزيرة غالو ورسيا فيها بمراكبهما لكن لما كانت ذخائرهما قليلة وعدد رجالهما ايضاً توجه دالماغرو الى البانامالوقاية ذلك واستنظره بيذار في الجزيرة المذكورة فبوصوله وجد بيدرارياس قد رُقت وتخلفهُ لوسريوس فسال اليهِ مع دي لوك الاسعافات اللازمة فتمنع وبالحال ارسل مركبًا من قبلهِ لكي يرجع بيذار الى البورى فابى بيذار الامتثال الي ذلك اما اكثرية قومهِ لم تكن هكذا بل انهم من تراكم الرزايا والمصائب اقتنعوا بالرجوع مع ذلك المركب وكان بيذار يحاسنهم ويوعدهم بحسن النهاية وهم مصرين ولما فرغت مساعيهُ من اقناعهم استل سيفهُ وخط بهِ خطاً على التراب وقال من منكم يريد ان يتبعني فايدخل داخل هذا الخط فتركوه ما خلا ثلاثة عشر نفر لاغير فسار بهم الى ان وصل لجزيرة تدعى جزيرة الغرغون واستمر فيها خمسة اشهر مستنظر احضور دالماغرو ولم يكن لانتظاره نهاية وكانت جميع الرزايا والمصائب حالة عليه وعلى ارفاقهِ القليلي العدد فاخيراً صمم على تسليم ذاتهُ الى رحمة الاوقيانوس عوضاً من

ان يمكث بعد في تلك الجزيرة المنفردة والغير ماهولة وبينما هو بتلك الافكار الاَّ وبمركب مقبل فاستنظر وصولهُ واذا هو بمركب اسبانيولي كان مبعوثًا لهُ من الباناما لكي يرجع اليها فيهِ وليس على سبيل الاسعاف لاتمام اكتشافاتهِ لان دالماغرو وديلوك شريكيه لم يتمكنا باكثر من ذلك امام لوسريوس فنفر وتكرَّه واستولى بالقوة والتمليق على ذلك المركب وعلى ما فيهِ ايضًا من رجال ومهمات وذخائر واقلع عن تلك الجزيرة وسار بهِ جنوبًا مشرقًا حتى اكتشف شطوط البيرو سنة ١٥٢٦ وما زال يخوض البحار حتى بلغ مدينة كبيرة عظيمة البنايات فنزل اليها مع ارفاقهِ وكان اسم تلك المدينة طومبس وهي عاصمة تلك المملكة وفيها هيكل كبير للاصنام وقصر عائلة انكاس اولياء تلك الديار. وكان قوم تلك البلاد متمدنًا ومستترًا بملبوسٍ والاراضي كانت مزروعة باتقان والاهالي يلبسون ذهبًا وعندهم ماشية كثيرة وسائر ادوات بيوتهم كانت من ذهب وبيوتهم مزينة بهِ وبالفضة ايضًا. وهيا كلهم كذلك فنظر الاسبانيول الى كل ذلك بمزيد الاندهاش انما لم يتجرأُوا على اجتياز البلاد نظرًا لقلة عددهم ومن ثم كانوا لا يتفاوتون الشطوط البحرية وقد تيسر لهم الحصول على بعض الانية ذهبية وفضية وعلى بعض المواشي فرجع عند ذلك بيذار الى

البانا ما ومعهُ اثنين من رفاقهِ بقصد انهُ يستمد الاسعافات اللازمة
المتولي على تلك الديرة وكان لهُ غايباً اذ ذاك ثلاث سنوات متكبداً
ببحرها امرّ الاهوال . فبوصولهِ قابل لوسريوس الحاكم واخبره بكلما
كان مقتضي ولم يحصل منهُ على نتيجة فعند ذلك بالاتفاق مع شريكيهِ
توجه الى اسبانيا يطلب هناك مالم يكن نالهُ من البانا ما فبلغها سالماً ودخل
على الملك كرلوس واعرض لهُ عن كل ما كان اكتشفهُ ونظره وعن
عدم التفات لوسريوس اليهِ فبواسطة حسن تدبيره نال من لدنه
كل ماطلبهُ ونفوض بالاجراوات جميعها انما اشترط عليهِ الملك بتعيين
مايتين نفر على مصروفه بلا استثنا ولما كان عاجزاً عن ذلك عزم على
التوجه الى مدينة سافيليا دون ان يستاذن البلاط الملوكي وهناك
وجده كورتز مكتشف المكسيك واعطاه مبلغاً من الدراهم لانهُ كان من
معارفهِ ثم نشطهُ على نهاية عملهِ فرجع الى مادريد حيثما قابل الملك نهائياً
فاعطاه الاسعافات اللازمة ولقبهُ بحاكم البيرو ومنح لشريكيه بعض
انعامات منها الى دي لوك رتبة اسقف البلدان التي يكتشفونها والى
دالماغرو رتبة قائد جيوشها فسار بيذارالبها البانا ما سنة ١٥٣٠ ولدى
المقابلة وقع خلاف ما بينهُ وبين دالماغرو لان المذكور لم يرتضِ بالرتبة
التي التمسها لهُ بل كان يطلب رتبة اديلنتادو اي نائب حاكم فوقتها

دي لوك وجددوا سوية عقد الشراكة الاول وتوجه بيذار بثلاثة
مراكب صغيرة الى البلاد التي كان تركها ومعهُ ماية وثمانين نفر منهم ستة
وثلاثين فارس فاجتاز طريقهُ الاول بثلاثة عشر يوم لا غير وقرب
وصولهُ الى مدينة طومبس خالفهُ الريح وابتعد عنها جنوبًا حكم ماية
فرسخ وصادمتهُ تارةً الانواء وتارةً الاخطار والمجاعة وما زال يتقلب
في بحرها الى ان بلغ اقليم كوكا وهنالك اشتد النزال ما بينهُ وبين اهاليه
اي اهالي ذلك الاقليم ففاز عليهم ونهب مدينتهم واستولى عليها وعلى
هيا كلها وبلغت قيمة المسلوب اربعين الف وزنة ذهب عبارةً عن
مليون وعشرة آلاف فرنك على تعديل روبرستون المؤرخ اي
قيمة كل وزنة خمسة فرنكات وربع فاعطى ارفاقهُ قسمًا منها ففرحوا
وغب ذلك ارسل احد مراكبهِ الى شريكيه مع ما كان نهبهُ
وطلب منهما الانجاد واستمر يتبع بتلك الشطوط حتى بلغ جزيرة تدعى
جزيرة البونا في شطوط بوغاز الغواياكيل فهنالك تعارضهُ الهنود واخذ
يحاربهم ولم يتمكن من تطويعهم الَّا بعد ان عاركهم مدة ستة اشهر كاملة
ثم توجه الى مدينة طومبس حيثما بقي ستة اشهر وبغضونه اتت
نجدتان الواحدة تحت امرة سيباستيان بينا لكازار والثانية تحت أمرة
فرناند دي صوتو . فعند ما نظر ان رجالهِ قد كثروا خرج من تلك

المدينة وتوجه بهم الى نهيرة تدعى البيورا وبنى مستعمرة قرب مصبها وسماها مستعمرة سان ميشال وكان يتقدم بداخل البلاد ويستفيد عن كليها وجزئيها وصادفتهُ التقادير بانتشاب حرب اهلية فعلى قيل المورخين انهُ لولا وجود تلك الحرب لما تمكن من تطويع ما طوَّعهُ من الاهالي وهاك هي اسباب تلك الحرب وحوادثها نقلاً عن بيذار نفسهُ

كان البيرو مملكة ذات الف وخمسمائة فرسخ من الشمال الى الجنوب ومسافتها قليلة بالوسع ويحدها جبال الاندس وهذا اختصار تاريخها نقلاً عن اهاليها حينئذٍ ومتصلاً اليهم ذلك بالتسليم ان بلادهم كانت منقسمة على عدة قبائل كما كانت اماريكا بكاملها وتلك القبائل كانت دائماً تحمل على بعضها البعض وما زال ذلك الى ان حضر الى تلك الديار رجل وامرأة بهيئة كبيرة ومختلفة عنهم وادعيا انهما من اولاد الشمس وكان اسماؤهما منكوكوباك وماما وكولو فمرّنا الرجال والنساء على الزراعة وعلى الاشغال الخدمية والصنائع وسنا شرائع ونظامات وبذلك حبهما رجال البيرو واطلقوا عليهما وعلى سليلتهما اسم انكا وكانوا يعتبرونهما كالهة فتخلف الملك اثنتي عشر منهم فوطدوا سعادة رعاياهم ونجاح بلادهم الى ان ثانيهم العشر المدعو هوانا كوباك لما كان مستوياً على عرش المملكة لدى دخول الاسبانيول

بالمرة الاولى الى البيرو وبتع في بلاد الكيتو واخضعها اليهِ وتزوج بابنة ملكها المكسور خلافاً للشرائع المسنونة المانعة عائلتهُ عن الزواج خارجاً عن بعضها وولد لهُ منها ولد وسماه اتواهالبا فلدى توفي ابيه الذي جرى بعد ذلك ببضع سنين سنة ١٥٢٩ تخلفهُ في مملكة الكيتو وكان لهوانا كوباك ولدٌ اخر يدعى هواسكار من قرينتهِ الاولى التي كانت من نسل الملوك فاعطيت لهُ بقية البلدان بالارث ومن جرى ذلك انتشبت حرب اهلية انبغها هواسكار على اخيهِ لانهُ كان يدعي ان الخلافة لهُ وحده لكونهُ سليل انكا وغب سنين جملة انتصر اتواهالبا وقطع سليلة الملوك الاصلية ما خلا هواسكار واسره عنده زماناً طويلاً

هذا ولما دخل بيذار المرة الاولى في بوغاز سان ماتيا كما قدمنا فكانت تلك الحرب شديدة ولما اعتلم بذلك اخذ يتقدم في البلاد تقدماً مبيناً ولم يكن من يتعارضهُ من الملكين المتحاربين. فلدى مباشرتهِ بقيام مستعمرة سان ميشال اعتلم اتواهالبا بذلك وارسل لهُ اي لبيذار معتمداً يطلب منهُ الاسعاف والمحالفة فاصرف بيذار المعتمد مسروراً وترك في سان ميشال عدداً كافياً من رجالهِ لحين الاقتضى وتوجه اليهِ بمايتين نفر مشاة وبسبعين فارس وكان اتواهالبا اذ ذاك في مدينة صغيرةٍ تدعى كاكسا ملكا تبعد نهارين عن سان ميشال فبوصولهِ

الى تلك المدينة استولى على محلٍ بجانب قصر الملك وتوطن فيهِ وفي الغد بعث اخيهِ فرديناندو فرناندي صوتو لدى اتواهالبا المذكور ليقدما لهُ بالنيابة مبادي الاحترام . فقبلهما بكل اكرام واقام لهما مادبة فاخرة بآنية فضية وذهبية يدهش شغلها العقل واعطاهما بعضها وصرفهما مسرورين . فرجعا واخبراه عن كل ذلك فاندهش وامتلك بهِ اذ ذاك روح الحسد وعمد على ان يقبض على الملك بالقوة اقتداءً بكورتز في مكسيكو فهاك ما جرى قد كان اتواهالبا المنكود الحظ اخبره مع معتمديهِ بانهُ ياتي ويفتقده في محلهِ وبالنهار المعين الآ وهو مقبلاً بموكبٍ حافل جداً لابساً افخر حللهِ الملوكية ومزيناً بالذهب والالماس جالساً في عرش يغطيه ريش ناعم ويحملهُ بعض رجالهِ الخاص على عواتقهم وامامهُ ما ينيف الثلاثون الف جندي فبقرب وصولهِ الى محل اقامة الاسبانيول تقدم اليهِ كاهنهم حاملاً صليباً بيده الواحدة وبالثانية كتاب فرضهُ وابتدى يشرح لهُ عن حقائق الايمان المسيحي وعن السلطان المعطى لهُ ولرفاقهِ من البابا نائب الله على الارض وعن اشياء نظير هذه مبهمة لدى ذلك الملك ثم طلب اليهِ ان يعتقد بتلك الحقائق لياتيه بالاسعاف من قبل ملك اسبانيا وتهدده معاً بالانتقام اذا رفض مطلوبهُ فاجابهُ اتواهالبا ان ارفض

مطلقًا معتقدات اجدادي ولو مهما كان مع اني اسالك بان تقول لي
معنى الكلام الذي فهت بهِ لاني لم افهمهُ . فاجابهُ الكاهن : تفسير
ذلك في هذا الكتاب (ودل على كتاب فرضه) وقد تعلمت عنهُ
كل ما قد قلتهُ لك فاخذ الكتاب منهُ وابتدى يقلب بعض ورقه
ثم قدمهُ الى اذنهِ وخبطهُ بالارض قائلاً : خذ ما قد اعطيتني لانهُ
لا يتكلم فصرخ الكاهن بالاسبانيول المستحضرين على شغلهم وقال
لهم : سلاحكم يا مومنين لان كلمة الله قد داسها هذا الكافر وبالحال
انقضوا كالصواعق على الملك وقومهِ واطلقوا بنادقهم والمدافع وجردوا
سيوفهم وفتكوا بالجماعة وانزل بيذار اتواهلبا عن عرشهِ جبرًا فحينئذٍ
ارتجع الهنود مرتعبون من السلاح النارية ومن الفرسان وفقد منهم
ما ينيف الاربعة الاف اما الاسبانيول لم يفقد منهم احد . فقط انجرح
بيذار جرحًا طفيفًا بيده فاستاقوا اسيرهم الى مركزهم وكسبوا وغنموا
عرش ذلك المنكود الحظ وكل ما كان في معسكره وعاملوه بالاكرام
اللائق لمقامهِ ولئن اسيرًا كان . فبقي عندهم عدة اشهر وبتالي الامر قل
اصطباره وسأل الى بيذار ان يعتق سبيلهُ فرفض ثم طلب ان يعطي من
الذهب والفضة فداءً عنهُ ملاة القاعة التي كان مسجونًا فيها . فاستجيب
طلبهُ حينئذٍ وبالحال اعلم سائر اقاليم مملكتهِ بما كان واستهمها بتقديم

المطلوب فتقاطر اليهِ شعبه من كل الجهات مجلبين كل ما كان عند
وفي هيا كلهم ولم يزالوا يوردون الذهب والفضة حتى تكفّى المطلوب
فبلغت قيمته بعد اسقاط خمس المملكة مليونًا ومايتين وثمانين الف وزنة
فحفظت برسم التوزيع على العساكر وصار توزيعها نهار عيد مار يعقوب
شفيع مملكة اسبانيا غب ان تقدمة الصلوات الاحتفالية لعدم وقوع
الاختلاف فاصاب كل من الفرسان ثمانين الف وزنة عبرةً عن مليوني
فرنك وكل من المشاة اصابه نصف ذلك وبيذار وضباطه اخذوا ما
خصهم بالنسبة الى مناصبهم . وفي اثناء القسمة حضر دالماغرو من البانا ما
بعض الرجال فاعطاهم بيذار قسما فلم يرتضوا بهِ الاَّ رغماً عنهم الاَّ
انهم لما كانوا يخشون من ان بيذار ورجالهِ يدّعون في ما بعد بالحق
الاول لهم اصرّوا على عدم اعتاق اتواهالبا وطلبوا قتلهُ خسماً للقلاقل
وبموجب ارادتهم لم يطلق سبيله ومن بعد ذلك طلب بعض الاسبانيول
الى بيذار الرجوع الى بلادهم ليتلذذوا في مالهم فقبل طلبهم ملاحظاً
بذلك انه لم يعد عليهم الاتكال وان رجوعهم الى اسبانيا من شانه
ترغيب خلافهم بالحضور الى البيرو فسافر منهم ستون وارسل معهم
اخيه فرديناند حاملا قسم المملكة مع الايضاحات اللازمة لمحلاتها
تلزمنا الحاجة بالرجوع الى تفاصيل كيفية موت اتواهالبا

لقد قلنا ان دالماغرو وارفاقهُ انما هم الذين قد طلبوا اعدامهُ مع انهُ قد فاتنا او من ضيق المقام او من باب السهيان والوجه الاخير هو الاصح بان نذكر ان الملك المذكور لما كان مسجونًا اخذ يراسل شعبهُ سرًّا عن يد رجلٍ من الهنود كان مستخدمًا لدى الاسبانيول واوعده ان يعطيهِ احد نسائهِ ان كتم السر وما تلك المخابرات السرية الا لانقراض غادريهِ فذاك الهندي لما لم يحصل على الوعد ثم لما ثارت بعض الاقاليم اخبر مخدومهِ عن كل ما كان ٠هذا ويقال ايضًا ان اتواهالبا كان يعجب بما كان الاسبانيول عليهِ من من معرفة القرأَة والكتابة ومن ثمَّ كان يريد يمتحن هل ان ذلك علمًا ام هبة طبيعية فسال بذات يومٍ احدهم ان يكتب لهُ على ظفرهِ لفظة الله فكتبها لهُ الاسبانيولي وكان كل ما دخل عليهِ احد منهم يمد لهُ ظفره ويكلفهُ بقرأَة ما كان محرر عليهِ فيجاوبهُ القاري حالاً بالايجاب الا انهُ بذات يوم دخل عليهِ بيذارو وعند مامدلهُ ظفره سالهُ ان يقرى ما عليهِ فاقر لهُ بعدم معرفتهِ بالقرأَة ومن ذاك الحين لم يعد اتواهالبا يعتبر بيذارو بشيء فاغتاظ من ذلك وعجل بموتهِ وقد كان حكم عليهِ بالحريق حيًّا الَّا انهُ اميت خنقًا حال كونهِ قد كان اعتنق النصرانية واعتمد من يد كاهنٍ اسبانيولي ٠ فتخلفهُ بالحكم احد اولاده فلم يقبلهُ الشعب

ونودي باخ هواسكار و بعد سنين قليلة تمردت الرعايا وكان رجال المملكة العظام يطلبون العرش لانفسهم ويزاحمون بعضهم البعض فنتج عن ذلك امور كثيرة وكان بيذارينتهز تلك الفرص لنوال مقاصده وباثناء ذلك حضر اليهِ جمٌّ وافر من اسبانيا كما كان خمن بفكرهِ لدى ترجيع رجالهِ اليها غب الاستيلاء على معسكر اتواهالبا كما قدمنا فحمل بخمسمائة نفر على مدينة كوزكو واستولى عليها وذبح سكانها و وجد فيها مالاً يفوق الذي كان اخذهُ موخراً ففرقهُ على رجالهِ

ولما كان الحال كذلك كان بينا لكازار المتولج مهام مستعمرة سان ميشال يقصد افتتاح بلاد الكيتو لانهُ كان بلغهُ ان اكثرية اموال عائلة انكا محفوظة فيهِ فزحف بعسكر واهٍ اليهِ فقبل وصولهُ ارتعب الهنود ونزحوا الى الجبال بجميع ما كان عندهم وبالوقت ذاتهُ كانت تلك البلاد عرضةً للحرب من جهتها الثانية لان بطرس دالفارادو الذي ذكرناه قد كان اثناء اكتشاف المكسيك أُعطي لهُ مجازاة اتعابه حق التولي على اقليم الغواتيمالا المجاور الكيتو من جهة جبال الاندس فقصد افتتاح البلاد المذكورة وحمل عليهِ بخمسمائة نفر و بمائتين فارس واجتاز تلك الجبال الاندسية مقاسياً بطريقهِ فيها مشقات كثيرة حتى

فقد من جنوده قرب خمسها وبوصوله الى سهول الكيتو صادمهُ بينا لكازار واعلم بيذار بذلك ولما كان من معارفه تمكن من ارضائه واعطاه مائة الف وزنة من الذهب وضمهُ اليهِ هو ومن كان معهُ عساكر

وفي ذلك الوقت رجع فرناند بيذار من اسبانيا الى البيرو حاملاً بدل الاموال التي اخذها الى المملكة لقا قسمها انعامات كلية الى اخيه والى دالماغرو فمنها الى فرنسيس توسيع دائرة حكمه على مسافة سبعين فرسخ زيادة عن التحديد الاول والى دالماغرو التولي على مسافة مائتين فرسخ شمالي حكم بيذار وكان ذلك داعيًا للاختلاف لان دالماغرو زعم ان مدينة كوزكو هي بادارتهِ وقصد الاستيلاء عليها فواخاه فرنسيس وهناك اتفقا ببعضهما دون ان يتحاربا على ان دالماغرو يفتتح بلاد شيلي وانهُ اذا ما كانت ذات اموال مالية فياخذ قسماً من البيرو فذهب دالماغرو بمائتين وسبعين نفر في طريق قاسى فيها امرّ الاهوال بردًا وجوعًا وبوصولهِ الى شيلي صادمهُ هنودها اشد مصادمة ولم يكل عن الحاقهم طمعًا بما كان في ديارهم من الذهب. اما بيذار كان يجتهد بطوطيد حكومتهِ ولذلك عزم على تشييد عاصمة لمملكتهِ لان مدينة كوزكو مركز ملوك انكا لم تكن موافقة بداعي بعدها عن البحر وعن مملكة الكيتو ايضاً فاستحسن من ثم محلاً على ضفة نهيرة الديما كي اقام فيهِ مدينة

وسماها مدينة الثلاث ملوك والان معروفة باسم ليما وفي بحر مدة وجيزة عمر فيها بيوتًا كثيرة وكنائسًا وقصرًا شاهقًا وكان الاسبانيول يتقاطرون اليهِ من سائر جهات المملكة وهو يرسلهم الى كافة انحاء البلاد ليطوعوها تحت امرة اخص قوادهِ فنشا لهُ عن ذلك متاعب فهذه اولها ٠ مانكوكوباك من عائلة انكا كان حينئذ اسيرًا في كوزكو فعند ما نظر تشتت الاسبانيول عمد على اخذ الثار منهم فخابر رجالهِ واخذ ينتظر الفرصة الموافقة لذلك الى ان لدى رجوع فرناند بيذار من اسبانيا اقام لهُ اسبانيول البيرو عيدًا حافلاً بخارج مدينة كوزكو وتوصل مانكوكوباك على الذهاب معهم للتفرجة فسبق واعلم رجالهِ فتحضروا بعدد مائتي الف وانقذوا ملكهم من ايادي غادريهِ وحاصروا كوزكو سنة ١٥٣٦ وكانت حاميتها الاسبانيولية مائة وسبعين نفر لا غير تحت امرة جان وكونزالز وفرناند اخوة فرنسيس بيذار المومااليهِ فدافعوا عنها بالعزم الزائد مدة تسعة اشهر فبذات الايام اوشك رجال البيروان يستردوها فكافحهم المتحاصرون ببأسٍ لا يمثل وباثناء المعركة قتل احد قوادهم جان بيذار فحزنوا عليهِ وايسوا من النجاح وعمدوا على الرحيل عنها ٠ وباثناء ذلك اقبل دالماغرو ورجالهِ لانهُ كان اعتلم بما كان فنظرهُ الفريقين بالخوف والرعبة اي

ان اتباع بيذار ارغبهم مجيئه خوفًا من ان يخونهم نظرًا لما كان عليهِ
من العنفوان هو وزعيمهم وكذلك المنكوكوبا كيون خوفهم وصولهِ
لانهُ كان من الذين يحسب حسابهم وقت المعارك ولما كان منكوكوباك
عارفًا بما كان بينهُ وبين فرنسيس اخذ يجتذبه لجهتهِ فرفضهُ. فحمل
عليهِ فردعهُ وكبده خسائر جسيمة وطرده بالقوة عن تلك الانحاء
ثم دخل كوزكو وقبض على كونزالز وفرناندو اودعهما السجن واستولى
على المدينة وجرى كل هذا وبيذار في ليما عاصمتهُ الجديدة وقد كان
عرف بالحوادث الابتدائية وارسل بطرس دالفارادو بخمسمائة نفر
لانجاد اخوتهِ فبوصولهِ الى قرب المدينة خرج اليهِ الدالماغريون
واسروه بالحيلة وبددوا شملهُ وبقيوا مع زعيمهم مستنظرين حضور
بيذار اليهم واما دالماغرو فقد نصحهُ بعض رجالـــه ان يقتل
كونزالز وفرناند ودالفارادو ويحمل حالاً عَلَى مدينة ليما قبل ان
يعتلم صاحبها بما قد كان حدث فرفض ذلك واستمر متربصًا
في كوزكو

فلنرجعن الان الى بيذار فلما اعتلم بما قد كان حدث ساءهُ ذلك
جدًّا واهتم بانقاذ اخويهِ فخابر دالماغرو بالسلم بمدة عدة اشهر بجرها تمكن
كونزالز ودالفارادو من الانهزام فبقي فرناند فحافظوا عليهِ تحفظًا

موقعًا ومازال دالماغرو يرفض المسالمة الى ان بيذارا استعان بالغش بقولهِ له ان يخلي سبيل اخيهِ فرناند وان اثنانهما يرسلاه مبعوثين ينوبا عنهما امام البلاط الملوكي حيثما يحكم جزمًا بمسئلتهما فاطلق دالماغرو فرناند وطلب الى بيذارا ان يرسل معتمدهُ بحسب المعاهدة فاجابهُ ان المسئلة تكون نهايتها بيوم الوغى خسمًا للقيل في ما بعد وبالحال ارسل اخويه اليهِ بسبعمائة نفر فالتقاهم دالماغرو ورجاله في سهول كوزكو وهناك حصلت معركة دموية اوسر فيها دالماغرو وذبح ايضًا ما ينيف المائتين واربعين من الاسبانيول فحكم فرناند على خصمهِ الماسور بالموت وقطع راسهُ سنة ١٥٣٨ وكان عمرهُ اذذاك خمسة وسبعين سنة فمات وخلف سائر حقوقه الى ابنه بموجب الفريضة الشرعية فبعد هذا توجه فرناند حالاً الى اسبانيا لتبرئة نفسه لكن قد كان تقدمهُ بعض رجال دالماغرو اليها واخبروا عن كل ما كان جرى فاشغلت المسئلة بال الملك كراوس لانهُ كان خمن بفكرهِ حدوث اختلافات مشومة يكون عقيبها سقوط سلطتهِ في تلك الديار البعيدة فوقاية لحدوث مثل ذلك بعث فاكا دي كاسترو وفوضهُ بكل ما يراهُ مناسبًا وتوجبهُ الظروف وبغضونهِ وصل فرناند فاودع السجن المظلم حيثما بقي ما ينيف العشرين سنة

هذا وبينما كان الحال كذلك في اسبانيا كانت في البيرو حوادث مهمة جداً · وهي ان لما نظر فرنسيس بيذار ذاتهُ صاحب السلطة الوحيدة اعماهُ الطمع واخذ يوزع الاراضي المكسوبة منهُ على ارفاقهِ متصرفاً بذلك بغير عدل لانهُ اعطى الجيدة لمن كان يعزهم والدون لبقية قومهِ الامر الذي نشأَ عنهُ تدمر زائد كانت عواقبهُ ردية للغاية عليهِ كما سوف ننظر وباثر ذلك استولى على اقليم شيلي وبنى فيه مدينة سنتياغو ثم نزع بينا لكازار عن حكومة سان ميشال وبلاد الكيتو وسمى بدلهُ فيهما اخوهُ كونزالز ومن جرى ذلك جميعهُ كثر مبغضوه حتى في نفس حزبهِ ·

وكان ابن دالماغرو ينتهز تلك الفرص لاخذ ثار والدهِ ولما كان ذو ادارة وتدبير جذب اليهِ بعض حزب بيذار وبفرصة ملائمة ارسل هيرادا كاتم اسراره ومعهُ ثمانية عشر نفر وذلك في ١٦ حزيران احد حدود سنة ١٥٤١ فدخلوا الى قصر بيذار في اواسط النهار بالسيوف المجردة وقائلين باصوات عالية يحيي الملك ويموت الظالم فجندلوهُ بدماه مع من كان عنده من حرسه وانحدروا الى الشوارع بسيوفهم الملطخة بالدم واذاعوا مقتل بيذار ثم استحضروا ذوات المدينة واجبروهم على معرفة زعيمهم حاكماً عمومياً عليهم فنودي بهِ

علانيةً وانضم الى راياتهِ ما ينيف الثمانمائة جندي اكثرهم من رجال
بيذارو وفي اثنائهِ قد كان كونزالز اكتشف وادي نهر الامازون
فلدى ايابهِ الى مدينة ليما واطلاعه على ما تقدم استشاط غيظاً ورام
باخذ الثار وبينما كان يهيج القوم ويجمع اليه الرجال وصل فاكودي
كاسترو مبعوث الملك فبالحال ازاع الاوامر التي كانت بيدهِ واستلم
مهام الاحكام بكاملها واخذ يعتني بتضعيف حزب ابن دالماغرو
واذ كان في مدينة كوزكو الاو بالمحكى عنهُ اقبل اليه بعسكر
غفير تحت قيادة هيرادا فالتقاه فاكو ملاقاة الابطال وذبح خمسمائة
من عسكره ثم اسرهُ واسر عقيد جماعتهُ واستحضرهما الى كوزكو وهناك
اعدمه بقطع الراس نظير ابيه سنة ١٥٤٢ ثم قتل ما ينيف الاربعين
من رجاله ومن جملتهم هيرادا وهكذا ضمحل اسمهُ من البيرو فانحلت
معاً الانشقاقات الاهلية وكان فاكو يحكم بالعدل والسكينة

اما في اسبانيا فكان كرلوس مهتماً في حالة الديار الامريكانية
لانها كانت اضحت لديه ذات اهمية بالنظر الى ايراداتها للخزائن المملكة
فصودف اذ ذاك وجود دي لاسكازاس في مدريد باشغال منوطة
برهبنته فاستحضره ليطلع منهُ على حالة تلك الديار فاخذ يشرح لهُ
عن تظلم الهنود من قبل الاسبانيول وعن بعض خصوصات نظير

هذه فتمسك الملك باحسنها ومن ثم نص الشرائع والنظامات الواجب العمل بموجبها جزماً فلم يسعنا الامر بايرادها لضيق المقام بل نقول انها كانت مملوءة حكمة وعدالة ومن شانها توطيد السلطة الاسبانيولية فتعارضهُ مجلس شوري الهند على بعض فروعها فبقي كرلوس مصرًّا على تنفيذها وبالحال ارسل فرنسيس تولودى سندوفال الى المكسيك اولاً ثم الي البيرو ليذيع تلك الشرائع والقوانين بمخابرة نائب ملك المكسيك الذي كان وقتئذٍ انطون دي مندوزا وبالوقت ذاتهُ احال على عهدة بلاسكو نونياس فيلا زمام احكام البيرو مع لقب نائب ملك وسمالهُ مجلساً ملوكياً وجعل لهُ مركزًا في مدينة ليما . فدي سندوفال بلغ ما كان مامورًا بتبليغهِ بحال وصولهِ ابتدائياً الى المكسيك فهاج الناس من تلك الشرائع الجديدة وحرر نائب الملك ودي سندوفال الى البلاط الملوكي وتيسر لهما تخفيف بعضها وازالة الهيجان بتلك الواسطة

انما في البيرو لم يتم الحال بالسهولة ذاتها . فهناك هاج الاسبانيول واخذ دي سندوفال يهدّي روعهم قائلاً لهم ان نائب الملك الجديد لا بد لهُ من من ان يحرر الى اسبانيا ويخفف عنكم ثقل الشرائع والنظامات كما جرى في المكسيك فاستكنّوا موقتاً مستنظرين نتيجة

الامر . لكن لسوء الحظ لم يكن نونياس فيلا من الذين كان عندهم
حسن التدبير بكذا مواقع بل كان مستبد الراي وعليهِ بدلاً من ان
يوقي الضربة كما جرى في المكسيك فحالاً بعد ان تسلم الاوامر المرسومة
لهُ برفق دي سندوفال اخذ يجول من مدينة الى اخرى ومن بلاد
الى ثانية ويعتق الهنود ويضبط الاراضي وفقًا لما آل الاوامر الملوكانية
ولما كان يعترضهُ احد كان يميتهُ حالاً دون محاكمة ومن جملة فعائلهِ
انهُ اوثق فاكو دي كاسترو وعاملهُ كمجرم بلا مسوغ . فكل ذلك
بدلاً من ان يخمد الثورة فاضرمها ونادى الثائرون بكونزالز بيذار
زعيماً لهم فتمنع كونزالز ببادي الامر لعدم جراءتهُ على مثل ذلك .
فترددوا عليهِ وما زالوا يلحون الى انهم الزموهُ بالتوجه الى كوزكا
حيثما قابلهُ جميع سكانها بالترحاب واقاموهُ نائبًا عموميًا عن الامة
لدى المجلس الملوكي في ليما فتوجه اليها بهيئة حربية خوفًا من ان
يصير القاء القبض عليهِ . ولما كانت الثورة عمومية في البيرو وقرَّب
اليهِ جمًا وافر حتى ومن اعضاء المجلس نفسهِ فبدخولهِ الى المدينة
طلب الى نائب الملك باسم الامة تخفيف الاوامر فتمنع وعندهُ القا
كونزالز القبض عليهِ واودعهُ سجنًا مظلمًا ضمن احدى جزائر المملكة
المنفردة ليرسلهُ في ما بعد الى اسبانيا . فتبسمت لهُ حينئذٍ امال

التوفيق وطلب الى المجلس الملوكي ان يسميه حاكم البيرو فتمنع فاعلم بذلك كارجافال قائد عساكره ومستشاره الخصوصي ودخل بالعساكر حالاً الى ليما وقبض على كل من كان خارجاً عن الميل الى كونزالز وشنق البعض من المتعصبين وعلى هذه الصورة ارتعب المجلس واطلق على كونزالز اسم حاكم البيرو سنة ١٥٤٥

فغب ان تبوأ السلطة العمومية استحضر نونياس دي فيلا الذي كان انفاهُ ثم ارسلهُ الى مدريد مع الايضاحات المقتضية . وسلم محافظتهُ الى رجل يدعى جان الفاراز فهذا بعد ان اقلع بمركبهِ عن المرفا خر ساجداً امام دي فيلا وقال لهُ اني لك وها انت معتوق ففرح بما لا يوصف وطلب اليهِ ان ياخذهُ الى مدينة طومبس فاخذهُ وهناك نقلد الاحكام لجاري عوائدهِ وانضم اليهِ جمٌ من اصدقائهِ ثم الذين كانوا يكرهون حكومة كونزالز ومن جملتهم كونتينو حاكم اقليم سكركاس

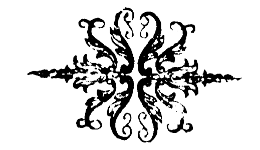
فلما علم كونزالز بذلك حمل عليهِ حالاً فانهزم الى الكيتو فجد باثرهِ والزمهُ الى الانهزام من امامهِ ثم استمر يطارده على الاثر الى ان ضايقهُ غاية المضايقة واسر كونتينو الخائن وجرت موقعة قوية في ١٨ كانون الثاني سنة ١٥٤٦ انتصر فيها كونزالز وقتل دي فيلا بيدان

الوغا وخضعت لـهُ تلك الديار واستولى على المراكب وعلى البحر
الجنوبي وسلم محافظة بوغاز النوميردي ديوس الى بطرس هينوجوزا
لكي يمنع المخابرات ما بين البير و وبين اسبانيا ومن مجرد هذا العمل
اضحى صاحب الزمام والسلطة المطلقة لكن لم يكن براحة بال
من قبل البلاط الملوكي وقصرت تدابيره للرجوع الى خاطر كرلوس
ولما استشار كارجوفال اجابهُ قائلاً انك لقد اختلست حقوق المملكة
وحاربت من كان ينوبها وفتكت بهِ وبناءً عليهِ لم يعد لك مغفرة امام
الملك ولو مهما قدمت من الايضاحات المبررة فالاولى لك اذاً ان
توضع يدك بكل عزم على حكومة هذه الديار التي لا يحق الاَّ لعائلتك
التولي عليها وللحصول على هذه الغاية اجذب اليك بني الامة واعطهم
اراضي وجوار قدر ما يشاؤون ثم تزوج باحدى بنات عائلة انكا فحينئذٍ
يضحى الجميع من اسبانيول وهنود بقبضة يدك وتتمكن من ان تصادم
الملك ولو مهما ارسل اليك من العساكر. فكان ذلك الشور غير
موافقاً لهُ فاستمر على افكارهِ وارسل من قبلهِ معتمد الى اسبانيا لكي
يبرر ذاتهِ ويطلب تثبيت حكمهِ

فقبل ان يصل معتمدهُ كانت تلك الحوادث بلغت تفاصيل
الى البلاط الملوكي فاغتاظ الملك ووزراوهُ وتم الاعتماد ابتدائياً ه

رسال عساكر قوية تمحي اثار بيذار وحزبهِ الّا انهُ لدى التمعن بالظروف وجد الامر متصعبًا لديهم وباثناء ذلك بلغ معتمدهُ اليهم فعمدوا على ارسال رجلاً تكون بهِ الكفاية لردّ كونزالز الى الطاعة التامة وبترجيع جميع حزبهِ عن تعلقهم بهِ . الامر الذي كان منوطًا بحسن تدبير المعتمد فاختاروا لذلك كاهنًا يدعى بطرس دي غاسكا كان قد تقلد عدة مهام بالمملكة واقام باعبائها طبق المرغوب فكان وديعًا بحديثهِ متواضعًا باعمالهِ ومهابًا بسنهِ . فاستحضره كرلوس وبلغهُ ماموريتهِ الجديدة فقبلها ولم يبال بشيخوختهِ ولا بالاخطار الكلية التي كان مزمع ان يتعرض عليها سواء كان من مشقة السفر او من خلاف ذلك ورفض كل ما كان منح لهُ ولعائلتهِ من الانعامات الشخصية مرتضيًا اقاء ذلك بانشراح خاطر واليهِ الّا انهُ طلب اليهِ التفويض التام بسائر اجراءاتهِ وان يلقبه بلقب رئيس مجلس ليما فقط وتوجه . وعند وصولهِ الى بوغاز النومير دي ديوس استقبلهُ هينوجوزا محافظه بالاكرام وقابلهُ بمثل ذلك قوم الاسبانيول في الانانا ثم في البيرو وما لوا اليهِ من مجرد حديثهِ العذب . اما كونزالز ساءهُ ذلك وجمع عساكره وتمرد فاستعمل دي غاسكا الوسائط الحبية اوليًا ولما لم يكن نتيجة ضمّ الى رايات المملكة قومًا كبيرًا وفتح

النزال في بحر عدة اشهر متوالية وكونزالز على ما هو من العصيان الى ان في سنة ١٥٤٨ جرت معركة قوية مالت المنايا فيها على كونزالز فاوسر واودع هو وكارجافال مستشيره في عمق التراب وهكذا هديت البلابل وارتاحت الافكار ورجع الكاهن دي غاسكا الى اسبانيا حيثما عزه الملك بسائر ايام حيوتهِ وكان قد احضر معهُ الى خزائن المملكة مليون وثلاثمائة الف وزنة بعد ان دفع سائر المصاريف التي كان تكبدها



الفصل الرابع

يحتوي على تقسيم امريكا في ايامنا هذه
مع تاريخ كل من ولاياتها باختصار

انهُ لما كنا انتهينا بالشرح عن البلدان الاكثر شهرة في امريكا التي اكتشفتها دولة اسبانيا الفخيمة . مستنا الحاجة بان نتوقف على شرح ما جرى بعد ذلك من الاكتشافات لانها لم تكن ذات اهمية . ولا سيما اذ اننا كنا اوردنا في بداية هذا القسم الثاني لمعتمدون بتوفيق الله تعالى ان تنظم اخر عن الولايات المتحدة وفيهِ نذكر ما توجبنا الحاجة اليهِ ونراهُ موافقاً فاكتفينا الان بوضع هذا الفصل الاخير مبينين فيهِ حالة هذا العالم الجديد في ايامنا هذه وما حواهُ من الكلي والجزئي

تقسم امريكا الى قسمين . امريكا الجنوبية وامريكا الشمالية يوصلهما بوغاز البانااما . ففي امريكا الشمالية ستة اقسام . اولاً امريكا الروسية . ثانياً الغرونلند خاصة الدانمرك . ثالثاً امريكا الانكليزية المعروفة ببريطانيا الجديدة وهي مقسومة الى كانادا السفلى وعاصمتها مدينة كيباك . وكانادا العليا وعاصمتها مدينة طورنتو . رابعاً الولايات المتحدة وعاصمتها واشنكطون . خامساً المكسيك عاصمتهُ مكسيكو

سادساً ولايات امريكا الوسطى . اما امريكا الروسية فقد استملكتها الولايات المتحدة

وفي امريكا الجنوبية اثنى عشر قسماً وهي . اولاً فانازويلا وعاصمتها كاراكاس . ثانيا كولومبيا وعاصمتها سنتافه . ثالثاً ولاية خط الاستواء وعاصمته كيتو . رابعاً البيرو وعاصمته ليما . خامساً البيرو الاعلى ويدعى ايضاً بوليفيا وعاصمته شوكياسكا وتسمى البلاتا . سادساً شيلي وعاصمته سنتياغو . سابعاً الباتاغونيا التي لم يكن فيها الا بعض القبائل المتوحشة . ثامناً اقاليم البلاتا المتحدة وتدعى ايضاً جمهوريتي الارجنتين اي الفضية وعاصمتها بوانوس ايرس . تاسعاً اوراغواي عاصمتها مونتفيداو . عاشراً الباراغواي وعاصمتها الاسومبسيون حادي عشر البرازيل وعاصمته ريوجانيرو . ثاني عشر الغويان

وفي امريكا سبعة بحار وهم شمالاً الاوقيانوس الجليدي الارتيك وبحر اليافين وبحر الهودسن وشرقاً الاوقيانوس الاتلنتيكي وبحر الانتيل وغرباً الاوقيانوس الكبير ويدعى ايضاً الاوقيانوس الباسيفيك اي السلمي وبحر البيرنغ . وفيها ثلاثة عشر خليجاً ثلاثة كبار وهم خليج سان لوران شرقي بريطانيا الجديدة وخليج المكسيك جنوبي الولايات المتحدة وخليج الكاليفورنيا غربي المكسيك . اما العشرة

الصغار لا حاجة الى ذكرهم

جزائر امريكا

في الاوقيانوس الجليدي الارتيك   جزائر الباري

في بحر هودسن   جزيرة سوميتون

في خليج سان لوران

جزيره الراس الانكليزي · وجزيرة البرنس ادوار · وجزيرة الانتيكوستي وجزائر ماربطرس وميكيلون

في الاوقيانوس الاتلنتيك

جزائر البرمود خاصة انكلترا وجزيرة لونكيسلند اي الجزيرة الطويلة خاصة الولايات المتحدة

ما بين الاوقيانوس وبحر الانتيل

الجزائر الاتية وهي جزائر لوقاييس اخصها جزيرة غواناهاني وتسمى ايضا سان سلفادور وهي اول من اكتشفها كريسوف كولومب ثم كوبا والجامايك وهايطي وبورتوريكو والغوادالوب والمرتينيك والقديسة لوسيه وجزيرة الترينيته اي الثالوث

ثم ما ينيف العشرين جزيرة صغيرة لا حاجة لايرادها

جبالها

تمتد من شماليها الى جنوبيها سلسلة جبال متوالية مجاورة الاوقيانوس الكبير وبعيدة عن الاتلنتيك جدًّا وتدعى تلك الجبال الجبال المحجرة وجبال الكورديليار وجبال المكسيك وجبال الاندس ثم جبال الاليغاني في الولايات المتحدة من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي وفي البرازيل الاسبنهاكو وجبال القرتنت اما جبال الاندس فهي اعلاها جميعها . وفيها ايضًا جبال نارية كثيرة اخصها جبل مارالياس في اماريكا الروسية وجبل البوبوكاتبلت في المكسيك وجبل الاراكيبا في البيرو ثم جبل الاكونكاغا وهو اعلى جبل ناري في الكرة

انهرها وبحيراتها

هي نهر سان لوران ونهر الميسيسيبي ونهر الاورينوك ونهر الامازون ونهر البارانا ونهر الباراغواي ونهر الاوريغواي . وبحيراتها هي بحيرة الدبّ وبحيرة الرقّ كلاهما في بريطانيا الجديدة . وفي شمالي الولايات المتحدة البحيرة الكبرى وبحيرة الميشيغان وايدى واونتاريو ثم بحيرة التيتاكا في البيرو وبحيرة لوس باتوس جنوبي البرازيل

حالة امريكا على الاطلاق

ان عدد سكانها حكم تسعين مليون تنقسم على اربعة اجناس اولاً الجنس الابيض الذي هو سليلة الاورباويين المتوطنين فيها منذ بداية اكتشافها . ثانياً الهنود الذين هم سكانها الاصليون ولونهم كما قدمنا احمر نحاسي . ثالثاً العبيد وهم عن سليلة عبيد افريقيا الذين استحضرهم دي لاسكازاس الى جزيرة اسبانيولا لاجل حفر المعادن ومنهم معتوقين ومنهم ارقاء لحد الان . رابعاً مختلطوا الاجناس ويراد بهم سليلة الذين تزوجوا من الهنود والاورباويين والعبيد معاً . فادياننهم مختلفة باختلاف اجناسهم . فالاماريكان المتمدنون هم كافةً مسيحيون والكاثوليك وفير عددهم في الكانادا والمكسيك وهايطي والبورتو ريكو والانتيل وفي الجهات الجنوبية . والبروتستانت اكثرهم في الولايات الانكليزية والهولندية والدانيمركية . اما القبائل المتوحشة منهم يعبدون الشمس ومنهم القمر ومنهم الاصنام والالهة كل على حسب دابه . اما هيئة البلاد بوجه العموم فحسنة ونزهة واراضيها مخصبة واحراشها جملة ولم تزل بعض غاباتها بكرية للان ونرى في امريكا سهول شاسعة فيها من سائر المزروعات وفي بعض انحائها سهول شاسعة ايضاً فيها العشب البري ومتروكة دون زراعة . ومناخها

بارد وليس في اكثرها الاَّ فصلي الشتا والصيف وفي شطوط البحيرات والانهر الغزيرة يحصل امراض وبائية بفصل الصيف من جرى الروائح الكريهة التي تقذفها تلك البحيرات والانهر في مدة فصل الشتا. وفيها ايضًا معادن ذهبية وفضية ونحاسية وحديدية وقصديرية ومن الزيبق وفحم الحجري معًا ثم عدد غزير من الافاعي يكثر وجودها ضمن الغابات الغضة. وسائر الحيوانات الاهلية موجودة فيها ايضًا الاَّ انها لم تكن اصلية بل نقلها الاوربا ويون اليها

تقسم اماريكا الان كما ياتي

اماريكا الروسية تابعة الولايات المتحدة فقد تبوأ تلك الناحية المجاورة للسلطنة الروسية بعض تجار الروس ومنحهم القيصر بولس الاول معاطاة التجارة في تلك الجهات. عدد سكانها ماية الف نسمة. اراضيها غير مزدرعة من شدة البرد والثلج. فيها قبائل متوحشة منها خاضعة للولايات ومنها متمردة. يورد منها كمية وافرة من جلود الحيوانات المعدّة للفراء واما الولايات المتحدة قد اشترت هذه الولاية من دولة روسيا منذ عدة سنين

غرونلند

خاصة مملكة الدانيرك. اسس هذه الولاية دعاة الدين

الدانيمركيون سنة ١٧٢١ فيها غابات كثيرة وصخور عالية · ويبقى الثلج فيها تسعة اشهر · عدد سكانها خمسة وعشرون الف منهم الف دانيمركيون والاربعة وعشرون الف قبائل متوحشة صنعتهم صيد السمك وما كولهم لحم حوت البحر

بريطانيا الجديدة

في سنة ١٥٢٤ استولى جاك كارتيه دي سان مالو الافرنسي على الكانادا بايام الملك فرنسيس الاول · وفي سنة ١٦٠٨ بنى فيها الفرنساويون مدينة كيباك · وفي سنة ١٧٦٣ اعطى لويس الخامس عشر تلك الجهة الى الانكليز الذين طموا على تلك الانحاء وسموها بريطانيا الجديدة وقسموها الى قسمين اي الكانادا العليا والكانادا السفلى · ففي السفلى لم يزل اهلوها حافظين عوائد الفرنسيس ويتكلمون بلغتهم لحد الان واكثرهم كاثوليك وهي كثيرة البحيرات وفي الجهات الشمالية وفي اقليم لابرادور تبقى الاراضي بوراً بسبب الثلوج · وفي جهتها الجنوبية الشمالية احراش كثيفة ذات اشجار شامخة العلوّ · حاصلاتها على الاطلاق الحبوب والكتان والسمسم والتبغ · لغة الحكومة الرسمية هي الانكليزية · عدد سكانها حكم ثلاثة ملايين ولم تزل لحد الان قبائل هندية خارجة عن طاعة الحكومة

مدنها الاكثر شهرة هي

كيباك شهيرة بالتجارة ومركز الحكومة

مونتريال

تورنتو

الولايات المتحدة

ليست الولايات المذكورة الَّا التي شيدها الانكليز فعصي اهلوها سنة ١٧٧٦ وثاروا على نكليزه وتحرروا وكان زعيمهم واشنكطون الشهير وفي سنة ١٧٨٣ عرفتهم اوربا بجمهورية مستقلة وذلك بعضد فرنسا في زمن الملك لويس السادس عشر . وفي اول تحررهم لم تكن حكومتهم الَّا على ثلاث عشر ولاية فاخذوا يفتحون الولايات المجاورة الى ان حرروا منها احدى وعشرين اخرى . وفي سنة ١٨٠٣ ابتاعوا من فرنسا اللويزانيا . وفي سنة ١٨١٩ اوهبتهم اسبانيا الفلورياد . وفي سنتي ١٨٤٦ و ١٨٤٧ ضموا اليهم ولايتي المكسيك الجديد وكاليفورينا العليا وها ان الولايات المتحدة الان تماثل اوربا مسافةً بكاملها ماخلا روسيا . بحارها هي جون المكسيك والاوقيانوس الباسيفيك وفي سنة ١٨٦١ قامت احدى عشر ولاية في الجهة الجنوبية وكان سكانها من الاوربا و بين اما الارقاء بقيوا مستكنين فظفر بالثائرين وردوا الى الطاعة . اما

مناخها مختلف : ففي الجهة الشمالية بردها قاسي جداً وفي اواسط البلاد البرد والحرّ شديدان باوقاتهما وفي الجنوب حرّها حدّ نظير حرّ افريقيا · جبالها مملوة معادن حديد ونحاس وفحم حجري اما معادن الذهب موجودة في كاليفورينا العليا ريع ارضها هوا لباطاطا والارز وقصب السكر والحبوب والقطن والتبغ · وعدد سكانها حكم ٤٥٠٠٠٠٠٠ منها اثنين واربعين مليون من انكليز واسبانيول وافرنسيس الاصل والثلاثة ملايين هم هنود منهم معتوقين ومنهم ارقاء

طريقة احكامها هي ان كل ولاية منها مستقلة بحكمها بالاشغال المحلية انما جميعها خاضعة لحكومة واحدة وتتلقب تلك الجمهورية بالولايات المتحدة ومنهم من يسمونها الاتحاد الامريكاني ومنهم يقولون الاتحاد فقط

تجارتها غزيرة والصنائع ايضاً · اكثر وارداتها القطن والحبوب والتبغ · وفي كافة داخليتها سكك الحديد والمراكب البخارية تسير في برها وفي انهرها · لغة الحكومة الرسمية ولغة اكثر الاهالي هي الانكليزية انما في الوسوط يتكلم البعض الافرنسية والبعض الاسبانيولية

مدنها الاكثر شهرة هي

بورتلند · وفورتموت · ذات مرافي جيدة

بوسنون. سكانها ٥٠٠٠٠ تجارتها غزيرة . بناياتها جميلة .
وفيها عدة مدارس علمية

لوفال . فيها جملة معامل

الباني . على ضفة نهر الهودسن اليمينية

نويورك . سكانها ١٠٠٠٠٠٠ ميناها جميلة ومبنية على مصب
نهر الهودسن وهي اعظم مدن الولايات المتحدة بكبرها وتجارتها
وجمعياتها الخيرية

فيلادلفيا . سكانها ٩٠٠٠٠٠ وهي اول مدينة صنايعية في ولايات
الاتحاد . قد بنيت سنة ١٦٨٢ واسم بانيها غيليوم بين

واشنكطون . على اسم واشنكطون منقذ الولايات وهي مركز
الحكومة ومركز رئيس الجمهورية معًا

نوفال اورلبان . بناها الفرنسيس وهي بقرب نهر الميسيسيبي
يحدث فيها امراض وبائية

سان لويس

سينسيناتي . سكانها ٢٠٠٠٠٠

شيكاغو . سكانها ٢٠٠٠٠٠

سان فرنسيسكو ١٠٠٠٠٠ مدينة قديثة لكنها على قدم النجاح

بداعي تجارتها

المكسيك

سكانهُ حكم ثمان ملايين ونصف من اوربا و بين وهنود · فيهِ جبال شامخة ومعادن ذهب

مدنهُ الاكثر شهرة هي

مكسيكو · سكانها ٢٢٠٠٠٠ فيها كنيسة فاخرة

غوادالكسارة · سكانها ٩٠٠٠٠

فيراكروز · مينا اوربا والمكسيك · قد هدم الفرنسيس برجها الشهير سنة ٦٢٨ تحت امرة الاميرال بودين والبرنس دي جوانفيل كامباشر

ولايات اماريكا الوسطى

اكثرها من الولايات الاسبانيولية · تحررت سنة ١٨٢١ وفي سنة ١٨٣٩ انقسمت على خمس جمهوريات منفصلة · اراضيها مخصبة والمعادن فيها كثيرة · اكثر وارداتها القطن والنيل وعود الصبغة · سكانها حكم مليونين ونصف من اوربا و بين وهنود وعبيد ومختلطين

مدنها الاكثر شهرة هي

نوفا غوانا موالا · سكانها ٤٠٠٠٠

سان سالفادور . سكانها ٢٥٠٠٠

سانسونات

لاون

سان جوان وسان جوزه

نيقاداغا

باليز

الانتيل

اصلها اسبانيولا والجامايك والجزائر التي اكتشفها كريستوف كولومب ببادي الامر والان اكثرها لم يزل تحت ولاية اسبانيا . عدد سكان الانتيل ثلاثة ملايين ونصف اكثرهم اسبانيوليو الاصل ومنهم من الهنود ومنهم من سليلة القبيلة القريبية . المناخ معتدل . يقع المطر في اكثر الجهات من اواسط تموز الى اواسط تشرين الاول . وارداته هي السكر والتبغ . والدبابات المسمة كثيرة فيه

المدن الاكثر شهرة هي

في جزيرة هايطي سكانها ٨٠٠٠٠

مينا البرنس

سان دومنك . استرجعتها اسبانيا سنة ١٨٦١ فيها كنيسة كاتدرائية

في جزيرة كوبا ١٤٥٠٠٠٠ نفس

الهافان { سكانها ١٣٠٠٠٠ فيها كنيسة كبيرة ضمنهـــا قبر كريستوف كولومب وعظامه بناها فيلسكازاس سنة ١٥١١ }

في جزيرة البورتوريكو سكانها ٤٠٠٠٠٠ عاصمتها مدينة سان جوان

في جزيرة الجامايك { ٣٧٠٠٠٠ خاصة الانكليز. مدنها هي كينغاتون وسبانيستون }

جزيرة الغوادالوب سكانها ١٤٠٠٠٠

مدنها هي

باس بير

بونتابيتر سنة ١٨٤٣ حدثت فيها زلزلة قوية

جزيرة المرتينيك سكانها ١٢٧٠٠٠ احسن وارداتها البن

ومدنها هي

فوردي فرانس

سان بيار

جزيرة الباراد سكانها ١٢٥٠٠٠ مدينتها بريد جيتون

بقرب الانتيل موجود ولايات لوحدها وتدعى باسم فانازوالا وكولومبيا وخط الاستواء . عدد سكانها مليون ونصف . ومدنها

الاكثر شهرة هي

في كولومبيا

سانتافه وبوبايان . وباناما . وقرطاجينا . و يورتو بيلو

في فانازوالا

الغواياد وماراكيبو . وفاديناس

في خط الاستواء

كيتو وغياكيل . وكونسا

البيرو

بقي تحت ولاية اسبانيا لحد سنة ١٨٢١ واقام جمهورية مستقلة سكانه مليون ونصف وفيه جبال كثيرة . يسقي اراضيه نهر الامازون . جهته الشرقية لحد الان لم تزل مجهولة . مناخه معتدل فيه فصلان اعني الشتا والصيف لاغير وفي الجهة الشرقية الامطار قليلة جدًّا . اكثر واردانه الصوف وفيه معادن كثيرة من ذهب وفضة ونحاس وحديد وقصدير وملح وفحم حجري . ومدنه الاكثر شهرة هي

ليما عاصمة البيرو وفيها كنائس كثيرة سكانها ٨٠٠٠٠ ومينائها

هي مدينة كيلاوا

كوزكو

اراكيبا . مدينة صنائعية

اريكا

تروكسيلو

هاياشوشو

البير والاعلى ويقال لهُ بوليفيا

بقي تحت استيلاء اسبانيا لحد سنة ١٨١٠ فاستمر اهلهُ بالنزال لحد سنة ١٨٢٥ حتى تمكنوا من انعتاقهم من حكومة اسبانيا وكان زعيمهم يدعى بوليفار . سكانهُ مليون ونصف واكثرهم هنود ومناخه معتدل . ونهيراته كثيرة ومدنهُ الاكثر شهرة هي

شوكيزاكا . وتدعى ايضًا البلاتا اي الفضة لكثرة المعادن الفضية بقربها وهي عاصمة جمهوريته

سنتا كروز

لاباز

شيلي

بقي بحكم الاسبانيول لحد سنة ١٨١٨ وتحرّر بجمهورية . سكانهُ مليون وستمائة الف . مناخه معتدل . معادنهُ هي الذهب والفضة والحديد والنحاس والقصدير والكبريت والفحم الحجري والحجارة الكريمة

مدنهُ الاكثر شهرة هي

بيتوركا   بقربها معادن ذهب وفضة

كيلونا   بقربها معدن نحاس

فالباريزو   اي وادي الفردوس

سنتياغو   وفالديفيا

البتاغونيا

هي بلاد متوحشة وباردة واهاليها رعاة

ولايات البلاتا

خرجت عن ادارة اسبانيا سنة ١٨١٠ وانقسمت الى جمهوريتين جمهورية الارجنتين اي الفضية. وجمهورية باراغواي الشرقية. سكانها مليونان ونصف واكثرهم هنود. انهرها كثيرة جدًا. قد نمت فيها البقر والخيل ولم تزل لحد الان قطعان كبيرة منها تائهة في البرية

مدنها الاكثر شهرة هي

في جمهورية الارجنتين

كوردوفا. فيها معامل للجوخ

توكومان

مندوزا

في جمهورية باراغواي الشرقية

الاسومبسيون

مونتيه فيدو

البرازيل

قد اكتشفهُ البورتوغال وبقي في حكم المملكة المذكورة فتحرر سنة ١٨٢٢ ٠ يتلقب اولياه باسم امبراطور وهم من عائلة دي براغانس البورتوغالية ٠ سكانهُ حكم ثمان ملايين ٠ فيهِ جبال كثيرة واحراش بكرية ٠ مناخه معتدل ٠ محصولاتهُ هي عود الصبغه والارز والقطن والتبغ والسكر ومعادن ذهبية وفضية والماسية

مدنهُ الاكثر شهرة هي

ديوجانيرو ٠ سكانها ٣٠٠٠٠٠ عاصمة الامبراطورية

برنامبوك ٠ سكانها ٦٥٠٠٠

سان سالفادور ٠ سكانها ٢٠٠٠٠٠

سان لويس دي ماروباك ٠ بناها الفرنسيس في الجيل السادس عشر

بيلام

القديسة كاترينا مبنية على جزيرة مخصبة الاراضي

الغويان

تولى عليها الفرنسيس سنة ١٦٢٦ ثم تولى الانكليز على قسم من شمالها . ثم اخذتها هولنده سنة ١٦٦٧ وفي اثناء الثورة الافرنسية تولى الانكليز ثانيةً على قسم مما ما كانت اتخذتهُ هولنده . فلم يكن الاوربا ويون الاَّ في الشطوط البحرية وداخلها لحد الان بيد اهلهِ الاصليين . وهي ردية المناخ لان الشتا يستمر فيها ثمانية اشهر وفي الاربعة الاشهر الباقية يحدث حرّ عظيم . ناتجاتها هي البن والسكر والنيل والقطن

مدنها هي هذه

في البلاد الافرنسية ١٧٠٠٠ نفس والمدينة تدعى غايان

في البلاد الهولندية ٦٢٠٠٠ : والمدينة تدعى بارامار يبو

في البلاد الانكليزية ١٥٠٠٠٠ : وفيها مدينة نوفال امستردام ومدينة جورجوتون

تمَّ الكتاب

فهرس القسم الاول

فهرس القسم الثاني

قد وقع بعض اغلاط لغوية في القسم الاول وليس بمعنوية ونتج ذلك عن اهمال غير اختياري

